

التصور الإسلامي للوجود

مؤلفه
سليمان بياري



دار النشر

النصّور للهِدْ سَلْدِي لِلوَجُودِ

الدكتور
حسن الحيارى

جامعة اليرموك
كلية التربية

بِأَمْرِ الْبَيْتِ
بِشَرْعِ الْوَحْيِ

التصور الإسلامي للوجود

د. حسن الحيارى

اللهم قباله

- الى روح والدي الطيبة التي انتقلت الى جوار بارئها في اليوم الثاني من الشهر العاشر من السنة السادسة والثمانين وتسعمائة بعد الألف، تاركة دار البلاء والابتلاء لتستقر في البرزخ، منتظرة المثل امام الحق سبحانه وتعالى لتلج في دار الخلود.

فإليك والدي هذه الثمرة من ولد بار يلهج لسانه بالدعاء والتضرع الى الغفور الرحيم أن يجعلك من الكرام البررة مع الخالدين في جنة النعيم، وان يجعل هذا العمل مما لم تنقطع صلتك به بالدنيا خيطاً يربطك بالآخرة، وان يكتب لنا أجره.

- وإليك والدي الحبيبة، يا من جعل الله الجنة لي تحت أقدامك وفي حسن صحبتك، اليك يا من شاء الله ان يمد في عمرك لتكوني آية ساطعة ودرساً لمن حولك على الضعف بعد القوة، والهزم بعد الشباب، اليك هذا العمل مع دهاء من القلب ان يغفر الله لك ويرحمك، وان يكتب لك اجر عاتك ومعاناتك، انه سميع مجيب.

اللهم اغفر لهما وارحمهما كما ربياني صغيرا

ولدكما

حسن الحياوي

ابو علي

شكر وامتنان

هو بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين. اياك نعبد واياك نستعين، اللهم انني أشكرك شكراً صادقاً صادراً من القلب الذي ادعوك وأرجوك أن تثبته على الحق الذي اخترته لاصفيائك من خلقتك، ولما يسررتني اليه من خدمة هذا الحق في كل ما عرضناه في هذا الكتاب الذي نرجو ان يكون زلفى تقربنا اليك، اللهم ان كان فيه زلل، فيسر لي تقويمه ويسر لي من يقومه.

واني أجد عليّ لزماً ان أقدم كلمة عرفان بالجميل في عبارات صادرة من القلب صادقة الى علماء المسلمين الذين تتلمذت عليهم ولهم، وبهم تأثرت فكراً وصفاء عقيدة وعليهم بخاصة معقد أمل الامة وإمامها في رفع راية الله عالية نفية، فلهم أقدم الشكر الذي أقرنه بدعائي وتضرعي الى العلي القدير ان يجزيهم عني وعن المسلمين الصادقين في دينهم خير الجزاء.

والى اخي وصديقي الدكتور خليل حمایره حفظه الله ورعاه من كل مكروه كلمة تقدير صادقة، لانشغاله معي في قراءة هذا الكتاب ومراجعة مسوداته، رغبة منه في ان يراه متكاملأ بين ايدي القراء.

اللهم انني اسألك ان تجعله زلفى تقربنا اليك انك انت السميع العليم، اللهم تقبل.

د. حسن الحياوي
ابو علي

إلهي

كفى بي فخراً
أن تكون لي رباً
وكفى بي عزاً
أن أكون لك عبداً
أنت كما أحب
فاجعلني اللهم كما تحب
وزدني اللهم علماً وحكمة
ويسر لي أمري
ليفقهوا قولي .

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ

(سورة الأعراف (١٧٢))

يَمْعَشَرِ الْيَمِينَ وَالْأَيْمَنِ الْقِيَامَتِكُمْ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْبَغُ
وَسُيِّدُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا أَشْهَدُكَ عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ لِحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٧٢﴾

(سورة الأنعام (١٣٠))

قُلْ يَتُوبُ إِلَيْهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتُؤْتُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَلْتَبِئُ
الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَنْ يُعْجِبَهُ لَمَلَكٌ مِنْكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

(سورة الأعراف (١٥٨))

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ طَغَى وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ
أَنقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾

(سورة الحج (١١))

وَلَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُثْبِتْهُمْ
سُقُطَاتٍ مِفْضَةً وَمَعَارِجَ عَلَيْهِمْ يَظْهَرُونَ ﴿٣٦﴾ وَلِيُثْبِتْهُمْ أَتُونَا وَمُرَّا عَلَيْهَا
يَنْكُحُونَ ﴿٣٦﴾

(سورة الزخرف (٣٣ - ٣٤))

مُقَدِّمَةٌ

ان من اقلس القضايا واممها على الاطلاق، التي قد يتناولها الانسان بالبحث والدراسة، هي قضية الحقيقة لما لها من آثار واسعة النطاق على مجريات الأمور التي تهتم الانسان في كلا الدارين، وعلى الرغم من هذه الأهمية الكبيرة، الا ان الانسان بشكل عام لا يريد الحقيقة لذاتها، وانما لما تعكسه عليه من منافع دنيوية وأخروية. لذلك فان الانسان عبر تاريخه كان يبحث عن الحقائق التي تنسجم مع الاهداء الكامنة في ذاته، والالتفاف على الحقائق الساطعة التي لا تنسجم مع تلك القوى الشهوية التي وشجت عليها النفس الانسانية.

والحق ان الله سبحانه وتعالى بعث بالانبياء والمرسلين تراثاً رحمة وتلطفاً منه بعباده بما يهم الانسان من حقائق تنير له وجوده الدنيوي والاخروي وقد تحمل رسل الله ومن تبعهم الشيء الكثير من المذاب والطرده، والتشريد وتلفيق التهم، والقتل في بعض الاحيان، ليس لشيء سوى انهم يُعلمون الناس الكتاب والحكمة والحقائق الكونية التي تنير لهم الدروب وتضعهم على المعجزة البيضاء.

لذلك فان البحث عن الحق والحقيقة ليس بالأمر السهل البسيط الذي يستطيع ان يتناوله الانسان لما يعكسه من غضب وردة فعل اولئك الذين يصطلم الحق مع احوالهم وامزجتهم المختلفة. هذا اذا ما عرفنا ان هذا النوع من الناس هم الكثرة على مر التاريخ. اضعف الى ذلك ان البحث عن الحق يتطلب فهماً واسعاً وموضوعية عالية عند اولئك الذين يريدون ان يبحثوا في هذا المضمهر.

وكما نعلم جميعاً ان الحق سبحانه وتعالى ختم الملة الرسالية بمحمد صلى الله عليه وسلم، واكمل نعمته على الانسان بالقرآن الكريم، الذي يحتوي على ما يحتاجه الانسان من حقائق كونية، وقضائية، واجتماعية، وسلوكية تنير له كافة السبل المؤدية الى سعادته في الدنيا والاخرة.

وبناء على هذه الحقائق شيد رسول الله صلى الله عليه وسلم دولته الفاضلة، مورد النور والحرية، حيث كان شعارها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليصلوا بذلك الى اعلى مراكز الشرف التي لم تسبقهم اليها امة عبر تاريخ الانسانية، حيث وصفهم الحق سبحانه وتعالى بانهم خير امة اخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ولكن هذه الأمة المسلمة لم تستمر بهذه الصورة المشرقة مدة طويلة، حيث يعود ذلك الى طبيعة النفس الانسانية وما تصبو إليه من تحقيق غايات واهواء ذاتية، هذا بجانب طبيعة الحياة الدنيا وما تجسّد فيها من ابتلاء وفروغ. وهاتان الاساسيتان (طبيعة النفس الانسانية، وطبيعة الحياة الدنيا) شكلتا القاعدة الأساسية عند الانسان للانحراف عن الحق والحقيقة. لذلك ظهرت الممارسات المذبذبة المناهضة للحق الذي يفوح به الدين الاسلامي في المجتمعات الاسلامية، سواء اكانت هذه الانحرافات بتأليف الكتب الضالة المضلة، أم بالممارسات اليومية في شتى مجالات الحياة التي بنيت على المحسوسية والمزاجية المفرطة. وبهذا يكون التناقض كبيراً بين المسميات والممارسات، وهذا التناقض بعينه الذي رجمه الغرب عندما اراد ان يشيد حضارته الحالية، حيث انسجمت افكارهم مع افعالهم وسلوكهم، وبهذا التمايز والانسجام بين السلوك والفكر تقدم الغرب على الذين يقطنون الأرض المقدسة ومن حولها، مهبط الوحي وموطن الانبياء والرسل. لذلك ليس غريباً ان الانظمة والقوانين هي التي تحكم بين الناس وتسيطر على سلوكهم في المجتمعات الغربية، والمثول العادل للجميع امام القضاء. بينما نجد العكس تماماً يحدث في المجتمعات الاسلامية، حيث المحسوسية والمزاجية الانسانية

المفرطة في شتى أمور الحياة، بالرغم من قربهم من مورد الحق والحقيقة، القرآن الكريم الذي أنزله الله بلغتهم، والسنة النبوية الطاهرة، سنة النبي العربي، وهذا يعود الى الازدواجية والتناقض بين الاعتقاد والسلوك.

ولقد حاولنا في هذا الكتاب ابراز التصور والمفهوم الاسلامي لجميع المعضلات انعمانية التي كلفت البشرية الشيء الكثير من الدراسة والبحث والتخبط في أبحر الظلمات لصعوبة الوصول الى مكونات تلك المعضلات بواسطة العقل البشري. ولقد تناولنا تلك المواضيع الأساسية بمتعدين كل البعد عن الواقع العليل الذي تعيش فيه المجتمعات الاسلامية، مؤكدين ان الفكر الاسلامي هو ما جاء في الكتاب الكريم والسنة النبوية الطاهرة وقد يكون هذا الفكر واقعاً معاشاً في حالة وضع كل ما جاء في الكتاب الكريم والسنة النبوية الطاهرة حيز التطبيق في أي مجتمع كان، سواء أكان المجتمع عربياً ام اجنبياً. لذلك يطمح الكاتب على القارىء الكريم ان ينظر الى الفكر الاسلامي من خلال الآيات القرآنية الكريمة، والسنة النبوية الطاهرة، والممارسات الصحيحة لذلك الفكر اينما وجدت.

وقد حاول الكاتب جاهداً بوسع الطاقة الانسانية ان يلزم جانب الموضوعية مبتعداً عن كل دروب الالتواء والمحابة، كما انه لن يتوانى ان يقبل اية حقيقة دون الالتفات الى موضوعها ومصدرها طالما انها تمثل الحقيقة أو تنبثق عنها. لذلك فان كاتب هذه السطور خاطب الانسان بالقضايا الأساسية التي تهمة، ليصل بنفسه الى سدرة الصواب دون مظاهره فكر على اخر، أو فقه على اخرى. ولم لا وهو يتشد الحقيقة فقط!

انني اتوجه بشكري، وتقديري، واحترامي لكل من يلتفت انتباهي الى اية فكرة أو معلومة تجانب الحق والحقيقة ليتسنى لنا ان نتكاتف ونتعاضد في الوصول الى حقيقة الامور وسدادها، التي تهمننا جميعاً.

وهناك ملاحظة هامة لا بد من ابرازها، وهي استخدام كلمة الفلسفة الاسلامية ففي الواقع ان هذا المصطلح استخدم كوظيفة وليس كمعنى للفلسفة الذي وضعه الفلاسفة، حيث أن الذي يسلم أمره للباري عز وجل، وينيب،

ويستقيم، ويتبع نهج الله القويم، تكون فلسفته للوجود منبثقة من هذا النهج
الالهي القويم، وبذلك تكون فلسفته اسلامية .

لقد احتوى هذا الكتاب على ثلاثة عشر فصلاً في كل واحد منها تمت
مناقشة وابراز حقيقة قضية اساسية من الموضوعات الهامة التي شذت انتباه
البشرية منذ فجر تاريخها . لقد بينا في الفصل الأول حقيقة الفكر الفلسفي
الاسلامي بعد أن عرضنا تعريف الفلسفة والغاية منها ، والفكر الفلسفي البشري
بمدارسه المتعددة ثم القينا بعض الضوء على الأقوال المتعددة والآراء المتفاوتة
حول الفلسفة الاسلامية . واخيراً بينا ان ماهية وطبيعة الفلسفة الاسلامية هي كل
ما جاء في القرآن الكريم من آيات بينات وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من احاديث نبوية شريفة .

وقد تناولنا في الفصل الثاني، خصائص النهج الاسلامي بعد ان قدمنا
لذلك بمقارنة بسيطة بين النهج الالهي والفكر الفلسفي البشري . وقد تبين ان
من خصائص هذا النهج الالهي، ألوية المصدر، والصدق والثبات، والعموم،
والشمول والعدل والمساواة، والستور الداتي، والرحمة - البشري - الهدى،
والحكمة، وسدرة الصواب، وقوة التأثير .

وتطرقنا في الفصل الثالث الى الحكمة من حيث الماهية والأهمية . وبيننا
كيف ان القرآن الكريم يعد المورد الفياض للحكمة .

اما الفصل الرابع، فقد تناولنا بحثاً ودراسة، الانسان وعلاقته بالحقيقة،
حيث عرضنا موجزاً لأغلب الدراسات الانسانية التي تناولت الانسان وسماته
المتعددة ثم عطفنا بنظرنا الى مورد الحق والحقيقة، القرآن الكريم، لنرى كيف
وصف لنا خالق الانسان الانسان وما وشجت عليه عروقه وانطوت عليه سريره
من مواصفات سواء اكانت ظاهرة للمعيان ام خفية . وقد لاحظنا ان الانسان
يتصف بحب الشهوات، والازدواجية والتناقض، والتسرع في اصدار الأحكام،
وانكار الحقيقة ومقاومة اتباعها . الا من اتصل قلبه بالرحمن واستنار بنوره

المبين، فانه يأتي الشهوات المحببة للنفس البشرية بالطرق والوسائل التي احل الله للانسان، كما انه يمتاز بالصدق والثبات والتروّي في اصدار الاحكام، هذا بجانب التسليم الكامل للحقيقة ومناصرة اتباعها.

وقد بحثنا في الفصل الخامس، العقل ودوره في الوصول الى الحقيقة، حيث بيّنا في هذا الفصل، اهمية العقل، والمفهوم الفلسفي للعقل، ومفهوم علماء المسلمين للعقل، وطرق ومراحل مخاطبة الحق للعقل الانساني وهي: مرحلة التبليغ والتجريب، والمرحلة الحسية، ومرحلة التفكير والتفكير، ومرحلة الاستدلال والانتزاع، ومرحلة الآيات والمعجزات، ومرحلة تلبية الطلبات ومرحلة المقارنة ومرحلة التحدي. وقد تبين بجلاء الفرق الشامخ بين نظرة الانسان للعقل الانساني ونظرة الخالق سبحانه وتعالى. ففي الوقت الذي أقحم الانسان عقل الانسان في امور لا يقوى عليها، لانها خارج طوق وسائله وقدراته التي جسدها رب العزة في هذا النوع من الخلق، نرى من جهة أخرى ان قسماً من الفلاسفة قد اهانوا العقل الانساني وسلبوه جزءاً كبيراً من قدراته، عندما اعلنوا بصراحة ان هذا العقل لا يقبل ولا يسلم الا لكل ما هو محسوس. وفي مقابل ذلك وجدنا حكمة الباري عز وجل وهو يخاطب الانسان في المراحل سالفة الذكر، ويحثه على استخدام عقله بما يتناسب مع هذا العقل من قدرات وما يليق به من مكانة.

وقد ابرزنا في الفصل السادس مصادر المعرفة التي قد يعتمد عليها الانسان في الوصول الى سدره الصواب في القضايا الأساسية التي تهتم الانسان. فقد بيّنا المصادر الفلسفية للمعرفة وهي: نظرية الاستدكار الافلاطونية، والنظريات العقلية، والنظرية الحسية. ثم بيّنا المصادر الاسلامية للمعرفة وهي: نظرية المعهد والتذكر، والنظرية الحسية، والنظرية العقلية، ونظرية الانتزاع والاستدلال، والوحي والتبليغ.

وقد تم في الفصل السابع عرضاً لموضوع الخير والشر وكيفية تحديد كلّ منهما فقد بيّنا المفهوم الانساني الفلسفي للخير والشر، ومن ثم وضعنا المفهوم

الذي وضعه الفلاسفة ، حيث ان الذي يسلم امره للباري عز وجل ، وينيب ، الاسلامي للخير والشر عن طريق ابراز بذرة الشر ، وطريق الشر ونهجه ، ومنيع الخير ، وطريق الخير ونهجه . وقد تبين ان الشر كله يكمن في الشيطان واتباع طرقة وسبله ، كما ان الخير كله يكمن في النور السماوي المبين واتباعه في شتى مجالات الحياة .

وقد تطرقنا في الفصل الثامن الى مكانة الانسان في الكون ، حيث عرضنا المفهوم الانساني الفلسفي للانسان ومكانته . ثم بينا المفهوم الاسلامي للانسان ومكانته بما يحتوي عليه من مكانتين متضادتين ، المكانة السامقة وكيفية الحفاظ عليها ، والمكانة السفلى أو الدنيا وسبب الارتكاس فيها .

فقد تبين ان الانسان يستطيع ان يحافظ على مكانته السامقة الغراء طالما التزم بالنهج الالهي القويم ، وينحدر من علياته ليرتكس دون الحضيض عندما يتعد عن النور الالهي ، ويتبع غيره من السبل .

وقد تم في الفصل التاسع دراسة موضوع علاقة الفرد بالجماعة ، حيث تم طرح المفهوم الانساني الفلسفي لهذا الموضوع ، ثم تم بيان المفهوم الاسلامي للعلاقة بين الفرد والجماعة .

اما بالنسبة الى الغيب ، وماهيته ، وانواعه فقد تمت دراسته في الفصل العاشر . فقد بينا المفهوم الفلسفي للغيب سواء عند الذين تحذلقوا فيه ورجموا ، أم عند الذين أنكروه وجحدوه . ثم أوضحنا الغيب في ضوء النهج الالهي . وقد تبين ان الله وحده الذي يعلم الغيب . كما ابرزنا علاقة الانبياء والرسل بالغيب ، ووجوب الايمان بالغيب كما هو لكل من اناب واستقام على النهج الرسالي المنير . كما تطرقنا الى انواع الغيب كما جاءت في القرآن الكريم ، سواء الغيب المتصل بعالم الشهادة وما يحتوي عليه من غيب الماضي ، وغيب الحاضر ، وغيب المستقبل ، أم الغيب المتصل بالعالم العلوي .

ثم تناولنا موضوع الذات الالهية في الفصل الحادي عشر، حيث تطرقنا الى المفهوم الفلسفي الانساني للذات الالهية، وكل ما جاء به الانسان من شطط القول حول هذا الموضوع، ثم بينا المفهوم الاسلامي السامق للذات الالهية.

وقد تطرقنا في الفصل الثاني عشر الى موضوع طبيعة الكون وما دار حوله من افكار انسانية فلسفية، ثم بينا المفهوم الاسلامي للكون وطبيعته، وان هناك عالم الشهادة، وعالم الغيب.

اما في الفصل الأخير فقد تعرضنا الى موضوع الانسان والخلود، هذا الموضوع الذي شغل البشرية كثيراً، وما زال يشغلها ويشد انتباهها حتى يرث الله الأرض ومن عليها. فقد تطرقنا في هذا الفصل الى ثلاث افكار اساسية وهي: الروح، والبرزخ، والبعث. فقد بينا المفهوم الاسلامي للروح بعد ان عرضنا المفهوم الانساني لها. ثم بينا المفهوم الاسلامي للبرزخ من حيث المعنى، والملة، والمكان، والعذاب والنعيم فيه، وسبل الاتصال بين الاحياء والاموات، وكيونة الانسان في البرزخ. ثم بينا المفهوم الاسلامي للبعث بعد ان عرضنا المفهوم الانساني. فقد تبين ان البعث يكون للانسان كلا متكاملًا، روحاً وجسداً، وليس روحاً كما ذهب اليه الفلاسفة.

وقد اعتمدنا كلياً على كتاب الله وستة نبيه الأمين في دحض الآراء والأقوال التي جانت بها الفلاسفة الحقيقة، وابرز حقيقة الامر وسداده في القضايا الاساسية التي بحثت في هذا الكتاب.

والله ولي التوفيق

المؤلف

د. حسن الحيارى

الفصل الأول

حَقِيقَةُ الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ الْإِسْلَامِيِّ

- تعريف الفلسفة

- الغاية من الفلسفة

- الفكر الفلسفي البشري

- الفلسفة الطبيعية

- الفلسفة المثالية

- الفلسفة الواقعية

- الفلسفة البراجماتية

- الفلسفة الوجودية

- الفلسفة الشيوعية

- الفكر الفلسفي الإسلامي

ماهية الفلسفة الإسلامية وطبيعتها

بسم الله الرحمن الرحيم

يَبْقَىٰ آدَمُ إِمَامًا يَنْتَكُمُ رَسُولٌ مِنْكُمْ يَقْصُونَ عَلَيْكُمْ مَا بَيْنِي وَمَنْ أَنْقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾

الاعراف (٣٥ - ٣٦)

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا
فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾
سورة المائدة (٣)

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ
مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

سورة الإسراء (٣٦)

وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَ هُمَ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ
أَيَسَّرَ لَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾
سورة المؤمنون (٧١)

حَقِيقَةُ الْفِكْرِ الْفَلَسَفِيِّ الْإِسْلَامِيِّ

إن كلمة فلسفة مستمدة من اللغة اللاتينية ، وهي تعني الرغبة في البحث من أجل اكتشاف الحقائق . ومناقشة هذه المعلومات وتقييمها ، ثم جمع المعلومات التي تدور حول الانسان والكون بطريقة يسهل فهمها وتقييمها ، والاعتقاد الفكري والسلوك العملي وفق ما تمّ التوصل إليه من حقائق .

وقبل أن نتطرق الى الفلسفات المختلفة من حيث التاريخ ، والمبانيء الأساسية ، واشهر زعماء كل فلسفة ، لا بد أن ننوه بعدد من الابحاث الفلسفية بعد أن نتعرض الى التعريفات المختلفة للفلسفة .

الفلسفة عند افلاطون .

«الفلسفة هي التشبه بالإله بقدر الطاقة الانسانية»^(١).

الفلسفة عند ارسطو .

«الفلسفة تبحث في طبيعة الوجود كما هو»^(٢).

الفلسفة عند الكندي .

«بعد الكندي من الفلاسفة البارزين في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي ؛ ذلك أنه أول فيلسوف عربي مسلم وقف على الفلسفة اليونانية وأفاد منها ، وحاول أن يلبسها ثوباً اسلامياً خالصاً .

(١) د . أحمد الاهواني ، افلاطون ، ص ١٢٤

(٢) محمد مغني ، معالم الفلسفة الاسلامية ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ١٤

ذلك أن الرجل مع اعجابه الكبير بالفلسفة اليونانية، إلا أن إيمانه بالدين الإسلامي كان أكبر بكثير من اعجابه بالفلسفة اليونانية^(١) «وقد عرف الكندي الفلسفة بأنها البحث، أو أن شئت النظر العقلي الخالص الذي يهدف إلى كشف الحقيقة والوصول إليها»^(٢).

كما أن الكندي وضع حداً للفلسفة حينما قال «إن أعلى الصناعات الإنسانية منزلة، وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة التي حدها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان، لأن غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق وفي عمله العمل بالحق»^(٣).

الفلسفة عند الفارابي.

يقول الفارابي في كتابه «الجمع بين الحكيمين».

«إن الفلسفة حدها وماهيتها أنها العلم بالموجودات بما هي موجودة»^(٤).

الفلسفة عند اخوان الصفا.

«الفلسفة أولها محبة العلوم وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب

الطاقة الإنسانية، وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم»^(٥).

الفلسفة عند الشيرازي.

«إعلم أن الفلسفة استكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات

على ما هي عليها، والحكم بوجودها تحقيقاً بالبراهين لا أخذاً بالظن والتقليد

(١) د. فيصل عون، الفلسفة الإسلامية في المشرق، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١٠٣

(٢) المصدر السابق ص ١٠٩

(٣) رسائل الكندي الفلسفية، نشرة د. أبو ريده. ص ٣٧

(٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مصطفى عبد الرازق، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ص ٤٩.

(٥) المصدر السابق ص ٥٤ - ٥٥

بقدر الوسع الانساني»^(١).

الفلسفة عند ابن حزم.

يقول في كتابه «الفصل في الملل والنحل» «الفلسفة على الحقيقة، إنما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها، ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس بأن تستعمل في دنيا الفضائل وحسن السيرة المؤدية الى سلامتها في المعاد، وحسن سياستها للمنزل والريعية وهذا نفسه، لا غيره، هو الغرض في الشريعة، هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من العلماء بالفلسفة ولا بين أحد من العلماء بالشريعة»^(٢).

الفلسفة عند الطباطبائي.

«الفلسفة هي البحث الذي يهدف الى اثبات الوجود الحقيقي للأشياء، وتشخيص علل واسباب وكيفية ومرتبة وجودها»^(٣).

الفلسفة عند مغنية.

«اما الفلسفة فهي العلم الوحيد الذي يبحث في الوجود مجرداً عن كل قيد، وبقطع النظر عن كونه طبيعياً أو غير طبيعي»^(٤).

الفلسفة عند Webster.

«الفلسفة هي حب الحكمة، والعلم الذي يبحث عن الحقائق واساسياتها،

(١) المصدر السابق ص ٥٧ - ٥٨

(٢) المصدر السابق ص ٧٧

(٣) اسس الفلسفة والمذهب الواقعي، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ص ٤٤ - ٤٧

(٤) معالم الفلسفة الاسلامية، محمد جواد مغنية، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣

وعن طبيعة الانسان واتجاهاته»^(١).

الفلسفة عند Zeigler .

«أنها العلم السني يبحث عن الحقائق، وعن اساسيات الحقيقة ومشكلاتها، لمحاولة وصف تلك الحقائق وتحليلها وتقييمها»^(٢).

«الغاية من الفلسفة»

يقول ابن حزم إن الغرض المقصود من تعلم الفلسفة، هو اصلاح النفس بأن تستعمل في دنيا الفضائل وحسن السيرة المؤدية الى سلامتها في المعاد، وحسن سياستها للمنزل والرعية وهذا هو نفسه الغرض من الشريعة^(٣).

«إن في علم الأشياء بحقائقها، علم الربوبية، وعلم الوجدانية، وعلم الفضيلة، وجملة علم كل نافع والسبيل اليه والبعد عن كل ضار، والاحتباس منه، واقتناء هذه جميعاً هو الذي أتت به الرسل الصادقة عن الله جل ثناؤه. فإن الرسل الصادقة صلوات الله عليها إنما أتت بالاقرار بربوبية الله وحده ويلزوم الفضائل المرتضاة عنده وترك الرذائل المضادة للفضائل في ذواتها وإيثارها»^(٤).

بعد أن أشرنا الى التعريفات المتعددة للفلسفة، وما انطوت عليه من افكار متقاربة ومتضاربة، فالتنا نستطيع ان نقول بأن الهدف الاسمي من الفلسفة هو الوصول الى حقائق ومواطن الأمور أو الأشياء، ومن ثم التصرف والسلوك في ضوء ذلك. فالأساس الأول هو الوصول الى حقائق الأمور والأشياء، بغض النظر عن السبل والطرائق المتبعة. والأساس الثاني يتجسد في الالتزام الفكري

(١) James, A. Bailey, a tel. physical Education and the physical Educator, Boston, 1976. pp. 225

(٢) William A. Harper, et al., The philosophic process in physical Education U.S.A. 1979 pp. 98

(٣) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، مصطفى عبد الرازقي، الطبعة الثالثة مكتبة النهضة

المصرية، القاهرة، ص ٧٧

(٤) رسالة الكليني في الفلسفة الاولى ص ١٠٤

والسلوكي في ضوء تلك الحقائق التي تم الوصول إليها . وإذا لم يأخذ الأساس الثاني مكانه فإن البحث عن الحقيقة يعتبر مضيقاً للوقت ونوعاً من أنواع العبث الذي يجب أن يعتمد عنها كل ذي لب وجنان . وهذا يشير إلى أن معرفة الحقيقة وعدم الالتزام بها مهما كلف الأمر يعني أن معرفة الحقيقة وعدمها سيان .

وفي ضوء ما تقدم يمكننا أن نقول بأن الوصول إلى الحقائق يمكن أن يكون من خلال مصدرين . المصدر الأول هو كل ما يستطيع أن يعرفه الإنسان من حقائق عن طريق الهدى والنور السماوي الذي وعدنا الله به ؛ لكي لا يكون للناس على الله حجة . أما بالنسبة إلى المصدر الثاني فهو كل ما توصل إليه البشر من معرفة حقائق .

لذلك فإن الفكر الفلسفي على هذا الأساس يمكن أن يقسم إلى شطرين ؛ الشطر الأول ، الفكر الفلسفي الإسلامي ، والشطر الثاني ، الفكر الفلسفي البشري .

«الفكر الفلسفي البشري»

يعد الفكر الفلسفي البشري نتاج الفلاسفة الذين قد صرفوا جزء كبيراً من حياتهم لدراسة حقول العلم والتوسع في المعرفة من أجل تأهيل أنفسهم للبحث عن الحقيقة وقد استطاع الفلاسفة أن ينسجوا فكراً فلسفياً متعدداً ليؤدي إلى ولادة عدة مدارس فلسفية، وسوف نتعرض إلى هذه الفلسفات بإيجاز.

الفلسفة الطبيعية NATURALISM

تعد من أقدم الفلسفات البشرية ظهوراً، حيث يرجع تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد، على يد فلاسفة ملسان (Milesian philosophers) الذين كانوا يقطنون في شرق تركيا. ويعد ثالس زعيم هؤلاء الفلاسفة، وهو الذي صرح بضرورة الماء لكل شيء. ويعتبر الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau رائد هذه الفلسفة. ومن أهم مبادئ هذه الفلسفة:

- ١ - الشيء الوحيد الحقيقي في هذا الكون الطبيعة.
- ٢ - الطبيعة هي مفتاح الحياة، وإن كل شيء نعمله هو جزء من الطبيعة.
- ٣ - كل شيء في هذه الحياة يتحرك حسب قوانين الطبيعة.
- ٤ - الطبيعة لا تتغير لذلك يمكن الاعتماد عليها.
- ٥ - إن كل فرد يُعد أهم من المجتمع فعلى ضوء ذلك فإن أهداف المجتمع تعتبر ثانوية إذا ما قورنت بأهداف الفرد^(١).

الفلسفة المثالية (IDEALISM)

يعد سقراط (Socrates. 489-399 B.C) أول من بحث في الفلسفة المثالية، إلا

ان هذه الفلسفة تَقترن باسم افلاطون (Plato, 427-347 B.C) لانه هو الذي دونها ورتبها بشكل مفصل . ومن اهم مبادئ الفلسفة المثالية :

- ١ - جميع الاشياء الحقيقية تأتي من العقل .
- ٢ - ان الانسان يترجم ويحلل كل شيء بواسطة العقل .
- ٣ - وجود الانسان في هذه الحياة يركز تماماً على العقل .
- ٤ - ان الانسان اهم من الطبيعة .
- ٥ - ان القيم الخلقية لا تتأثر بسلوك الافراد حيث انها ثابتة لا تتغير حسب الظروف .
- ٦ - ان الانسان لديه الحرية في ان يختار بين الصواب والخطأ .
- ٧ - العقل يُعدّ القوة الرئيسية التي تساعد القرد لكشف أسرار الكون^(١) .

الفلسفة الواقعية (REALISM)

يعد ارسطو (Aristotle, 384-322 B.C) زعيم الفلسفة الواقعية ، كما انه من احد تلامذة افلاطون . ومن اهم مبادئ هذه الفلسفة :

- ١ - ان العالم جزء من الطبيعة ويمكن التعرف على أسراره عن طريق الاحاسيس والخبرات .
- ٢ - جميع الاشياء المادية التي تحدث في هذا العالم تعتمد على القوانين الطبيعية .
- ٣ - يمكن للانسان معرفة الحقيقة عن طريق الاسلوب العلمي علماً بأن الانسان لا يستطيع ان يعرف كل شيء .
- ٤ - لا يمكن فصل العقل عن الجسم ، كما انه لا يوجد اي سيطرة لاحدهما على الآخر ولكن هناك علاقة منسجمة بين الاثنين .
- ٥ - الفلسفة المثالية والواقعية تجيزان تواجد الدين والفلسفة مع بعضها البعض^(٢) .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٤

(١) المصدر السابق ص ١٣٢

الفلسفة التفعية ، البراجماتية (PRAGMATISM)

إن هذه الفلسفة تعد المشاركة الامريكية الجادة في الفكر الفلسفي ، ويعود الفضل في هذا العمل الفلسفي الى كل من :

(١) تشارلز بيرس

Charles S. perice-1839-1914)

(٢) وليم جيمس

(William James-1842-1910)

(٣) جون ديوي

(John Dewey-1859-1952)

ومن أهم مبادئ هذه الفلسفة :

- ١ - كل شيء في هذه الحياة قابل للتغير ما عدا الموت حيث ان الصفة السائدة لكل شيء هو التغير.
- ٢ - كل فرد يعد جزءاً من المجتمع وله دور معين فيه ، وان تصرفات الفرد تؤثر في المجتمع .
- ٣ - اهداف الافراد واهداف المجتمع يجب ان تكون في خط واتجاه واحد .
- ٤ - ان الطريقة المثلى لمعرفة قيمة النظرية والحكم على الحقيقة هو البرهان عن طريق العمل فاذا ثبت نجاحه فان القيمة تعطى على هذا الاساس^(١) .

الفلسفة الوجودية (EXISTENTIALISM)

إن الفكر الفلسفي الوجودي برز الى حيز الوجود على يد العالم الدنماركي (Soren Kierkegaard, 1813-1855) ، ومن زعماء هذه المدرسة الفيلسوف الالمانى المعاصر (Martin Heidegger, 1889-1976) ومن أشهر زعماء هذه الفلسفة الفيلسوف

(١) المصدر السابق ص ١٣٦

الفرنسي الشهير سارتر (Jean-Paul Sartre) . ومن اهم المبادئ الأساسية لهذه الفلسفة ما يلي :

- ١ - ان الوجود الانساني هو الحقيقة الوحيدة في هذه الكون .
- ٢ - كل انسان له الحق ان يحدد القيم الحياتية لنفسه .
- ٣ - بعد الفرد اهم من المجتمع ، لذلك يجب ان يكون التركيز على اهداف الفرد أولاً .
- ٤ - إن الأشياء السيئة لا يمكن تغييرها^(١) .

الفلسفة الشيوعية (COMMUNISM)

هي مفهوم مادي للحياة بطريقة دياكتكية (جدلية) . ومن زعماء هذه الفلسفة لينين (Lennn, 1870-1924) وستالين (Stalin, 1879-1953) . ومن أشهر رواد هذه الفلسفة الفيلسوف الالمانى الشهير كارل ماركس (1818-1883) . ومن أبرز مذاهب هذه الفلسفة المذهب الاشتراكي .

ولكن عندما استطاع زعماء هذه الفلسفة الوصول الى السلطة على أثر الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ وحاولوا جامهدين تطبيق الفكر الفلسفي الشيوعي لم يتسن لهم ذلك للتعارض الواضح بين الفكر المراد تطبيقه من جهة ، والنزعات والدوافع الانسانية الفردية من جهة اخرى . لذلك كان لا بد من اقامة نظام اشتراكي مرحلي ، حتى يتم تطوير الانسانية من حيث الدوافع والنزعات والافكار الفردية لتصبح دوافع ونزعات وافكاراً جماعية بعد الانتهاء من المرحلة الاشتراكية ، ومن ثم ستطبق المبادئ الشيوعية بالكامل .

الفكر الفلسفي الإسلامي

مقدمة .

قبل ان نتطرق الى تاريخ الفلسفة الإسلامية، والتعرف الى حقيقتها وماهيتها، لا بد من الالتفات الى ما قاله الفلاسفة والمفكرون حول الفلسفة الإسلامية .

يقول المستشرق جوتيه، استاذ تاريخ الفلسفة الإسلامية في الجزائر: «ان الفلسفة اليونانية هي التي سادت فلاسفة الإسلام الى هذا الاتجاه، وهي كانت مستمد عناصره، ذلك بأن فكرة التوفيق بين الفلسفة والدين هي فكرة مزيج واتصال، وليس غير التفكير الأري لمحاولة الاتصال بوسائل متدرجة في سلسلة متتابعة بين صدين هما: الإسلام دين الفصل، وفلسفة الوصل اليونانية»^(١).

يقول ابن سينا في مقدمة كتابه «منطق المشرقيين» «تحكم ارسطو والمثاليين في عقول المتفلسفة الإسلامية»^(٢) «وليس بين العلماء نزاع في ان الفلسفة الإسلامية متأثرة بالفلسفة اليونانية ومذاهب الهند، وآراء الفرس . ولعل هذا هو الذي يجعل الباحثين في تاريخ التفكير الإسلامي، والفلسفة الإسلامية من الغربيين، يقصدون في دراستهم الى استخلاص العناصر الاجنبية التي قامت الفلسفة الإسلامية على اساسها، أو تأثرت

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، مصطفى عبد الرزاق، الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣

بها في ادوارها المختلفة، يجعلون ذلك همهم، ويتحرون على الخصوص إظهار أثر الفكر اليوناني في التفكير الإسلامي واضحاً قوياً^(١).

يقول الدكتور حسام الدين الألوسي : «إن التأثير اليوناني في الفلسفة الإسلامية . هو تأثير من جانب المدرسة المثالية اليونانية فقط، ذلك أنني لا أعرف حسب علمي فيلسوفاً أو متكلماً إسلامياً واحداً متميماً كلياً إلى الفلسفة المادية الخالصة، أو بمعنى آخر لا يؤمن بوجود الله، وإن كان بعضهم مثل الرازي وأبي العلاء لا يعتقدون بالنبوات أو أن بعضهم ينكر العالم الآخر مثل ابن رشد، أو ينكر البعث الجسدي - مثل سائر الفلاسفة»^(٢).

يقول تمان في كتابه «المختصر في تاريخ الفلسفة» معبراً عن رأي مؤرخي الفلسفة في الفلسفة الإسلامية : «يكاد يكون أرسطو من بين سائر الفلاسفة الذي استرعى انظار العرب وقد تلقوا جملة ما ألفه أرسطو ولكنهم تلقوها على الحقيقة عن تراجم ناقصة جداً بوساطة خادعة هي وساطة المذهب الافلاطوني الجديد، وأضافوا إلى هذا دراسة العلوم الرياضية والتاريخ الطبيعي والطب. لكن عدة عقبات ثبّطت تقدمهم، وهذه العقبات هي :

- ١ - كتابهم المقدس الذي يعوق النظر العقلي الحر.
- ٢ - حزب أهل السنة، وهو حزب مستمسك بالنصوص.
- ٣ - أنهم لم يلبثوا أن جعلوا لأرسطو سلطاناً مستبداً على عقولهم، ذلك إلى ما يقوم دون حسن تفهمهم لمذهب من الصعوبات.
- ٤ - ما في طبيعتهم القومية من ميل إلى التأثير بالأوهام، من أجل ذلك لم يستطيعوا أن يصنعوا أكثر من شرحهم لمذهب أرسطو وتطبيقه على

(١) المصدر السابق صفحة ٩٨.

(٢) دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي، د. حسام الدين الألوسي . المؤسسة العربية

للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٠٦

قواعد دينهم الذي يتطلب ايماناً اعمى ، وكثيراً ما اضعفوا مذهب
ارسطو وشوموه ، وبذلك نشأت بينهم فلسفة تشبه فلسفة الامم
المسيحية في القرون الوسطى ، تعنى بالبراهين الجدلية التعسفية ،
وتقوم على اساس من النصوص الدينية^(١) .

قال كوزان الفيلسوف الفرنسي المتوفى سنة ١٨٤٧م في محاضراته في
تاريخ الفلسفة بجامعة باريس . «المسيحية التي هي آخر ما ظهر على الأرض
من الاديان ، هي أيضاً اكملها .

والمسيحية تمام كل دين سابق ، وغاية الثمرات التي تمخضت عنها
الحركات الدينية في العالم وبها خُتمت .

الدين المسيحي ناسخ لجميع الاديان . . . كذلك كان الدين المسيحي
انسانياً واجتماعياً الى اقصى الغايات ، ومن اراد دليلاً فليَظنر ماذا اخرجت
المسيحية وجماعة المسيحيين للناس : اخرجت الحرية الحديثة والحكومات
النيابية . ثم لينظر من دون المسيحية ما اخرجت منذ عشرين قرناً سائر الاديان .
ماذا انتج الدين البرهمي والدين الإسلامي ، وسائر الاديان التي لا تزال قائمة
فوق ظهر الأرض ؟

انتج بعضها انحلالاً موعلاً ، وبعضها أثمر استبداداً ليس له مدى . أما
أوروبا المسيحية فهي - لا سراها - مهد الحرية ، ولو أن المقام والوقت يسعفان ،
لأثبت لكم أن المسيحية التي كانت الحكومات النيابية ثمرة لها هي التي تستطيع
وحدها أن تقيم هذه الصورة العجيبة من صور الحكم التي تؤلف بين النظام
والحرية . والمسيحية أيضاً هي التي بعد أن صانت ذخائر الفنون والآداب
والعلوم بعثتها بعثاً قوياً ، المسيحية هي اصل الفلسفة الحديثة^(٢) .

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، مصطفى عبد الرازق ، الطبعة الثالثة مكتبة النهضة
المصرية . القاهرة . ١٩٦٦ . ص ٥

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم . الخوارزمي ، المطبعة الشرقية ، ١٣٢٨هـ ، ص ٦١ - ٦٢

يقول الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣هـ (٩٩٣م) في كتاب «مفيد العلوم ومبيد الهموم» في الباب الثالث في الرد على الفلاسفة - «هم قوم من اليونانيين تحذلقوا في المعقولات حتى وقعوا في وادي الحيرة والخباط، وتحيروا في الالهيات، وبنوا مقالاتهم على التشهي المحض والدعاوى الصرف. يزعمون انهم أكيس خلق الله. وسياق مذهبهم يدل على انهم أجهل خلق واحمق الناس، وأساس الالحاد والزندقة مبني على مذهبهم، والكفر كله شعبة من شعبهم. وكانوا يترهبون لقطع النسل، ورئيسهم افلاطون الملقب، لعنه الله، قال لموسى ابن عمران رسول الله وكليمه: كل شيء تقوله أصدقك فيه إلا قولك الحق: «وكلمني علة الملل». انظر الى اعتقاد هذا الخبيث كان يكذب رسول الله ويعتقد ان الله تعالى لا كلام له البتة»^(١).

قال الجاحظ في الفلسفة مادحاً: «الفلسفة اداة الضمائر، وآلة الخواطر، ونتائج العقل، وأداة لمعرفة الاجناس والعناصر، وعلم الاعراض والجواهر، وعلل الاشخاص والصور، واختلاف الاخلاق والعبائع والسجاياء والغرائز»^(٢).

وقال في باب الدم: «الفلسفة كلام مترجم وعلم مرجم، بعيد مداه قليل جدواه، مخوف على صاحبه سطوة الملوك وعداوة العامة»^(٣).

والغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ (١١١١م) يقول في كتابه: تهافت الفلاسفة: «ان الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق ثلاثة أقسام: قسم يرجع النزاع فيه الى اللفظ، وقسم يصدم مذهبهم فيه أصلاً من أصول الدين، والقسم الثالث ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين، كالقول في حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الاجساد والابدان، فهذا الغش ونظائره هو الذي ينبغي ان يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عدا»^(٤).

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، مصطفى عبد الرازق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ١٢٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٢٠.

(٤) المصدر السابق ص ٨٣

(٣) المصدر السابق ص ٨٣

ويقول الشيخ محمد عبده في «رسالة التوحيد» في وصف موقف رجال الدين من الفلاسفة منذ عهد الغزالي: «وجاء الغزالي ومن على طريقته فأخذوا جميع ما وجد في كتب الفلاسفة مما يتعلق بالالهيات، وما يتصل بها من الأمور العامة أو أحكام الجواهر والاعراض، ومذاهبهم في المادة وتركيب الاجسام، وجميع ما ظنه المشتغلون بالكلام شيئاً من مباني الدين، واشتدوا في نقله، وبالنسبة المتأخرون منهم حتى كاد يصل بهم السير الى ما وراء الاعتدال»^(١).

ويقول المولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٢هـ (١٥٥٥م) في كتاب «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» «إن كل ما خالف الشرع فهو مذموم، بينما طائفة سموا انفسهم حكماء الإسلام عكفوا على دراسة ترهات أهل الضلال وسموها الحكمة، وربما استجهلوا من عُرِيَ عنها، وهم اعداء الله واعداً انبيائه ورسله، المحرفون كلم الشريعة عن مواضعه، ولا تكاد تلقى أحداً منهم يحفظ قرآناً ولا حديثاً. وانما يتجملون برسوم الشريعة خذراً من تسلط المسلمين عليهم والا فهم لا يعتقدون شيئاً من احكام الشرع بل يريدون ان يهدموا قواعده وينقضوا عراه عروة عروة»^(٢).

ويقول صاحب كتاب «الدر المختار شرح تنوير الابصار» علاء الدين محمد بن علي الحصكى المتوفى سنة ١٠٨٨هـ (١٦٧٧م): «واعلم ان تعلم العلم يكون فرض عين، وهو بقدر ما يحتاج لدينه، وفرض كفاية، وهو ما زاد عليه لنفع غيره، ومنهوباً، وهو التبحر في الفقه وعلم القلب، وحراماً، وهو علم الفلسفة والشعوذة والتنجيم والرمل وعلوم الطبائع والسحر والكهانة»^(٣).

ماهية الفلسفة الإسلامية

بعد أن ألقينا بعض الضوء على أقوال بعض المستشرقين، واقوال بعض الفلاسفة المسلمين، وارااء رجال الدين حول المفهوم الفلسفي بشكل عام،

(١) رسالة التوحيد، محمد عبده، الطبعة الاولى، ١٣١٥هـ - صفحة ١٣

(٢) المصدر السابق صفحة ٨٦ - ٨٧ (٣) المصدر السابق صفحة ٨٨

والمفهوم الفلسفي الإسلامي بشكل خاص، وجدنا أن هناك تفاوتاً كبيراً بين هذه الآراء المتعددة حول الفكر الفلسفي الإسلامي. فهناك آراء تقول بأن الفلسفة الإسلامية تأثرت بشكل مباشر وكبير بالفلسفة اليونانية، وبالذات الفلسفة المثالية والفلسفة الأرسطية، كما أن هناك آراء تقول بأن الفلاسفة اليونان قد تحكموا بعقول الفلاسفة المسلمين حيث أن الفلسفة الإسلامية هي فلسفة يونانية بطابع إسلامي. وهناك رأي رجال الدين الذين عدّوا الفلاسفة أساساً للكفر والالحاد بسبب الأمور المتناقضة التي جاء بها هؤلاء الفلاسفة سواء أكان التناقض مع تعاليم السماء الحقة أم كان التناقض بين بعضهم البعض.

اتنا قبل أن نخوض في تحديد معالم الفلسفة الإسلامية، أو الفكر الفلسفي الإسلامي، لا بد أن نُميز بين الفكر الفلسفي الإسلامي والفكر الفلسفي البشري من حيث السبل التي تتبع في التعرف على حقائق الأشياء ومكوناتها. أما بالنسبة إلى الفكر الفلسفي الإسلامي، فإنه يعتمد على الوحي في معرفة الحقائق المتعلقة بجميع الأمور المتعلقة بالمعضلات العاتية التي واجهت الإنسان منذ فجر التاريخ حتى يرث الله الأرض ومن عليها. هذا في الوقت الذي تعتمد فيه الفلسفات البشرية في الوصول إلى الحقيقة على العقل بالرغم من أن المعرفة التامة عند جميع المفكرين والفلاسفة بأن العقل قاصر عن معرفة جميع الحقائق وبالذات الحقائق التي تتصل بالأمور الغيبية.

وإذا كان كانت (Kant) قد هدف من الحديث عن نقائص العقل إلى بيان أن العقل يثبت الشيء ونقيضه في وقت واحد ومن جهة واحدة، وهذا دليل على عجزه وقصوره إذا اقتحم بعض الميادين التي لا ينبغي له أن يقحم نفسه فيها، فإن الغزالي أيضاً قد هدف إلى ذلك من قبلُ بعدة قرون. فمقاصد الفلاسفة بالإضافة إلى نهافت الفلاسفة ينتج لنا نقداً رائعاً للعقل الخالص. والغزالي في هذين الكتابين، أثبت الشيء ونقيضه في وقت واحد ومن جهة واحدة، وهذا دليل على قصور العقل وعجزه كما فعل كانت^(١).

(١) الفلسفة الإسلامية في المشرق، الدكتور فيصل بدير عون، جامعة عين شمس، مكتبة =

يقول ديكرات في كتاب التأملات : « . . . انما مرجع خطئي هذا الى ما منحني الله من قوة على تمييز الصواب من الخطأ ، هي عندي قوة متناهية محدودة . . . لا ريب انه ليس لدي من داع للشكوى من ان الله يهيني ذكاء أوسع ، او نوراً فطرياً أكمل ، مما وهبني ما دام من طبيعة الذهن المتناهي الا يكون محيطاً بأشياء كثيرة ، ومن طبيعة الذهن المخلوق ان يكون متناهياً » (١) .

ومن احدى النتائج التي وصل اليها كانت : « ان موضوعات الميتا فيزيقا لا يمكن ان توجد فيها معرفة عقلية صحيحة ، لا على اساس الاحكام التركيبية الاولى ولا على اساس الاحكام التركيبية الثانية » (٢) .

إن الذي يشد الحقيقة لذاتها والتفني بظلالها والسلوك على نورها يجب أن لا يلتفت الى السبيل التي توصل الى الحقيقة طالما انه يقصد الوصول الى الحقيقة ، اما الاصرار على سبيل واحدة دون غيرها في الوصول الى الحقيقة فهذا نوع من الجدال والمناورة بقصد الوصول أو تحقيق غايات معينة تجول في النفس ، وهذا هو بعينه التحيز الذي يطمس الحقيقة والسبيل المؤدية اليها .

ويبدو بوضوح النقص والضعف في العقل البشري للقاريء عند التبصر في المدارس الفلسفية البشرية حيث التناقض والاختلاف حول أغلب الأمور التي تم بحثها فلسفياً . ففي الوقت الذي توصل فيه العقل الى وجود إله ، بالإضافة الى وجود كون آخر غير هذا الذي نحسّه بأحاسيسنا ، فاننا نجد نفس العقل البشري ينكر وجود إله وكون آخر غير الذي نراه ، هذا الذي جاءت به المدارس الفلسفية البشرية ؛ الشيء ونقيضه .

كما لا بد من الاشارة الى ان معرفة الحقيقة وعدعها سيان في ضوء الفلسفة البشرية سواء من حيث التأثير على سلوك الانسان واعداه التربوي العام . فإين

١ - الحرية الحديثة ، ١٩٨٢ . ص ٤١٢

(١) التأملات ، ديكرات ، ترجمة د . عثمان امين ، مكتبة القاهرة ، ١٩٥٦

(٢) فلسفتنا محمد باقر الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ١٤٩ .

الفارق بين الانسان الذي يعتقد بوجود إله وكون آخر غير الذي نحسه في ضوء الفلسفة المثالية، والانسان الذي ينكر وجودهما في ضوء الفلسفة الشيوعية والوجودية؟ اذا لم يكن هناك فرق فارح بينهما ويظهر ذلك على سلوك الانسان، فان معرفة الحقيقة وعدمها تؤدي الى نفس الهدف، وهنا يتشكل في اذهان البشر بأن كل من يبحث عن الحقيقة يمد مغفلاً جاهلاً، لانه يضع وقتاً من أجل لا شيء، فقط من أجل ان يتساوى سلوكاً وعملاً مع الذي لا يعرف الحقيقة، وهذا طبعاً محال أن يتساوى الذي يعرف الحقيقة ويسلك في ضوئها والانسان الذي يجهل الحقيقة ويمضي في ضوء ذلك.

بعد أن أشرنا الى أن الفكر الفلسفي الإسلامي يعتمد على مصدر الوحي، لا بد من الإشارة الى ان هناك فرقاً كبيراً بين الفكر الفلسفي الإسلامي كدين سماوي جاء بالحقائق الثابتة الدامغة لكل ما يلزم البشرية لتحيا في ضوء الحكمة والنور والهدى في الدارين الأولى والآخرة، وبين الابحاث الفلسفية التي قام بها أناس يتسبون للإسلام مع العلم بأن اغلب هذه الابحاث تجاوزت حدود الفكر الفلسفي الإسلامي السابق. بل تجاوزت المعلومات الصادقة الثابتة التي يفيض بها الفكر الفلسفي الإسلامي، فمنهم من انكر البعث والحساب، ومنهم من انكر الحشر الجسدي مع الروح. والى غيرها من الأمور بالغة الخطورة، حيث ابتعد قسم من هؤلاء الفلاسفة البعد كله عن الحقائق الجمة الوفيرة التي يفيض بها الفكر الفلسفي الإسلامي.

إن أول حقيقة بسقت عن الفكر الفلسفي الإسلامي هي خلق آدم عليه السلام. ويبدو ذلك بجلاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْتَكُمْ ثُمَّ صَوَّرْتَكُمْ ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَكِ كَذِبًا فَسَجَدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَا يَكُونُ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(١).

قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ كَذِبًا إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾^(٢).

اما بالنسبة الى الحقيقة الثانية التي صدعت بها الفلسفة الإسلامية، فهي
العداوة الابدية التي توعد وتهدد بها الشيطان آدم وذريته .

قال تعالى :

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَغْبَرْتَ أَتَمَّ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَامْرُؤُا مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ هَؤُلَاءِ لَمَنَعِي إِلَى يَوْمِ الْبَئِثِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ أُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُخَوِّضَهُمْ لَهْوِ الْجَنَّتِ هَؤُلَاءِ ۖ وَلَأُعَذِّبَهُمْ أَعْدَابُكَ ۖ وَأَلْأَعْلَمُ بِالْمُخْلِصِينَ ﴿٨٢﴾
قال تعالى :

فَقُلْنَا إِنَّمَا لَكُمْ فِي هَذَا عَذَابٌ وَلَئِنْ رَجَعْتُمْ فَلَإِيْخْرُجْتُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿٨٣﴾

قال تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٨٤﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَأَيَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ كُمْ جَزَاءً مَّقْفُورًا ﴿٨٦﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِمَّنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بَصُوتُكَ وَأَتَلَبَّ عَلَيْهِمْ خِيْلُكَ وَرَجْلُكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّتُهُمْ بِمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٨٧﴾ إِنَّ عِبَادِي لَئِسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٨٨﴾
قال تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَنَسِيخُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۖ لَيْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٨٩﴾

(١) سورة صر آية ٧٥-٨٣

(٢) سورة طه آية ١١٧

(٣) سورة الاسراء آية ٦١-٦٥

(٤) سورة الكهف آية ٥٠

قال تعالى :

وَإِذْ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا فَسْجُدْ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٥﴾

قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٦﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ النَّظِيرِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْدَنَ لِمَنْ يَرْتَلَكُ السَّعْيِ ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَا يَنْتَهُونَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٢٠﴾

وعندما ابتعد آدم عن الحقيقة الثانية وهي عداوة الشيطان له ، حيث وقع في شرك الشيطان عندما أتى الشجرة التي أمره أن لا يقربها ، تبين له حقيقة هذه الحقيقة الناصعة البيضاء ، وهي عداوة الشيطان الابدية الى آدم وذريته ، ويبدو ذلك بوضوح في قوله عز من قائل

قال تعالى :

وَبَعَادَ آدَمُ أَهْلَكَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيَدِي لَهُمَا وَوَرَى عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَوْبِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٢﴾ وَقَامَسَهُمَا إِلَى لَمَّا لَيْنَ اللَّصِيبِ ﴿٢٣﴾ فَذَلَّهُمَا بِمُرَرِّ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطُفِقَا يَخْصِفَايْنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾

يبدو بوضوح استسلام آدم وزوجه الى الحقيقة بعد ان وضعا تلك الحقيقة في حيز التجربة ، عندما اذعنا الى الشيطان واتبعنا وسوسته ، ولكن سرعان ما توجهنا الى التوبة وطلب الغفران من الله سبحانه وتعالى .

(١) سورة الاحراف آية ١٢-١٧

(٢) سورة الاحراف آية ١٩-٢٣

ومن الحقائق التي يفيض بها الفكر الفلسفي الإسلامي حقيقة ارسال الهدى والنور الى الانسان بعد ما تقرر اذن الهبوط الى الارض عن طريق الانبياء والمرسلين، فالذي يتبع هذا النور والهدى يكون قد وصل الى سدره الصواب، حيث الفوز المبين والأمن والطمأنينة، والعيش الرغيد في دار الخلود والسلام، اما الذي ينو وينأى بجانبه عن هذا الهدى والنور، فان موئلهم جهنم وبئس المصير.

قال تعالى :

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

قال تعالى :

يَبْقَىٰ هُدًى مَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمَا يَتَّبِعْهُ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤١﴾

قال تعالى :

قَالَ اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلُ إِلَىٰ عَذَابٍ وَلَا يَحْزَنُ ﴿٤٢﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فُتَحَّ لَهُ مَعِيضَةٌ مِّنْكُمْ وَتَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ ﴿٤٣﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿٤٤﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسىٰ ﴿٤٥﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشدُّ وَأُنْفَىٰ ﴿٤٦﴾

وهنا تأتي اللفتة الإلهية الباسقة الى بني البشر جميعاً، بأن يتعظوا من الخطأ الذي وقع فيه آدم عليه السلام عندما ابتعد عن الحقيقة واتبع وساوس الشيطان.

قال تعالى :

يَنْبِئُ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ نَجْمِهِمَا إِنَّكُمْ بِرَبِّكُمْ هُمْ وَفِيهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَأْتُونَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾

إن الفكر الإسلامي هتف ونادى به جميع الانبياء والمرسلين ، ابتداءً بسيدنا نوح عليه السلام واختتم بخاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى :

وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٨﴾

قال تعالى :

رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِتَلَايَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾

وقد اكتمل هذا الفكر في آخر عهد خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم حيث يقول الباري عز وجل في هذا الصدد .

قال تعالى :

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٢٠﴾

(١) سورة الاعراف آية ٢٧

(٢) سورة الانعام آية ٤٨

(٣) سورة النساء آية ١٦٥

(٤) سورة المائدة آية ٣

ان هذا الفكر جميعه من عند الله سبحانه وتعالى وهو بمثابة الهدى والنور والحكمة لكي يتفيا في ظلاله المتقون ويفوزوا بنعيمه في دار السلام والخلود، وليس لأحد من البشر مهما كانت صفته ان يزيد، أو ينقص شيئاً من هذا الفكر، أو يأتي بشيء يناقض هذا الفكر ويزعم ان هذا الشيء من الفكر الإسلامي أو يمثل الفكر الفلسفي الإسلامي . ويبدو ذلك بوضوح في قول الباري عز وجل مخاطباً رسوله محمداً بن عبده تارة، وتارة أخرى مخاطباً البشرية جمعاء، بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت بشيء من عنده، ولو أتى بشيء تقوله على الله لوقع عليه العذاب المباشر من الله سبحانه وتعالى، ولن يجد من ينصره من دون الله .

قال تعالى :

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِرَمْعِهِمْ مَا أُحْلَ اللَّهُ لَكَ تَنْفِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

قال تعالى :

فَلَا أَقِيمُ بِمَا تُشِيرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَاهُو قَوْلُ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَافٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَالِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْآوِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّ لَكُمْ لَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾

كما ان هذا الفكر قد تم ابلاغه من قبل المرسلين بصورة كاملة وافية لا يشوبها أي ضعف أو نقص .

قال تعالى :

عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٥﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ

(١) سورة التحريم آية ١

(٢) سورة الحاقة آية ٣٨-٤٨

يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَنْ خَلَفَ مِنْكُمْ خَلْفَةً ۖ لَعَلَّكُمْ أَتَقْوُونَ ۚ لَعَلَّكُمْ أَتْلُوهُ ۚ قَدْ أَفْلَحَ الْوَعْدُ ۚ لَعَلَّكُمْ أَتْلُوهُ ۚ رَسَلْنَاكَ رَحِيمًا وَحَسَنًا ۚ

لذلك فان الامام علياً كرم الله وجهه قد ذم اختلاف العلماء في الفتيا، حيث قال: «ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية على غيره فيحكم فيها بخلافه، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم، فيصوب آراءهم جميعاً والله واحد ونبههم واحد وكتابههم واحد. انأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه. ام تهاهم عنه فعصوه. ام انزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على اتمامه. ام كانوا شركاء له. فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى، ام انزل الله ديناً تاماً فقصر الرسول صلى الله عليه وسلم وآله عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾، فيه بيان كل شيء. وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضاً، وانه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾» (١).

وخلاصة القول في هذا الموضوع ان الفكر الفلسفي الإسلامي قد تم تشويهه في اذهان الناس على مر الايام، من مختلف الفئات المتعددة، التي ارادت أن تطفئ هذا النور السماوي الساطع، الذي بعثه المولى عز وجل رحمة منه للبشر جميعاً. هذا بجانب كثرة اعداء الحق على مر التاريخ، الذين حاولوا بكل السبل والطرائق النيل من الحق المبين، الذي يفوح بنسائمه الفكر الفلسفي الإسلامي. ولكن كلمة الله سبحانه وتعالى قد سبقت واعتلت كل كيد وقول بحفظ هذا النور الباسق الساطع - مورد الحق والحقيقة - الذي يمثل الفكر الفلسفي الإسلامي لجميع من ائتاب واستقام على درب الهدى من أن تناله يد البشر بالتبديل والتحريف.

(١) سورة الجن آية ٢٦-٢٨

(٢) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الجزء الاول ص ٥٤.

الفصل الثاني

خصائص النهج الإسلامي

- مقدمة
- إلهية المصدر
- الصدق والثبات
- العموم
- الشمول
- العدل والمساواة
- الدستور الذاتي
- الرحمة - البشرية - الهدى
- الحكمة
- الخلود
- سيرة الصواب
- قوة التأثير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا
عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى
لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

سورة النحل (٨٩)

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ لِنَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا
تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿٩٥﴾

سورة النساء (١٠٥)

لَوْ أَنْزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَهُ خَدِشًا مُمْتَصِدًا عَايِنَ خَشْيَةِ
اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضِرُ بِهَا النَّاسَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٥﴾

سورة الحشر (٢١)

خصائص النهج الإسلامي

مقدمة .

بعد أن انكر الانسان وابتعد عن الحق الذي يغص به الفكر الفلسفي الإسلامي على مختلف مراحلہ ابتداءً بسيدنا نوح عليه السلام وانتهاءً بخاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم، ذهب لبحث عن الحقيقة عن طريق العقل بما يتفق مع أهوائه ونزعاته الانسانية مدعياً انه ينشد الحق والحقيقة . لذلك تعد الفلسفات البشرية نتاج الفلاسفة الذين صرفوا جزءاً كبيراً من حياتهم لدراسة حقول العلم المختلفة من أجل تأهيل أنفسهم ليصبحوا قادرين على البحث عن الحقيقة . ثم ربط تلك المعلومات وتركيبها وتحليلها لتشكل بالتالي مفاهيم واتجاهات واساسيات تعدّ الركائز الأساسية لفلسفة معينة، وتعد هذه الاساسيات التي بنيت عليها الفلسفة حجر الرحي الذي تدور حوله جميع اعمال معتنقي تلك الفلسفة حيث يستمد من هذه الاساسيات الفلسفية، الاهداف والامنيات العليا لمعتنقي تلك الفلسفة . ويتم وضع القوانين التشريعية، والقضائية، والتربوية، والاقتصادية، والاجتماعية في ضوء ذلك .

لذلك يبدو بوضوح ان الانسان الذي ادبر وابتعد عن النهج الإلهي ذهب ليشيد نهجاً آخر يناسب ما يجول في نفسه من أهواء، ونزوات، وشهوات انسانية . ولحقيقة اختلاف النزوات والاهواء عند الانسان، اختلف الفكر الفلسفي البشري ليكون عدة فلسفات متباينة ومتغايرة حتى في الاساسيات الكبرى . وبما ان درجة الكمال من الناحية العلمية والمعرفية لم يصل اليها انسان قط، فان جميع الأعمال الفلسفية البشرية تعد ناقصة بسبب النقص العلمي والمعرفي عند واضعي تلك الفلسفات .

وبما أن الجانب الأساسي لأي فلسفة يعتمد بدرجة كبيرة على الحقائق التي شيدت عليها هذه الفلسفة . فكيف يمكن ان نسلم لهؤلاء بأن ما اختاروه اساساً لفلسفاتهم وما جاءوا به من حقائق مع العلم المطلق الثابت بأن اقطاب تلك الفلسفات لم يصلوا الى درجة الكمال العلمي والمعرفي - على الأقل - للأمور التي تم بحثها في فلسفاتهم المختلفة؟

لذلك ليس غريباً أن نجد اعمالهم الفلسفية جاءت بالشيء ونقيضه ، هذا بجانب اختلافهم مع الحق المبين الذي يعبر به الفكر الفلسفي الإسلامي . كما انهم اختلفوا مع بعضهم البعض حول الأساسيات الكبرى التي تم بحثها في فلسفاتهم المتعددة .

إن النهج الإلهي الذي يمثل الفكر الفلسفي الإسلامي لكل من أناب ، واستقام ، وسلم للباري عز وجل يختلف تمام الاختلاف عن الاعمال الفلسفية التي ابتدعها الانسان لتكون له بديلاً عن هذا النهج المنير . فان هذا الفكر الباسق له صفات مؤتلة مجيدة تميزه عن غيره . ومن هذه السمات الغراء الآتي :

١ - إلهية المصدر :

إن الله سبحانه وتعالى هو الذي وهب عباده هذا النهج المنير رحمة وتلطفاً بعباده ، وهذا ما كُلف به المرسلون لتبليغه الى الانسان رغم إصرار اغلب الناس على الجحود ، والانكار ، والادبار عن الحق وأتباعه .

قال تعالى :

الرَّحْمَنُ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾

(١) سورة ابراهيم آية ١ .

قال تعالى :

الآة (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَارْتَبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَايِكَةِ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ
بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مِمَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣)

قال تعالى :

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢)

قال تعالى :

حَمْدٌ (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤)

قال تعالى :

الآة (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْقَيُّومُ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلِ هَذَا لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤)

٢ - الصلوة والشباب

يتميز الفكر الفلسفي الإسلامي عن غيره بأنه صادق وثابت لأنه نشأ وانبثق
من عند الله سبحانه وتعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
والأرضين، كيف لا وهو فقط عالم الغيب والشهادة، الذي لا يطلع على غيبه
احداً إلا وفق إرادته ومشيئته. لذلك فإن الفكر الفلسفي الإسلامي يزخر
بالمعلومات الثامّة الدقيقة فيما يتعلق بعالم الغيب وعالم الشهادة.

(١) سورة السجدة آية ١-٣

(٢) سورة الزمر آية ١-٢

(٣) سورة فصلت آية ١-٤

(٤) سورة آل عمران آية ١-٤

قال تعالى

إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ^(١)

قال تعالى

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ^(٢)

قال تعالى

وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ رَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حِسَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنْفِثُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ ^(٣)

قال تعالى

قُلْ إِنْ تَخِفُوا مَا فِي مُدُورِكُمْ أَوْ يُبْدُوهُ يَبْلُغُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَفِيدٌ ﴿١٠﴾ ^(٤)

قال تعالى

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿١١﴾ ^(٥)

قال تعالى

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ مَسْبَعَةً أَجْمَرَ مَا نَفِذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٢﴾ ^(٦)

(٢) سورة الحج آية ٧٠

(٤) سورة آل عمران آية ٢٩

(٦) سورة لقمان آية ٢٧

(١) سورة فاطر آية ٣٨.

(٣) سورة الانعام آية ٥٩-٦٠

(٥) سورة آل عمران آية ٥

قال تعالى

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدًّا لَكُنْتُ رَبًّا لَنُودًا الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كُنْتُ رَبًّا وَلَوْ جُمُوعُ شَيْثَانٍ
مَدًّا (١)

اما بالنسبة لصفة الثبات التي يتميز بها الفكر الفلسفي الإسلامي يبدو
بجلاء في وعد الله سبحانه وتعالى بحفظه من أن تناله ايدي البشر بالتحريف
والتبديل ليعتق مع ما تشرب له الانفس البشرية التي انحرفت عن جادة
الصواب .

قال تعالى

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنَافِظُونَ ﴿١﴾ (٢)

٣ - العموم

يتصف الفكر الإسلامي بالعمومية حيث انه يناسب كل انواع البشر بما
يحتوي من هدى، وبشرى، ورحمة، وذكرى، وبهذا ارسل الله سبحانه وتعالى
المرسلين لبني البشر على مر التاريخ حتى انتهى الامر بالرسالة التي جاء بها
خاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ (٣)

٤ - الشمول

يتميز الفكر الإسلامي عن غيره من الافكار الفلسفية الاخرى بكونه شاملاً
لكل شيء يحتاجه الانسان في حياته الدنيا لجميع الامور الاسامية التي تنير له
الدرب وتوضح له المسار القويم لئال الفوز والسلام في اليوم الآخر . وهذا النوع
من الشمول هو شمول المضمون والمحتوى .

(١) سورة الكهف آية ١٠٩

(٢) سورة الحجر آية ٩ .

(٣) سورة سبأ آية ٢٨ .

قال تعالى

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَيْنَا (١)
هَؤُلَاءِ نَزَّلْنَاهَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَفُشْرًا لِلْمُسْلِمِينَ
قال تعالى

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلَمٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُنْمِئْنَا لَكُمْ مَافَرَطْنَا فِي
الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٢)

كما أن الفكر الفلسفي الإسلامي يمتاز بالشمول الاعتقادي والتطبيقي لكل ما ينطوي عليه هذا الفكر وهذا بعينه الذي يشكل المصدقية، والصدق، والثبات عند أتباع هذا الفكر دون غيرهم من الناس سواء اكانوا يتبعون افكاراً فلسفية أخرى أم يتبعون بعضاً من الافكار التي يطرحها الفكر الفلسفي الإسلامي.

قال تعالى

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ
أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣)

قال تعالى

أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ
ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ
الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٤)

٥ - العدل والمساواة

إن من أهم الصفات الباسقة الموثلة التي يتحلى بها الفكر الفلسفي

(٢) سورة الانعام آية ٣٨

(٤) سورة البقرة آية ٨٥

(١) سورة النحل آية ٨٩

(٣) سورة الاحزاب آية ٣٦

الإسلامي سمة العدل بين الناس دون انحياز بحق أحد لحساب أحد مهما كانت الظروف والملاسات حول أية قضية كانت، فالجميع سواسية كأسنان المشط امام القضاء الإسلامي المستمد من الفكر الفلسفي الإسلامي . قال تعالى

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨)^(١)
قال تعالى

وَلِإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١١﴾^(٢)
٦ - الدستور الذاتي

في الوقت الذي يسعى فيه اتباع الفلسفات البشرية لوضع الانظمة التشريعية والدساتير، والانظمة القضائية، بما يتفق مع الاساسيات الفلسفية التي اختاروها لتكون نهجاً حياتياً لهم ، فان الفكر الإسلامي يحتوي على دستور ذاتي إلهي يهدف الى إقامة العدل بين الناس . وهذا الدستور ملزم لجميع اتباع هذا الفكر حيث إن كل من ينبو عن هذا الدستور جزئياً أو كلياً يكون قد ضل جادة الطريق ، وخطأ في الوصول الى سدة الصواب في الدنيا والآخرة . قال تعالى

وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا بَيْنَكُمْ شُرَعًا وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْنَاهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَسَبَلْنَاهُمْ فِيمَا فُتِنْتُمْ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْبُرْهَانَ فَاسْتَقِمْ وَالْغَيْرِزَاتُ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنْزِلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَن أَوْحَىٰ إِلَيْكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ وَأَحْزَرُهُمْ أَن

(١) سورة النساء آية ٥٨ .

(٢) سورة المائدة آية ٤٢ .

يَتَسَوَّلُكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ
ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثُرَ بَيْنَ النَّاسِ لَفَتَقُونَ ﴿٥١﴾ (١)

قال تعالى

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا
يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٢﴾ (٢)

قال تعالى

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿٥٣﴾ (٣)

قال تعالى

أَفْضَرُ اللَّهُ أَتَبَعِيَ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ
مَاتَتْهُمْ أَلْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٥٤﴾ (٤)

قال تعالى

أَفَحُكْمَ الْمَلَأِيهِ يَتَّبِعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حَكَمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٥﴾ (٥)

قال تعالى

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ
لِلْخَالِفِينَ خَصِيمًا ﴿٥٦﴾ (٦)

(١) سورة المائدة آية ٤٨-٤٩

(٢) سورة النساء آية ٦٥.

(٣) سورة البقرة آية ٢١٣

(٤) سورة الانعام آية ١١٤

(٥) سورة المائدة آية ٥٠

(٦) سورة النساء آية ١٠٥.

٧ - الرحمة - البشرى - الهدى

بعد الفكر الفلسفي الإسلامي رحمة من الله سبحانه وتعالى حيث انه تعالت وجلت قدرته انه لم يكل الانسان لنفسه وللعهد الذي أخذ منه وهو في عالم الذر فأرسل المرسلين بهذا النهج الإلهي تترا بهدف هداية الانسان لكل ما يسعد الانسان ويضي له السبل للفوز في الدارين - هذا بجانب نساتم البشرى التي يفوح بها هذا الفكر لكل من أناب واستقام على هذه السبيل القويمة بأن له جنات النعيم في دار السلام والخلود.

قال تعالى

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾^(١)

قال تعالى

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ فِي هَٰذَا هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾^(٢)

قال تعالى

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ^(٣)

قال تعالى

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٧٢﴾^(٤)

٨ - الحكمة

في الوقت الذي ادبر فيه الانسان عن نساتم الهدى وشآبيب البركات التي يزخر بها الفكر الإسلامي في مختلف مراحلها ، ذهب لייحت عن الحقيقة بدافع

(١) سورة الاعراف آية ٥٢

(٢) سورة البقرة آية ٢

(٣) سورة البقرة آية ٩٧

(٤) سورة النحل آية ١٠٢

حب الحكمة، لان الحكمة يجب ان تبنى على حقائق ومعلومات صادقة .
حسبنا ان نعلم بأن الفكر الإسلامي الذي نأىء عنه الانسان يعد المورد الفياض
للحكمة وهذا ما تدل عليه الآيات القرآنية الكريمة .

قال تعالى

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾

قال تعالى

كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾

قال تعالى

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ ﴿١٣٦﴾

٩ - الحرية

تجدر الإشارة الى اعظم اساسية يتميز بها النهج الإسلامي ألا وهي القاعدة
التي يتجلى فيها تكريم المولى عز وجل للانسان واحترام ارادته وفكره ومشاعره
بأن ترك أمره لنفسه بعد أن اثار له كافة السبل والطرائق الموصلة للحق والهدى
المنبعث من عنده سبحانه وتعالى . وبذلك يكون حراً ليختار ما يريد وأن
يتحمل تبعه اعماله وافعاله وهذه هي ابرز واسمى خصائص التحرر الانساني .

قال تعالى

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى

(١) سورة الجمعة آية ٢

(٢) سورة البقرة آية ١٥١

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٤

يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

قال تعالى

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ
بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾
١٠ - الخلود

إن الذي يُقتل أو يستشهد في ضوء تعليمات الفكر الإسلامي لا يجوز
اعتباره ميتاً كما تجري سنة الله سبحانه وتعالى على الإنسان بشكل عام، فانه
يحيا حياة تليق به ملؤها الطمأنينة والسرور.

قال تعالى

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿٣٢﴾
فَرِحِينَ بِمَاءِ الْغَمِّ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَنَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ
أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٣﴾

قال تعالى

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٣٤﴾

١١ - سدره الصواب

وحسبنا نحن بني البشر ان نجتلي الحقيقة التالية، الا وهي ان الحق كله
يتجسد في ثنايا الفكر الفلسفي الإسلامي وما عداه من الفكر الفلسفي فهو باطل
ولا يؤدي إلا إلى الابتعاد عن الحق والحقيقة. هذا بجانب أنه يخلو من

(١) سورة يونس آية ٩٩

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٩-١٧٠

(٤) سورة البقرة آية ١٥٤

الحكمة . لذلك فإن الانسان بغض النظر عن جنسه ، ولونه ، ولفته ، ومكان إقامته ، وفترة وجوده على مر التاريخ ، إذا لم يكن من اتباع ومعتققي هذا الفكر الوضاء المنير ، فإنه يعد من الخاسرين الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة .

قال تعالى

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ^(١)

١٢ - قوة التأثير

إن الصفات السابقة التي وسم بها الفكر الفلسفي الإسلامي جسدت في هذا الفكر قوة تأثير باهرة تعلت حدود البشر لتطرق باب الجن والجمادات حيث تصدع ، وتخشع ، وتسلم لهذا الفكر السامق الوضاء .

قال تعالى

لَوْ أَرَادْنَا هَذَا الْقُرْآنَ أَنْ يَتَّبِعُنَا وَمَنْ يَتَّبِعُنَا فَسَبَّحُوا بُحْبُوحَةَ رَبِّهِمْ لَبَدَّلْنَاهُ حُشُوعًا مُتَّصِدًا عَامِنًا خَشْيَةً أَلَّا يَوَدَّكَ الْإِنْسَانُ أَنْ تُنَادِيَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْفَكُوا ^(٢)

أما بالنسبة الى الجن فانهم اعترفوا بلسان حالهم بأن قسماً منهم قد أنابوا واستقاموا مع الحق الذي يفوح به الفكر الإسلامي .

قال تعالى

وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ^(٣)
وَأَنَا الْقَاسِطُونَ فَمَكَوْا إِلَيْهِمْ فَخَلَبُوا ^(٤)

(١) سورة آل عمران آية ٨٥

(٢) سورة الحشر آية ٢١

(٣) سورة الجن آية ١٤-١٥

الفصل الثالث

الحكمة

- مقدمة

- تعريف الحكمة

- القرآن الكريم والحكمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَنِّدْ لَهُمُ إِلَى
هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ

سورة النحل ١٢٥

الحكمة

إن كلمة (حكمة) تعني كما يصفها اللغويون بأنها العدل، الحلم، النبوة، ما يمنع من الجهل، ما يمنع من الفساد، كل كلام موافق للحق، وضع الشيء في موضعه، صواب الأمر وسداده، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم^(١).

وعن جعفر الصادق عليه السلام قال «الحكمة ضياء المعرفة وميزان التقوى وثمرة الصلوة وما انعم الله على عبده بنعم اعظم وارفع واجزل وابهى من الحكمة»^(٢) وتلا الآية التالية:

قال تعالى

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا
وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٧﴾

والحكمة عند ابن سينا «الحكمة صناعة نظر يستفيد منها الانسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكسبه فعله لشرق بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة، وذلك بحسن الطاقة الانسانية»^(٤).

(١) اسلوب الدعوة في القرآن، محمد حسين فضل الله، صفحة ٥٢-٥٣، انظر لسان العرب مادة حكم.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، المجلد الثاني، ١٩٧٢، ص ٤٠٤.

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٩.

(٤) الفلسفة الاسلامية في المشرق، بدير عون، مكتبة الحرية الحديثة ١٩٨٢ صفحة ٢٩٦.

«والحكمة ثمرة التعليم بالقرآن الكريم، وهي ملكة يتأتى معها وضع الأمور في مواضعها الصحيحة، ووزن الأمور بموازينها الصحيحة وإدراك غايات الأوامر والترجيئات»^(١).

الحكمة عند الطباطبائي هي القضاء بالحقة المطابقة للواقع من حيث اشتمالها على سعادة الانسان كالمعارف الحقة الإلهية في المبدأ والمعاد، والمعارف التي تشرح حقائق العالم الطبيعي من جهة مساسها بسعادة الانسان، كالحقائق الفطرية التي هي اساس التشريعات الدينية^(٢).

قال محمد بن اسحاق في «ويعلمهم الكتاب والحكمة» قال يعلمهم الخير فيفعلوه، والشر فيتقوه، ويخبرهم برضا الله عنهم اذا اطاعوه؛ ليستكثروا من طاعته ويجتنبوا ما يسخطه من معصيته^(٣).

بعد أن تأملنا الأقوال السابقة عن الحكمة يبدو بوضوح ان الذي يود أن يصل الى الحكمة لا بد أن يلم بحقائق الأمور ومكنوناتها، وان يتصرف وفق تلك المعلومات الصادقة، ومن ثم يمكن أن يطلق على هذا الانسان بأنه يتصرف بحكمة بخصوص هذا الأمر أو ذاك، اما في حالة نقص المعلومات الدقيقة عن مكنونات الأشياء وحقيقتها، فان الحكمة تكون صعبة المنال ولا يمكن أن يتصرف الانسان أو يتخذ رأياً في هذه الحالة، أو ينهج مسلكاً على أساس من الحكمة، لانه في هذه الحالة يمكن أن يتزلزل، أو يتخذ مسرباً ورأياً خاطئاً. وهذا بالطبع يتنافى مع الحكمة. لان الحكمة كلها جميعاً خير، ولا يمكن أن يكتنفها أي نوع من الزلل والخطأ.

وعلى هذا الأساس، فان الباري، عز وجل، بعث الانبياء والمرسلين بالكتاب والحكمة؛ ليكونوا بمثابة المبشرين والمنذرين والمعلمين للحكمة

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٠، المجلد الاول ص ١٣٩.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي المجلد الثاني ١٩٧٢، ص ٣٩٥.

(٣) تفسير القرآن، ابن كثير، الجزء الاول، بيروت، دار المعرفة ١٩٨٦ صفحة ١٩٠.

وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى، العالم بكل شيء، أنزل الكتاب والحكمة على الإنسان عن طريق الانبياء والمرسلين، حيث يتم إبلاغ الإنسان عن طريق الكتاب وتعلم الحكمة لكل شيء يحتاجه الإنسان؛ لتصبح جميع اعتقاداته وتصرفاته سليمة وصحيحة؛ لأنها تثبت من الكتاب والحكمة. وهذه بعض الآيات البينات التي تدل بوضوح على بعث الانبياء والمرسلين بالكتاب والحكمة؛ بهدف توضيح المسار، وإزالة الغموض والتزبه، والتزكية.

قال تعالى

وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ^(١)

قال تعالى

إِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْتُكَ بِرُوحِي الْقُدُسِ فُكِّرْ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ^(٢)

أما بالنسبة إلى سيدنا داود عليه السلام، فإن الله سبحانه وتعالى أتاه الحكمة وفصل الخطاب، كما هو واضح في الآية التالية:

قال تعالى

وَمِنذَرْنَا مُلْكُكُمْ وَأَيُّنَهُ الْحِكْمَةُ وَفَصَّلَ الْخُطَابِ ^(٣)

وأما بالنسبة إلى جميع الانبياء، فيبدو ذلك بوضوح في الآية البينة الآتية:

قال تعالى

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَآءَ آتَيْنَاكُمْ مِنْ حَتَّىٰ وَجْهِكُمْ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ^(٤)

(١) سورة الزخرف آية ٦٣.

(٢) سورة المائدة آية ١١٠.

(٣) سورة ص آية ٢٠.

(٤) سورة آل عمران آية ٨١.

أما بالنسبة الى خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فإن الآيات التالية تدل على ما آتاه الله سبحانه وتعالى من الكتاب والحكمة بهدلف تزكية الانسان وتعليمه الكتاب والحكمة، وليتفقه في الأمور التي هو بأمرس الحاجة اليها .

قال تعالى

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَّالِينَ ﴿١٧﴾

قال تعالى

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ مِزْزَكِّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَّالِينَ ﴿٢١﴾

وعلى هذا النهج الرسالي النبيل، يجب أن يسير كل انسان اراد أن يدعو الى سبيل الله، أي ان يكون مضعهاً بكتاب الله، وأوتي حكمه من الله سبحانه وتعالى لكي يكون قادراً على أن يدعو الناس على أسس سليمة صادقة، بعيدة عن الغموض والتناقض. واذا لم يتوفر هذا الفهم للكتاب والإلمام بالحكمة فانه سوف يأتي بالشيء وتقيضه، وتكون اغلب الاعمال التي يقوم بها مثار الجدل وزيادة الغموض في اذهان الناس؛ مما يؤدي الى زيادة الشقاق والابتعاد بين الناس.

كما أن الله سبحانه وتعالى يؤتي الحكمة من يشاء من عباده، حيث تعتبر من أفضل النعم والخيرات التي يهبها الله سبحانه وتعالى الى من يشاء من عباده.

(١) سورة آل عمران آية ١٦٤ .

(٢) سورة الجمعة آية ٢ .

قال تعالى

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا
وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَؤُلَاءِ الْآلُفِينَ ﴿١٧﴾

قال الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «ولا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها» وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة من طرق متعددة (١).

لذلك فإن الدعوة الى سبيله ، تعالت وجلت قدرته ، قد بينها سبحانه وتعالى لكل من اراد ان يدعو الى هذه السبيل الكريمة قال تعالى :

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْقُلُوبَ
أَحْسَنَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْثِدِينَ ﴿١٧﴾

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية «والتأمل في هذه المعاني يعطي أن المراد بالحكمة - والله أعلم - الحجة التي تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا إبهام والموعظة هو البيان الذي تلين به النفس ويرق له القلب لما فيه صلاح السامع من العبر، وجميل الثناء، ومحمود الأثر ونحو ذلك.

والجدال هو الحجة التي تستعمل لقتل الخصم عما يصر عليه، وينازع فيه من غير أن يريد به ظهور الحق؛ بالمؤاخضة عليه من طريق ما يتسلمه هو والناس، أو يتسلمه هو وحده في قوله أو حجته.

فينطبق ما ذكره تعالى من الحكمة، والموعظة، والجدال، بالترتيب على ما اصطلموا عليه في فن الميزان بالبرهان والخطابة والجدل، غير أنه سبحانه قيّد الموعظة بالحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ففيه دلالة على أن من

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩

(٢) تفسير القرآن، ابن كثير، دار المعرفة بيروت، الجزء الاول ١٩٨٦ صفحة ٣٣٠

(٣) سورة النحل آية ١٢٥

الموعظة ما ليست بحسنة، ومن الجدل ما هو احسن وما ليس بأحسن ولا حسن، والله تعالى يأمر من الموعظة بالموعظة الحسنة ومن الجدل بأحسنه . . .

إن الطرق الثلاث المذكورة في الآية، مترتبة حسب ترتب أفهام الناس في استعدادها لقبول الحق، فمن الناس الخواص، وهم أصحاب النفوس المشرقة، القوية الاستعداد لإدراك الحقائق العقلية، وشديدة الانجذاب الى المبادئ العالية، وكثيرة الالفة بالعلم واليقين، فهؤلاء يُدعون بالحكمة وهي البرهان. ومنهم عوام وهم أصحاب نفوس كدرة واستعداد ضعيف، مع شدة ألفتهم بالمحسوسات، وقوة تعلقهم بالرسوم والعادات، قاصرة على تلقي البراهين، من غير ان يكونوا معاندين للحق، وهؤلاء يُدعون بالموعظة الحسنة. ومنهم اصحاب العناد واللجاج، الذين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، ويكابرون ليطفؤا نور الله بأفواههم، رسخت في نفوسهم الآراء الباطلة، وغلب عليهم تقليد اسلافهم في مذاهبهم الخرافية لا ينفعهم المواعظ والعبر، ولا يهديهم سائق البراهين وهؤلاء هم الذين أمر بمجادلتهم بالتي هي أحسن^(١).

إن الانسان في حياته المحدودة يجب أن يكون له نهج يسلكه، حيث إن هذا النهج يؤثر ويعطي الطابع العام لاعتقاد الانسان وتصرفاته وسلوكه، ويشكل مجموعة من أهدافه التي يصبوا الى تحقيقها. واختلاف هذه الانواع من الاعتقاد والسلوك، والتصرف، وتشكيل الاهداف، يعود الى اختلاف في النهج الذي اختاره الانسان.

فالنهج المبني على معلومات وحقائق دقيقة وثابتة عن الأشياء وطبيعتها، ويتم التصرف فيه على أساس الحكمة، فإن هذا النهج يعود بالخير العام الشامل على كل الساترين على هذا النهج. وهذا النوع من السبل الذي اختاره البارئ عز وجل للانسان، ويمت بخصوص ذلك جميع الانبياء والمرسلين، بهدف توضيح هذا النهج وارشاد الانسان اليه ليسعد في كلتا الدارين.

(١) الميزان في تفسير القرآن، الطبائبي، المجلد الثاني عشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٢،

أما بالنسبة الى السبل الاخرى، التي بنيت على مجموعة من التأملات والتكهنات والتخرصات، فهي بعيدة كل البعد عن الحقائق ومكنونات الأمور، لذلك ينقصها الحكمة بسبب فقدانها تلك الحقائق، ومن ثم، فهي تؤدي بكل من يتكسب هذه السبل الى الزيف والضلال، والتخبط بين المتناقضات؛ ليجد نفسه في النهاية صاغراً ذليلاً في نار جهنم.

وما له من شرف باسحق ومجد مؤثّل عظيم للمسلمين بعامة وللعرب منهم بخاصة، ان يكون كتابهم العزيز الذي أراد الحق سبحانه وتعالى ان يكون مصدر النور المبين للبشر جميعاً لما يحتويه من حقائق ومعلومات تهم بني البشر في كل ما يتعلق بالوجود ومكنوناته وما لهذه الحقائق من آثار عظيمة على الانسان في كافة مناحي وجوده الدنيوي والاخروي. لذلك فقد وصف الحق سبحانه وتعالى هذا الكتاب العربي الحكيم انه مصدر الحكمة والنور المبين. والآيات القرآنية المجيدة التالية تنطق بذلك:

قال تعالى

الرَّتَّلَاءِ اَيْتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ① (١)

قال تعالى

يَس ① وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ② اِنَّكَ لَمِنَ الرَّمَّالِينَ ③ (٢)

قال تعالى

الرَّ ① تِلْكَ اَيْتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ② (٣)

(١) سورة يونس آية ١-

(٢) سورة يس آية ١-٣

(٣) سورة لقمان آية ١، ٢

قال تعالى

ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾^(١)

قال تعالى

الرُّكُوبُ أَهْرَكْتُمْ بَيْنَهُمْ ثُمَّ فُجِّلْتُمْ مِنَ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾^(٢)

ومما يؤسف له جداً أن يتبو العرب والمسلمون عن هذا المصدر المعرفي الذي يزخر بالحكمة ومشاهل النور، متخذين من دونه ما جاء به الفكر الانساني من ترهات وأقاويل وأنظمة هابطة تنسق مع اهوائهم ورغباتهم الشهوية ، بالرغم من تجانفها مع الحق والحقيقة والقائما الانسان في الهلاك والخسران المبين في اليوم الآخر .

(١) سورة آل عمران آية ٥٨

(٢) سورة هود آية ١

الفصل الرابع

الإنسان وعلاقته بالحقيقة

- مقدمة
- المفهوم الانساني للإنسان
- سلوك الإنسان نحو الحقيقة
- حب الشهوات
- الازدواجية والتناقض - الصدق والنيات
- التسرع في إصدار الأحكام
- انكار الحقيقة ومقاومة اتباعها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ
شُكْرًا ۝

الكهف (٥٤)

زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ
الذَّهَبِ وَالْوُضْئِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَ حُسْنِ الْمَتَابِ ۝

آل عمران (١٤)

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ
مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝

الأحزاب (٧٢)

وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ۝

الاسراء (١١)

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

الاسراء (٨٩)

الإنسان وعلاقته بالحقيقة

مقدمة

في الوقت الذي سعى الإنسان فيه منذ فجر تاريخه للبحث عن الأمور التي تتعلق به ، وترسم وتوجه حاضره ومستقبله ، حاول الكشف عن الكون واسراره ، وسر الالهية ومكوناتها ، والروح وماهيتها ، فانه في المقابل بحث بشكل جاد ومستفيض عن طبيعته من حيث الخلق ، والسمات الاجتماعية ، والطبيعية ، والنفسية والسياسية والى غيرها من السمات التي لها علاقة بطبيعة وسجية هذا الكائن المعقد التركيب ؛ بهدف إثارة وتسهيل سبل التعامل المختلفة مع الانسان .

وبما انه من المحال التعرف أو الوقوف على جميع ما كُتب أو ما تم بحثه حول هذا الموضوع ، فاننا سوف نتطرق بشكل عام وموجز الى بعض هذه الدراسات والاقوال المتفاوتة ، ومن ثم سوف نعرض بشكل موجز وجهة نظر أحد العلماء الافذاذ في هذا المجال حول النتائج التي تمخضت عنها الابحاث البشرية عن الانسان ، وبعد ذلك نرى بوضوح وجلاء حقيقة الانسان كما وصفها خالق الانسان تبارك وتعالى أحسن الخالقين .

إن في الانسان خاصية المعادن ، وهي الكون والفساد ، وخاصية النبات ، وهي النمو والغذاء ، وخاصية الحيوان ، وهي الحس والحركة ، وخاصية الانسان وهي الفكر والادراك وخاصية الملائكة ، وهي الطاعة والحياة .

فالانسان يتملق كالكلب والهر ، ويحتال كالعنكبوت ، ويتسلح كالقنفذ ،

ويهرب كالطير، ويتحصن كالحشرات، ويعدو كالغزال، ويبطئ كالذب، ويسرق كالفأرة، ويفتخر كالطاووس، ويحقد كالجمل ويتحمل كالبقرة، ويشمم كالغل، ويفرد كالطير، ويخرص كالخنزير، ويصبر كالحمار، وينفع كالنحل، ويضر كالعقرب، وهو شجاع كالأسد، وجبان كالأرنب، وأنيس كالحمام، ونحيث كالثعلب، وسليم كالحمل، وأبكم كالحوت، وشؤم كالبوم^(١).

«وقد اختلفت النظرة الى الطبيعة الانسانية اختلافاً كبيراً. ونظر اليها الفلاسفة والمفكرون من زوايا متعددة، فهناك تصور الطبيعة الانسانية على أنها شيء واحد ثابت في جميع الأزمنة والعصور. وأن الانسان هو الانسان حيثما وجد، وهناك من نادى بأن الطبيعة الانسانية تختلف باختلاف الافراد انفسهم وباختلاف استعداداتهم وقدراتهم»^(٢).

«فلهب البعض الى أن الانسان ليس في حقيقته إلا ظاهرة مادية شديدة التعقيد، مركب من المواد الكيميائية التي نشأت بسبب تطور المادة»^(٣).

وهناك دراسات فرويد للانسان، التي بنيت على أساس الدافع الجنسي. ودراسات دارون التي بنيت على أسس واعتبارات حيوانية.

وملخص الابحاث الانسانية للانسان، وما افادت به الانسان، يبدو بوضوح في كتاب «الانسان». ذلك المجهول» حيث يقول الكسيس كاريل في هذا الكتاب «فالانسان كل لا يتجزأ، وفي غاية التعقيد، ومن غير الميسور الحصول على عرض بسيط له، وليست هناك طريقة لفهمه في مجموعه، أو في اجزائه،

(١) مصباح الانس، لابن حمزة في شرح «مفتاح الغيب» ص ٣١٥

(٢) سيد ابراهيم الجيار: التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية، مكتبة غريب، القاهرة،

١٩٧٨ ص ٥٧

(٣) فيليب لينكس - فلسفة التربية - ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيحي - دار النهضة

العربية، ١٩٦٥ ص ٦٩٩

في وقت واحد، كما لا توجد طريقة لفهم علاقاته بالعالم الخارجي . وفي الحق
لقد بذل الجنس البشري مجهوداً جباراً لكي يعرف نفسه . ولكن بالرغم من أننا
نملك كنزاً من الملاحظة التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء
الروحانيين في جميع الازمان، فاننا استطعنا ان نفهم جوانب معينة فقط من
انفسنا . . . اننا لا نفهم الانسان ككل . . . اننا نعرفه على انه مكوّن من اجزاء
مختلفة . وحتى هذه الاجزاء ابتدعتها وسائلنا . فكل واحد منا مكوّن من موكب
من الأشباح، تسير في وسطها حقيقة مجهولة . . . وواقع الأمر أن جهلنا مطبق .
فأغلب الاسئلة التي يلقيها على انفسهم اولئك الذين يدرسون الجنس البشري
تظل بلا جواب، لان هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية ما زالت غير
معروفة . . . فمن الواضح ان جميع ما حققه العلماء من تقدّم فيما يتعلق بدراسة
الانسان غير كافٍ . وأن معرفتنا بانفسنا ما زالت بدائية في الغالب . . . إن
الحضارة المصرية تجد نفسها في موقف صعب، لانها لا تلاثنا . لقد انشئت
دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات
العلمية، وشهوات الناس، وأوهامهم، ونظرياتهم ورغباتهم . وعلى الرغم من
أنها انشئت بمجهوداتنا، إلا انها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا . . . يجب
أن يكون الانسان مقياساً لكل شيء . ولكن الواقع هو عكس ذلك . فهو غريب
في العالم الذي ابتدعه، انه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه ؛ لأنه لا يملك معرفة
علمية بطبيعته . . . ومن ثم فان التقدم الهائل الذي احرزته علوم الجماد على
علوم الحياة هو احدى الكوارث التي عانت منها الانسانية . . . إننا قوم نساء،
لأننا ننحط اخلاقياً وعقلياً^(١) .

ويعد هذا العرض الموجز للدراسات الانسانية وما آلت إليه من نتائج غير
مجدية في الكشف عن مكونات الانسان وشمائله، لا بد من التوجه الى مصدر
آخر في الكشف عن هذا الكائن الا وهو المصدر الإلهي .

(١) الانسان ذلك المجهول، الكسيس كاريل، تعريب شفيق اسعد فريد بيروت، مكتبة

إن هذا المصدر الإلهي لم يذهب الى ما ذهب إليه بعض الفلاسفة من أن النفس هي الانسان على حقيقته، وأما الجسم فإنه آلة تستخدمه النفس ولا اعتبار له، وإنما هو نتاج العقل. بل الطبيعة الانسانية تتكون من روح وبدن، بدن له حاجاته التي يجب إشباعها بهدف حفظ الذات وبقاء النوع. وروح: وهي التي نفخها الله من روحه سبحانه وتعالى لتسكن في هذا الانسان لتمكنه من تحقيق غاياته العليا، والتحلي بأقدس الصفات وأطهرها وهي التي تؤهله للفوز العظيم في دخول دار السلام في اليوم الآخر.

قال تعالى **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧﴾ فَاِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِيْ فَقَعُوْا لَهٗ سٰجِدِيْنَ ﴿٨﴾** ^(١)

ولا توجد الروح والمادة في الانسان منفصلتين أو مستقلتين احدهما عن الأخرى، وإنما هما مترجتان معاً في وحدة متكاملة متناسقة، وتتكوّن من هذا مزيج المتكامل المتناسق ذات الانسان وشخصيته. ونحن لا نستطيع ان نفهم شخصية الانسان فهماً دقيقاً إلا بالنظر الى هذا الكيان الانساني بأكمله، المكوّن من امتزاج عنصري المادة والروح ^(٢).

وقدم الإسلام مفهوماً للطبيعة الانسانية يختلف اختلافاً جوهرياً عن كل المفاهيم السابقة بكل ما انطوت عليه من تطرف ومغالاة، او تصور وخطأ. . . فالطبيعة الانسانية في الإسلام وحدة متكاملة، قائمة على تداخل وامتزاج، وتشابك دقيق الحبكة شديد التعقيد بين المادة والروح. وليس في الإسلام انفصال بين روح وجسد أو انشقاق بين عقل ومادة. وليس الانسان جسماً فقط كما رأى اصحاب الانجاء المادي وليست الحياة الشعورية حركات بدنية وتغيرات فيولوجية في المخ. انما الانسان جسم وروح، والروح ليست من طبيعة مادية، كما انها ليست مجرد أداء الجسم لوظائفه. وليست هذه الروح

(١) سورة ص آية ٧١-٧٢.

(٢) القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، الطبعة الاولى، دار الشروق، بيروت.

موضوع ملاحظة حسية أو تحقيق تجريبي . وكذلك الحال بالنسبة للحياة العقلية^(١).

فما دام المصدر الذي يُعتمد عليه في الدراسات الإسلامية هو القرآن الكريم ، الذي يمثل كلام الله ، فمن الطبيعي أن نجد الفرق الشاسع بين الدراسات الانسانية للانسان من جهة ، والفكر الإسلامي حول الانسان من جهة أخرى . وينطوي سر الاختلاف بين المصدرين على الحقيقة التالية ، وهي أن الذي خلق الانسان يعلم خفايا النفس البشرية ومكوناتها ، وعندما نقول : النفس البشرية ، نقصد بهذا القول آدم وجميع ذريته ، وليس كما يفعل الباحثون في مجال الدراسات الانسانية بأخذ بعض من العينات البشرية ، واخصاعها للدراسة لمدة معينة ، ومن ثم تطبيق ما تمّ التوصل اليه على جميع البشر .

أما الأساسية الثانية فتمثل بأن الباري عز وجل ، أطلعنا من خلال القرآن الكريم على مكونات وخفايا النفس البشرية ، الكامنة والظاهرة ، وفي جميع مراحل العمر . كما أن هذا المصدر الإلهي يخلو من أهواء الباحثين الشخصية ، والتزعات النفسية الكامنة في النفس البشرية التي ترى في الجدال والمناورة مورداً فياضاً للإبتعاد عن الحقيقة .

قال تعالى

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ جَلِ الْوَرِيدِ (١)
إِذْ بَلَغْنَا الْأَنْفَاقَ عَنِ الْعَالَمِينَ وَعَنِ السَّمَاوَاتِ فَبَدَأَ (٢) مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (٣)

(١) مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية ، دكتور حسن إبراهيم عبد العال ، دار عالم الكتب

للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٩٨٥ ، ص ٣٠-٣١

(٢) سورة ق آية ١٦-١٨

قال تعالى

وَأَيُّهَا قَوْمُكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِمَا نُمَلِّكُ عَلَيْهِمْ بَذَاتِ السُّدُورِ ﴿١٧﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللطيفُ الخبيرُ ﴿١٨﴾^(١)

واضح من الآيات البيّنات السابقة بأن الباري عز وجل ، بعلمه الجم الوفير
اللامتناهي ، يعلم ما توسوس به النفس أو يجول في الصدور لجميع الانفس البشرية ،
لذلك فإن هذا العلم الصادق الثابت لا تضاهيه بأي شكل من الأشكال
الدراسات البشرية مهما توسعت واتضحت قاعلة الانطلاق والسلوك العلمي
الانساني .

وأخيراً فإن هذا المصدر الإلهي محفوظ من أن تناله الأيدي الانسانية
بالتحوير والتعديل بهدف ادخال الانحراف البشري في هذا الكتاب المكنون
ليتناسب مع الاهواء والشهوات الانسانية المخالفة للفقرة الانسانية والعهد الذي
قبله الانسان وهو في عالم الذر .
قال تعالى

إِنَّمَا نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾
نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾^(٢)

قال تعالى
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾^(٣)

وفي ضوء المصدر الإلهي في التعرف على حقائق ومكونات وسمات
النفس الانسانية ، فإن السمة الأساسية الأولى : هي وجود ثلاثة انواع من
الانفس البشرية في التعامل مع الحقائق أو الحقيقة التي تنبثق عنها بقية
الحقائق .

(١) سورة الملك آية ١٣-١٤

(٢) سورة الواقعة آية ٧٧-٨٠

(٣) سورة الحجر آية ٩

اما بالنسبة الى النوع الأول، فيشمل الانفس المطمئنة الصادقة المتيبة المستوسقة مع الحق والتمنيئة في ظلاله المتبعة لتعليماته السماوية الباسقة الغراء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اللَّهُ ① تِلْكَ الْكِتَابُ الَّذِي هَدَى
 الْقَسْبِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ
 إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَا أَخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ ④
 أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤ (١)

واضح من هذه الآيات البينات، أن هذا النوع من البشر يؤمن بالغيب كما جاء في الكتاب المبين كما أنهم موقنون باليوم الآخر. وهذا الايمان بالطبع، يمنهم من رجم الغيب وتصديق التخرصات والتكهنات التي جاء بها الخراصون.

أما النوع الثاني من البشر فهي فئة المكابرين المعاندين للحقيقة جهراً. السادرين في عنادهم وجدالهم وتغليبهم الحقائق مهما اتضحت الحقيقة امامهم لن تغير من موقفهم في مواجهة الحقيقة والقائمين عليها.

قال تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ①
 خَسِمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ②

وأخيراً الفئة المبطنة التي تميزت بالمرؤعة والخداع حيث انها تظهر عكس ما تبطن. في الظاهر هذه الجماعة أو الفئة، تشهد على نفسها بأغلظ الأقوال

(١) سورة البقرة آية ٥-١

(٢) سورة البقرة آية ٦-٧

والايمان انها مع الحق . وفي الحقيقة ، والباطن تعد هذه الفئة من الد أعداء الحق والحقيقة .

قال تعالى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَذِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي
قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبُونَ ﴿١٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا
إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ
النَّاسُ قَالُوا اتَّبِعُوا آلَ الْأَنْفُسِ كَمَا آمَنَ الْأَنْفُسُ هُمُ الْأَشْقَاءُ ۖ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ
﴿١٣﴾ وَإِذْ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّهُمْ عَادُوا عَلَى شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿١٤﴾^(١)

إن وجود هذه الانماط الثلاثة من الانفس البشرية ، يمثل كيفية ونوعية سلوك الانسان نحو الحقيقة ، أما من حيث الاعتقاد والتصديق ونهاية المصير ، فإن الانفس البشرية تشكل نوعين من الانماط البشرية . فالنوع الأول هو الذي استجاب الى نداء السماء وصدق وملك في ضوء الهدى والنور المنبعث من السماء الى الأرض عن طريق الانبياء والمرسلين . وهذه الفئة أو الجماعة تدعى حزب الله حيث يؤول مصيرها في النهاية الى جنات النعيم خالدين فيها أبدا .

اما الفئة الثانية ، وهي التي اعرضت وادبرت عن تعاليم السماء التي جاء بها الانبياء والمرسلون ، دأبت إلا أن تنامض الفطرة الانسانية ، وتعطى الولاية والتبعية الى عدو البشرية الأشر . فاصبحت تدعى هذه الفئة بحزب الشيطان حيث يؤول مصيرها الى نار جهنم ويشس المصير .

السمة الثانية التي يمتاز بها الانسان :

هي حب الشهوات التي جُبلت عليها النفس الانسانية، كحب النساء وجمع المال بكافة انواعه وحب التملك .

قال تعالى

رُئِيَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ
مَتَنُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ ﴿١٦﴾^(١)

فالذي يحكم الانسان ويوجهه نحو هذه الشهوات، مدى صلته وتصديقه للهدى والنور، والطريق الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى للبشر جميعاً . فاما في حالة اتصال العبد بخالقه، فانه يلبي هذه الحاجات الشهوية بالطرق والوسائل التي أحلها الله سبحانه وتعالى . وبهذا تنكسر حدة هذه القوى الشهوية، ومن ثم يفوز في الدار الآخرة بما هو افضل واسمى من كل هذه الشهوات .

قال تعالى

﴿ قُلْ أُوذِيكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنْ أَعْيُنِ اللَّهِ
بَصِيرَةٌ ۖ أَلْوَسَٰبُ ۖ﴾^(٢)

اما بالنسبة للانسان الذي حاول ان يلبي هذه الشهوات المتعددة بدون ضوابط او حدود معينة كالتي بينها الله سبحانه وتعالى، فانه يصبح عبداً لهذه الشهوات ويصبح فريسة سهلة لعدو البشرية بأن يتمكن منه ويصبح له تبعاً . وبهذا يصدق عليه قول الشيطان عندما تواعد ذرية آدم عليه السلام .

(١) سورة آل عمران آية ١٤

(٢) سورة آل عمران آية ١٥

قال تعالى

قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا خِزْيَ لَكَ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ كُلِّ جَزَاءٍ
مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَبْرِكَ وَرَجِلِكَ
وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ مَا يُعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾
إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾^(١)

إن هذه الشهوات وعلى رأسها الشهوة الجنسية، التي ركبها الله سبحانه
وتعالى في النفس البشرية، أدت الى ظهور صفة الضعف عند الانسان لذلك
فإن الباري عز وجل أحل النكاح للانسان لإشباع هذه القوة الشهوية الكامنة في
النفس، ويتم بذلك تغطية بعض من الضعف الذي وشج الانسان عليه بهدف
اعداد الانسان وتأهيله للفوز في الحياة الدنيا.

قال تعالى

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ
يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا^(٢)

وكون الانسان ضعيفاً لما ركب الله فيه من القوى الشهوية التي لا تزال
تنازعه في ما تتعلق به من المشتبهات، وتبعته إلى غشيانها فمن الله عليهم
بتشريع حليلة ما تنكسر به سورة شهوتهم بتجوز النكاح^(٣).

(١) سورة الاسراء آية ٦٢-٦٥.

(٢) سورة النساء آية ٢٧-٢٨.

(٣) تفسير الميزان، الطباطبائي، الجزء الرابع، ١٩٧٤، ص ٢٨٢.

السمة الثالثة التي تميز الانسان عن غيره :

هي صفة جهل الحقائق الأساسية بسبب عدم قدرته في التعرف والتبصر في مكتونات الاشياء وخفاياها مما حدا بهذا الانسان ان يظلم نفسه وغيره من البشر، فالجهل يكمن في اتباع عدو الانسانية الاول بل اعطائه الولاية من دون الله الذي خلق فسوى واكرم ووعظ وهدى وانا السبيل القويم لكل من توسم طريق الخير. قال تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَسْتَمِذُّونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِكُمْ لَهُمْ عَذَابٌ يَشْتَرُونَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا^(١)

فهذا النوع من التبعية لعدو الانسانية الأشهر، يمثل الجهل المدقع عند الانسان؛ لأنه يدين بالولاء الى عدو آدم وذريته، فاذا كان الانسان يعلم هذه المداوة، ومن ثم يَصْرَ على أن يكون من اتباع عدوه الأسن، فهذا يعد قمة السخف والسفامة، والجهل والانحطاط. اما اذا كان لا يعلم هذه المداوة المتأصلة بين الشيطان والانسانية جمعه، فهذا جرم اشد، حيث يدل على الجهل المستشري في النفس الانسانية، والظلام الدامس الذي تعج وتموج به العقول البشرية. هذا بالاضافة الى ان صفة الجهل والظلم تبدو بوضوح بقبول الانسان للامانة التي اشفقت من حملها السموات والارضين، وقبلها هذا المخلوق الضعيف الجاهل بمصائر الأمور وبما حجبته عنه أستار الغيب من حقائق.

قال تعالى

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا^(٢)

(١) سورة الكهف آية ٥٠ .

(٢) سورة الاحزاب آية ٧٢ .

بينما نجد في المقابل الانفس الصادقة المطمئنة السائرة على طريق الحق، والمستوسقة مع الفطرة الانسانية، أدانت بالولاء والتبعية الى الرحمن الرحيم خالق البشرية وجامعها الى يوم الحق .

هذا بالاضافة الى أن نتيجة اعمال هؤلاء المؤمنين بالله واليوم الآخر، والذين لم يحددوا عن هذا السيل القويم بسبب التصاقهم واتباعهم للنهج الرباني المنير، استحقوا التوبة والغفران من الله سبحانه وتعالى ويدو ذلك بوضوح في تكملة آية الامانة السابقة بالآية التالية .

قال تعالى

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ^(١)

السمة الرابعة :

فهي تمثل التذبذب والازدواجية في السلوك عند حزب الشيطان من البشر، وفي المقابل صفة الصدق والثبات واليقين عند حزب الله من البشر. فحالة التذبذب والمواربة تظهر في حالة تعرض الانسان الى بعض مايكره من الشرور، والمخاطر حيث يتوسل الى خالقه بالادعية المختلفة، مبدياً تقربه واعتماده على الله . وفي حالة تقشع وانتهاء هذه الحالات والخروج منها يعود الى المكابرة، والمنافحة، والمناكدة مبتعداً عن الله سبحانه وتعالى، وكأنه نسي أو تناسى كل ما دعى اليه ربه أثناء الشدائد والمخاطر. ودليل ذلك يظهر بجلاء في الآيات القرآنية الكريمة التالية :

قال تعالى

وَإِذَا مَنَّ آلُ الْإِنْسَنِ الْغُرُوحَ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدَ أَوْ حَافِلًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُصَّتَهُ مَرَّكَانَ تَوَلَّى عَصَا إِيَّاكُمْ فَتَمَسَّكُمْ كَذَلِكَ زَيْنَ لِلْمُتَسِفِّينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(٢)

(١) سورة الاحزاب آية ٧٣ .

(٢) سورة يونس آية ١٢ .

قال تعالى
وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْهُمْ مُبِينِينَ إِلَيْهِمْ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ
مِنْهُمْ بِهِمْ يُوْشِكُونُ ﴿٣٦﴾ (١)

قال تعالى
❖ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُبِينًا إِلَيْهِمْ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نِسَى مَا
كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَتَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا
إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ (٢)

قال تعالى
فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ
بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ (٣)

قال تعالى
وَلَا تَقْنَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَقَلْ بَجَائِهِمْ وَلَئِنَّمَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَنُودِعُوا عَرِيضًا (٤)

وفي مقابل هذه الانفس المتذبذبة ، نجد الانفس المطمئنة الصادقة ، التي
تعتمد وتتوكل على الرحمن جلّت وتعالّت قدرته ، حيث الايمان الراسخ الثابت
المبني على أسس قوية في جميع الظروف والملازمات ، في ساعة الرخاء ،
وساعات الشدة نجد شدة وقوة العزيمة المنبثقة من ايمان هؤلاء النفر اليقيني بما
وعدهم الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ

(١) سورة الروم آية ٣٣

(٢) سورة الزمر آية ٨ .

(٣) سورة الزمر آية ٤٩

(٤) سورة فصلت آية ٥١ .

زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَمَازِرُقَتَهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٣﴾

واضح من الآيات البينات ان تلاوة القرآن وزيادة الإطلاع على آياته البينات
لن تزيد هذه القلوب المؤمنة إلا خشوعاً وتزيد ايمانهم ايماناً وتوكلأ على الله
سبحانه وتعالى هذا الايمان واليقين الذي لا يتسلل الى داخله ريب أو شك
حيث استعداد المؤمن للتضحية بالمال والنفس في سبيل الله، وهذه دلالة على
درجة الوثوق والثبات واليقين التي يتصف بها المؤمنون.

قال تعالى

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾

إن الصديق واليقين اللتين امتازت بهما هذه الانفس الخيرة، المنية لبارئها لا
يمكن أن تتراجع أو يكتنفها الشك والريب في كلام الله وسوله، حتى في أشد
المصاعب والأحوال التي يصل مداها وقوتها إلى زيغ الأبصار، ويلوغ القلوب
الحناجر من شدة الهول والخوف، وهذا ما حصل مع المؤمنين في غزوة
الخنلق عندما هوجمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى

وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

(١) سورة الانفال آية ٢-٤

(٢) سورة الحجرات آية ١٥

(٣) سورة الاحزاب آية ٢٢.

السمة الخامسة التي يتصف بها الانسان :

هي سمة التسرع في اصدار الاحكام قبل التأكد من مدى صلاحيتها أو فسادها، وذلك يعود الى عدم قدرته على التمييز الواضح الى ما تؤول اليه الأمور من خير أو شر، فهو يدعو ويطلب الأمور التي تؤدي الى وقوع الشر تماماً كما يسمى في طلب الأمور التي توصل الى الخير.

قال تعالى

وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾^(١)

وجنس الانسان عجول لا يفرق لمجلته بين الخير والشر، بل يطلب كل ما لاح له ويسأل كل ما بدا له فتعلق به هواه من غير تمييز بين الخير والشر، والحق والباطل، فيرد الشر كما يرد الخير ويهجم على الباطل كما يهجم على الحق^(٢).

وذلك انه لا يعرف مصائر الأمور وعواقبها. ولقد يفعل الفعل وهو شر، ويعجل به على نفسه وهو لا يدري أو يدري، ولكنه لا يقدر على كبح جماحه وضبط زمامه. فاین هذا من هدى القرآن الثابت الهاديء الهاديء! ألا إنهما طريقان مختلفان، شتان شتان. هدى القرآن وهوى الانسان^(٣).

إن الضعف الانساني في التمييز بين الأمور الناتج عن الهوى الانساني، المركب من ضغوط ودوافع الفرائز الشهوانية في النفس الانسانية، يجعل الانسان ينخدع بظواهر الأمور دون الإلتفات الى أصولها وبواطنها للتأكد من نهايات الأمور، إلا أن اتصل قلبه بالرحمن فأشرق واستنار بهدى الله سبحانه وتعالى الذي جاء به الانبياء والمرسلون. ودليل ذلك لجوء الانسان الى خالقه،

(١) سورة الاسراء آية ١١

(٢) تفسير الميزان، الطباطبائي. الجزء الثالث عشر، ١٩٧١، ص ٤٩

(٣) ظلال القرآن، سيد قطب، الجزء الرابع، ١٩٨١، ص ٢٢١٦

متضرعاً، متوسلاً في حالة تعرضه للخوف في عرض البحر أو أي مكان، حيث ينسى كل شيء ويتبعد عن كل شيء خلا صلته بالرحمن جلّ وتعالى شأنه. ولكن سرعان ما يُعرض الانسان وينبو عن خالقه سبحانه وتعالى في اللحظة التي تلمس فيها قدماء ساحل البر، أو يزول عنه عامل الخوف.

يتصرف الانسان بهذه الصورة المزرية، بسبب جهله الصارخ بحقائق الأمور، ومنها جهله الفاضح بالذات الإلهية، وقدرة الله سبحانه وتعالى القادر على ان يهلك الانسان في البر والبحر، وفي أي مكان في السموات والارضين، سواء أكان ذلك بخسف البر، أو بإرسال الرياح العاتية، أو بأي طريقة يختارها الله سبحانه وتعالى. ومن الذي يستطيع ان يحول دون إرادة الله من أن تنفذ؟ قال تعالى

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا تَجَنَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيمِ فَيُفْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا يَوْمَ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

«إن البشر في قبضة الله في كل لحظة وفي كل بقعة. انهم في قبضته في البر كما هم في قبضته في البحر. فكيف يأمنون؟ كيف يأمنون أن يخسف بهم جانب البر بزلزال أو بركان، أو بغيرهما من الأسباب المسخرة لقدرة الله؟ أو يرسل عليهم عاصفة بركانية تقلدهم بالحمم، والماء، والطين، والأحجار، فتهلكهم دون أن يجدوا لهم من دون الله وكيلاً يحميهم ويدفع عنهم؟

أم كيف يأمنون أن يردهم الله الى البحر فيرسل عليهم ريحاً قاصفة، تقصف الصواري وتحطم السفين، فيغرقهم بسبب كفرهم وإعراضهم، فلا يجدون من يطالب بعدهم بتبعة إغراقهم؟

ألا انها الغفلة أن يعرض الناس عن ربهم ويكفروا . ثم يأمنوا أخذه وكيده .
وهم يتوجهون إليه وحده في الشدة ثم ينسونه بعد النجاة . كأنها آخر شدة يمكن
أن يأخذهم بها الله اه (١)

السمة السادسة التي وشج عليها اتباع الشيطان من الانس :

هي انكار الحق والحقيقة ، والجحود والانكار ، والاستهزاء بالحقيقة
والانبياء والمرسلين الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى ليكونوا مبشرين ومنذرين
لل البشرية ، ولكي لا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة . وتاريخ البشرية مع
الانبياء والمرسلين يقص بالقصص والاحداث المخجلة والمؤسفة ، بالاضافة
الى القتل والعذاب والتشريد لكل من آمن من الناس بهذا الحق المرسل من
الله سبحانه وتعالى ، كما أن أعواد المشانق وأقبية السجون تشهد بكل الاحداث
المخزية التي تعرض لها أقطاب الحق الذين ليس لهم هدف سوى إنارة الطريق
امام الناس بهدف الوصول الى سدة الحق والصواب .
قال تعالى

يَنْحَسِرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢)

هذا من باب تكذيب الانبياء ، اما من ناحية الهجوم الشرس المتواصل
المبني على التهم الواهية ، فيبدو ذلك في الايات التالية :

قال تعالى

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ اقْبَلُوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ (٣)
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٤) قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُونَ فِي صَلَاتِ
مُيِّنٍ (٥)

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الجزء الرابع ، ١٩٨١ ، ص ٢٢٤٠

(٢) سورة يس آية ٣٠

(٣) سورة الاعراف آية ٥٩-٦٠

ابن الهدف السامي الذي يصبو اليه سيدنا نوح عليه السلام من الاجابة الجوفاء التي تفتت عنها العقول السادرة في غيها وضلالها .

قال تعالى

﴿وَالْعَادِ إِخَانُكُمْ ۖ هُوَ أَقَالَ يَنْفَعُوا عَبْدُ اللَّهِ وَاللَّهُ مَالُ الْكَرِيمِ ۚ الْكَافِرُونَ أَفَلَا يَنْفَعُونَ

﴿٥٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّنَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ

مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٥٨﴾

بهذه اللجاجة والصفافة ، كان الرد على سيدنا هود عليه السلام . يخاطبهم بالعقيدة والتوجه الى الله ، ويكون الرد الذي يتم عن جهل مدقع بالتعرض الى شخص سيدنا هود عليه السلام . فآين العقيدة من شخص هود عليه السلام لو انهم كانوا يعقلون .

قال تعالى

﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ يَقْرِمُونَ إِنَّا تُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ

الْعَالَمِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّا كُمْ لَنَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ الْزِّنَىٰ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

مُتَسْرِفُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا كُنَّا جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ

قَرْيَتِكُمْ ۚ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴿٦١﴾

بهذا الانحلال وسفاهة التفكير يواجهون سيدنا لوط بأنهم لا يريدون الطهارة ، بل يكرهونها ، وجزاء من يكون طاهراً أن يتعرض الى الطرد من القرية التي يقطنها هؤلاء القوم الكارهون للطهارة وكل من يتطهر .

بهذا السخف والافتراء الذي لا يوجد نهما حد تمت مواجهة الانبياء والمرسلين الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى ليكونوا المبشرين والمنذرين للناس ، والمعلمين للحكمة ، والأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر . ومن

(١) سورة الاعراف آية ٦٥-٦٦

(٢) سورة الاعراف آية ٨٠-٨٢

جملة ما وصف به اصفياء البشر، الكهانة، والسحر، والسفاهة، والجنون، والكذب والى غيرها من الافتراءات البغيضة .

قال تعالى

إِنَّمَا لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَاهُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَدَّكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾^(١)

قال تعالى

وَمَاصَاحِكُمْ يَعْتَبِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُمَا أَفْئِدَتَيْنِ ﴿٤٥﴾ وَمَاهُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٤٦﴾ وَمَاهُوَ يَقُولُ شَيْطَانٌ نَّجِيمٌ ﴿٤٧﴾^(٢)

إن الايات الكريمة السابقة، ترد التهم التي وجهت الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على انه شاعر، وكاهن، ومجنون، أو انه اصيب بمرض شيطاني .

إن هذه المكابرة، والمنافعة، وجمود الحق وإنكاره بالرغم من وضوحه الساطع، وتوفر الادلة القاطعة والحجج والبراهين الدامغة على وجوده، وظهور الحق بكافة الطرق والأساليب المتعددة، يدل على الانحراف التام لهذه الانفس عن الفطرة الانسانية، هذا بجانب الارتكاس في الحضيض، والنزول الى مستوى أسفل سافلين .

قال تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا^(٣)

إن الباري عز وجل الذي يعلم بمكنونات النفوس البشرية، وبمدى الالتواء والاعوجاج فيها، اخبرنا بأن الأنفس المنحرفة عن جادة الصواب، والكارهة للحق والحقيقة ومن يتادي بهما، لو فُتح لها باب من السماء لترى هين اليقين

(١) سورة الحاقة آية ٤٠-٤٣

(٢) سورة التكوين آية ٢٢ - ٢٥ .

(٣) سورة الاسراء آية ٨٩ .

بعض أو كل ما حجب الغيب عنها من حقائق الوحي والنبوة، وإطلاعها على مجريات الأمور وأسباب الخوارق، والسعادة والشقاء، ومحل صدور الاحكام والأمر الإلهية لما استقامت هذه الانفس أو سلمت للحق، بل على العكس تماماً فانها سوف تمارس مهنة وهواية الافتراء والكذب على الحق واتباعه .
قال تعالى

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ قُلُوبَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْهُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَنْصُرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾^(١)

يقول سيد قطب رحمه الله في هذا الخصوص :

«وليس الذي ينقصهم هو توافر دلائل الايمان، فهم معاندون ومكابرون، مهما تأتاهم من آية بيّنة، فهم في عنادهم ومكابرتهم سادرون . . . ويكفي تصوّره يصعدون في السماء من باب يفتح لهم فيها . يصعدون بأجسادهم، ويرون الباب المفتوح امامهم، ويحسون حركة الصعود ويرون دلائلها . . ثم بعد ذلك يكابرون فيقولون: لا . لا . ليست هذه حقيقة . انما احدث سكر ابصارنا ونخدّرها فهي لا ترى انما تخیّل . . . سكر ابصارنا مسكر وسحرنا ساحر . فكل ما نراه ونحسه وما نتحركه تهيّؤات مسكر مسحورا

يكفي تصوّره على هذا النحو؛ لتبدو المكابرة السمجة، ويتجلى العناد المزري . ويتأكد ان لا جدوى من الجدل مع هؤلاء . ويثبت أن ليس الذي ينقصهم هو دلائل الايمان . وليس الذي يمنعه ان الملائكة لا تنزل . فصعودهم هم أشد دلالة والصق بهم من نزول الملائكة انما هم قوم مكابرون . مكابرون بلا حياة وبلا تحرّج وبلا مبالاة بالحق الواضح المكشوف!

(١) سورة الحجر آية ١١-١٥ .

انه نموذج بشري للمكابرة والاستغلاق والانطماس يرسمه التعبير، مثيراً لشعور الاشمئزاز والتحقير. . وهذا النموذج ليس محلياً ولا وقتياً، ولا هو وليد بيئة معينة في زمان معين. . إنه نموذج للانسان حين تفسد فطرته، وتستغلق بصيرته، وتتعطل في كيانه اجهزة الاستقبال والتلقي. . . هذا النموذج يتمثل في هذا الزمان في الملحدين واصحاب المذاهب المادية التي يسمونها «المذاهب العلمية» وهي ابعد ما تكون عن العلم، بل ابعد ما تكون عن الإلهام والبصيرة.

إن أصحاب المذاهب المادية يلحدون في الله، ويجادلون في وجوده سبحانه وينكرون هذا الوجود، ثم يقيمون على أساس إنكار وجود الله، والزعم بأن هذا الكون موجود هكذا بذاته، بلا خالق، وبلا مدبر، وبلا موجه. . يقيمون على أساس هذا الزعم وذلك الانكار مذاهب اجتماعية وسياسية واقتصادية واخلاقية. . . ويزعمون ان هذه المذاهب القائمة على ذلك الأساس علمية. . هي وحدها العلمية! . . . فالشواهد الكونية اظهر وأوضح من عروجهم الى السماء وهي تخاطب كل فطرة غير معطلة خطاباً هامساً وجاهراً، باطنياً وظاهراً، بما لا تملك هذه الفطرة معه إلا المعرفة والاقراء^(١).

لذلك فإن الله سبحانه وتعالى، الذي خلق الانسان في هذه الصورة العجيبة المتناهية في الدقة والتعقيد، يخبرنا بأن هذا المخلوق متفوق على جميع الأشياء والموجودات في الجدل وإظهار الأسباب والاعذار غير المعقولة، بهدف الابتعاد عن الحقائق وعدم التسليم للحقيقة.

قال تعالى وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَرًّا جَدًّا^(٢)

وهذا هو بعينه الجدل الذي ذهب اليه الفلاسفة ومن وشجت عروقه على طريقتهم عندما قالوا انهم ينشدون الحقيقة ولكن عن طريق العقل الانساني،

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، الجزء الرابع، ١٩٨١، ص ٢١٢٩

(٢) سورة الكهف آية ٥٤.

وأى طريق أخرى غير هذه الطريق فهي مرفوضة تماماً لو نطقت بالحق المبين الواضح لكل ذي لب وجنان . وأفكارهم الفلسفية المتعددة المتضاربة التي تنكر وجود الله تارة ، وتقره تارة أخرى ، وتؤمن بالحشر تارة ، وتنكره تارة أخرى ، تؤمن بوجود عالم آخر غير هذا العالم المحسوس ، وتنكره تارة أخرى ، وإلى غيرها من الشطحات والفلتات الفكرية التي جاء بها هؤلاء من أجل الابتعاد عن الحقائق ، ومن ثم طمسها بالطرق الجدلية المختلفة .

وخلاصة القول في هذا الموضوع إن الانسان الذي خلقه الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم ، وأنار له سبل الهدى بعد أن وهبه حرية الاختيار ، هو نفسه القادر على المحافظة على هذا المستوى من السمو والرفعة ، والمكانة الباسقة الوضاعة التي انعم الله عليه ، والتحلي بالصفات السامية المؤثرة . كما انه القادر على الانحدار من عليائه للارتكاس في الحضيض ، والسقوط الى ادنى المستويات ، والتحلي بالصفات الهابطة التي تؤهله ان يتبوأ اسفل المنازل والدرجات في سلم الرقي الحيواني لما يصدر عنه من شرور وآثام ، وسلوك شاذ .

قال تعالى

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١)

وفي ضوء ما تقدم ، فأننا عندما نتحدث عن الانسان من ناحية اجتماعية وسلوكية ، فأننا نقف أمام فئتين متغايرتين ، فالفئة الأولى هي التي استجابت الى النداء المنبعث من الله سبحانه وتعالى ، وصَدَقَتْ بما جاء به الانبياء والمرسلون ، والتزمت هذا النهج الرسالي الرباني في كافة الأمور الحياتية بصدق وإخلاص ويقين . وهذا النهج الرسالي الرباني بدوره الخاص والتميز ، أضفى على هذه النوعية من البشر الصفات المجيدة المؤثرة من صدق ، وإخلاص ، ومحبة ، ومودة ، وإيثار وحكمة ، ووفاء بالمهود والمواثيق ، ومصداقية وثبات ، وعلم الأمور الغيبية التي يزخر بها الفكر الإسلامي . كل هذه

(١) سورة الانفال آية ٥٥ .

الصفات الفراء هي التي يتحلّى بها الانسان المقيد الذي تربى وترعرع على أسس التربية الإسلامية، وهذه الصفات بعينها هي صفات المجتمع الرسالي، مجتمع الفضيلة، الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، الذي صورته رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه الجسد الواحد من شدة روح التعاون، والتماسك، والائثار، والتضحية، وإذا وجد في هذا المجتمع الرسالي الفاضل انسان يخلو من هذه الصفات المجيدة، ويتحلّى بصفات غيرها، فانه يعد من الفئة المناقضة المناورة، التي تصف بالرياء والمداهنة وتظهر عكس ما تبطن.

قال تعالى

وَيَوْمَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتُوا بِالْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخٰدِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ اِلَّا اَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾^(١)

اما الفقة الثانية من البشر، فهي التي ادبرت وانكرت الهدى الذي ارسله الله سبحانه وتعالى الى عباده، وآثرت اتباع الشهوات والملذات على الايمان والالتزام بالهدى والحكمة التي جاء بها الانبياء والمرسلون من عند الله سبحانه وتعالى ومضت هذه الفقة على اشباع الحاجات الحيوانية والقوى الشهوية بجميع الطرق والاساليب المتاحة دون ادنى اعتبار لأي ضابط داخلي أو معيار خلقي.

لذلك اتسمت هذه الفقة بالصفات السيئة المتعددة، كما وصفها الله سبحانه وتعالى. وهذا بعينه هو الذي وصلت اليه ابحاث فرويد ودارون عن الانسان من صفات حيوانية شهوانية مفرطة. ومن أهم وأبرز الصفات التي يتحلّى بها هؤلاء النفر من الناس، الكذب، والظلم، والاستكبار، والافتراء، والمراء والجهل، ورجم الغيب تارة وإنكاره تارة اخرى، ومناهضة الفطرة الانسانية، ومناهضة الحق والساثرين عليه، ونقض المهود والمواثيق، واتباع سيد الاشرار ومنبع الشر المتمثل في الشيطان وقبيله. وهذه بعينها صفات المجتمع غير الرسالي.

(١) سورة البقرة آية ٨ - ٩.

الفصل الخامس

العقل ودوره

في الوصول إلى الحقيقة

- مقدمة
- أهمية العقل
- المفهوم الفلسفي للعقل
- مفهوم علماء المسلمين للعقل
- طرق ومراحل مخاطبة الحق للعقل الإنساني
- مرحلة التبليغ والتجريب
- المرحلة الحسية
- مرحلة التفكير والتفكير
- مرحلة الاستدلال والانتزاع
- مرحلة الآيات والمعجزات
- مرحلة تلبية الطلبات
- مرحلة المقارنة
- مرحلة التحدي
- الخلاصة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَا تَكْفُفْ قَسَا أَلُوسَعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

المؤمنون (٦٦)

يَنْتَقِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّكَ مِنْكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مَن حَيْثُ لَا تَعْلَمُونَ
الشَّيْطَانُ أَوْلِيَاءُ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٧﴾

الاعراف (٢٧)

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَقِّينَ ﴿٦٨﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٦٩﴾

الذاريات (٢٠ - ٢١)

وَمَن تَعَصِرْهُ تَصْجُرْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٧٠﴾

يس (٦٨)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِزَّ الدِّينِ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَلَن يُسْلِيَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَفِئُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧١﴾

الحج (٧٣)

قُلْ لِّمَنِ اجْتَمَعَتِ الْأَنْسُ وَالْإِنْسُ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٧٢﴾

الاسراء (٨٨)

العقل ودوره في الوصول إلى الحقيقة

إن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء في السموات والارضين بمواصفات معينة، وقدرات محدودة لكل خلق من مخلوقاته، بحكمة يعلمها هو، تعالت قدرته سبحانه وتعالى. ولكل خلق من هذه المخلوقات مزايا ومواصفات معينة تتشابه وتختلف مع بقية المخلوقات. ولكن هناك صفة مشتركة بين هذه المخلوقات وهي صفة التناهي أي أن لكل مخلوق قدرات محدودة لا يستطيع أن يتجاوزها. ففي الوقت الذي يستطيع فيه الشيطان بقدرته وأحاييله التي جسدها الله سبحانه وتعالى في ذات الشيطان أن يغوي، ويوسوس، ويسيطر على قسم كبير من البشر، تنهاى قدراته وتضعف احاييله عن أن ينال من عباد الله المخلصين، لأنهم خارج حدود قدراته. لذلك فإننا نستطيع أن نقول بأن الشيطان له حدود يمكن أن يتجاوز ويحاول داخلها ولا يستطيع أن يتعدها.

قال تعالى

قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ كُلِّ جَزَاءٍ مُوقُورًا ﴿١٣﴾ وَأَمْسُقُزِرْ مَنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بَصُوتَكَ وَلَجَلِبَ عَلَيْهِمْ بِضِيكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾

ودليل آخر على محدودية الشيطان انه سينال جزاءه الموقور في نار جهنم خالداً فيها هو وحزبه من الانس والجن.

ومن بين المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، الانسانُ بشكله المنظم الرتيب، المعقد التركيب، ميزه الله سبحانه وتعالى عن سائر المخلوقات بما وهبه من الملكة العقلية، التي مكنته من السيطرة والاستفادة من أغلب المخلوقات الأخرى. وبهذه الموهبة الإلهية للإنسان أصبح الانسان دون غيره من سائر المخلوقات يمتلك حرية الاختيار بين الايمان والكفر بالله سبحانه وتعالى .

قال تعالى

وَلَا يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ (١)

قال تعالى

الَّذِينَ رَأَوْا اللَّهَ سَجَدُوا لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِىِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٧﴾ (٢)

قال تعالى

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴿١٨﴾ (٣)

وفي حالة تعرض هذه الملكة العقلية الى خلل معين تتعطل فيه الملكة عن العمل المراد فان الانسان يسقط عنه التكليف والامثال الى الحساب يوم المعاد لان الباري عز وجل اذا أخذ ما وهب اسقط ما أوجب. لذلك ليس غريباً أن نجد الهالة العظيمة من الآراء والمؤلفات المختلفة للفلاسفة والمفكرين حول العقل الانساني ؛ لما له من أهمية كبرى في حياة الانسان ومصيره . وجدير بالذكر أن الفلاسفة ومن نهج على طريقتهم تعاملوا مع العقل انه المصدر الوحيد للموقف

(١) سورة النحل آية ٤٩ .

(٢) سورة الحج آية ١٨ .

(٣) سورة الكهف آية ٢٩ .

على المعرفسة سواء أكانت تتعلق بالطبيعة، أو بالامور الغيبية، او علم الميتافيزيقا. ويبدو ذلك بوضوح من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم المختلفة.

وأن العقل في مكنته أن يكشف ما وراء الاعراض المحسوسة من حقائق، وإن الحقائق موجودة. اذ ماهية كل شيء حقيقته، وقد تبنى هذه النزعة اليقينية سقراط وتلامذته. وإن اختلفوا فيما بينهم في طبيعة معرفة هذه الحقائق الثابتة^(١).

وإن العقل الفعال في نظرية الفيض والصدور، يعدّ مصدراً للوجود ومصدراً للعلم والمعرفة^(٢).

لذلك فإن افلاطون يعد الفلسفة هي التشبه بالآلهة بقدر الطاقة الانسانية. قال ارسطو.

«يجب ان يكون العقل بالضرورة من حيث انه يعقل جميع الاشياء، غير ممتزج، كما يقول انكسا جوراس حتى يستطيع أن يامر، أي يعرف... ولهذا يجدر بنا ألا نقول أن العقل يمتزج بالجسم اذ يصبح عندئذ ذا صفة محدودة؛ اما بارداً أو حاراً. بل قد يكون له عضو من الاعضاء مثل قوة الحس، ولكن في الواقع ليس له اي عضو^(٣)».

يقول الاسكندر الافردويس «إن ارسطو لم يكن يقصد بالعقل الفعّال انه قوة من قوى النفس الانسانية وإنما كان يقصد به الآلهة^(٤)».

«إن العقل الفعّال عند الكندي واحد ووحيد، وكل العقول إنما تحقق وجودها الفعلي عن طريقه وبواسطته^(٥)».

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، الطبعة الثالثة، ١٩٥٣، ص ٥٢.

(٢) الفلسفة الاسلامية في المشرق، ص ١٧٥.

(٣) كتاب النفس، ارسطو، الكتاب الاول، الفصل الرابع ص ٢٨-٢٧.

(٤) الفلسفة الاسلامية في المشرق ص ١٧٥

(٥) المصدر السابق ص ١٨٠

«إن الفلاسفة المسلمين القائلين بنظرية الاتصال بالعقل الفعال يسوون بين العقل الفعال وبين الوحي، فالعقل الفعال بلغة الفلسفة هو بعينه الوحي بلغة الدين»^(١).

يقول الفارابي «إن العقل الفعال قد تلقى صورة من السبب الأول الذي هو العلة الرئيسية لصور العالم المعقول والمحسوس. وعلى ذلك فإن دور العقل الفعال هنا هو دور الوسيط المكلف بتوصيل ما أمر به من جهة السلطة الحاكمة له. يمكن الاتصال بهذا العقل الفعال بطريقتين فقط: طريقة الفلاسفة وطريقة الانبياء»^(٢).

«ويذهب الفارابي الى ان المعرفة الحسية شرط أساسي ورئيسي للمعرفة العقلية. بحيث يمكن القول، مع ارسطو في هذا الصدد، إن من فقد حساً فقد فَقَدَ، بمعنى ما، علماً متعلقاً بهذا العضو المفقود»^(٣).

«والعقل الفعال عند ابن سينا ليس له قوة من قوى النفس الانسانية، بل هو خارج الانسان. ولذلك فليس ثمة عقول فعالة متعددة بتعدد النفوس البشرية بل يوجد عقل فعال واحد يشرق بعلمه ونوره على كل العقول البشرية المريدة التي تسعى نحوه وتطرق بابه ان جاز التعبير»^(٤).

«نادى ابن سينا، ومن جرى مجراه بالقول بنظرية الفيض، ويصدر الواحد عن الواحد. وفي هذا الصدد يرى أنّ العقل الأول كان أول موجود صدر عن الله، وهو مشابه لله في وحدانيته، لكنه ليس مماثلاً له»^(٥).

«وغني عن البيان أن الفارابي قد فضل المعرفة الفلسفية على المعرفة النبوية؛ لأن الفيلسوف يدرك حقائق الأشياء كما هي، بينما المعرفة النبوية تعبر

(١) المصدر السابق ص ٢٧٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٩

(٤) المصدر السابق ص ٣٦٠

(٥) المصدر السابق ص ٣١٠

عن حقائق الأشياء من خلال صور او مثالات محاكية لها . ومن هنا فان المعرفة النبوية تحتاج الى تأويل وتفسير . اصف الى ذلك ان المعرفة الفلسفية تعتمد اعتماداً رئيسياً على الجهد ، والاجتهاد ، والمثابرة ، والنظر العقلي الخالص . ومن هنا فان الانسان هو المسؤول عنها . . . بينما نجد أن العلم الحاصل للنبي لا دخل له فيه . اذ إن النبي ليس مسؤولاً عن مخيلته القوية التي منحه الله إياها^(١) .

ولكنّ هناك عدداً من الفلاسفة اعترفوا بأن العقل محدودٌ متنسأو ، فلا يمكنه التعرف أو الوقوف على حقائق الأشياء ، بل هذه المهمة تفوق القدرة والطاقة الانسانية .

يقول الفارابي في كتاب التعليقات : «الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر . ونحن لا نعرف من الأشياء إلا الخواص ، واللوازم ، والاعراض ، ولا نعرف الفصول المقومة لكل منها ، الدالة على حقيقته ، بل انها اشياء لها خواص واعراض . فانا لا نعرف حقيقة الأول ، ولا العقل ، ولا النفس ، ولا الفلك ، ولا النار والهواء ، والماء والارض ، ولا نعرف حقائق الاعراض»^(٢) .

ويضيف الفارابي في موضع آخر من رسالته قائلاً «الانسان لا يعرف حقيقة الشيء البتة ، لأن مبدء معرفة الأشياء هو الحس . ثم يميز بالعقل المتشابهات والمتباينات . ويعرف حيثنّذ بالعقل بعض لوازمه وذاتيته وخواصه ، ويندرج من ذلك الى معرفة مجمله عن محققة»^(٣) .

يقول ابن سينا في تعليقاته : «الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر . ونحن لا نعرف من الأشياء إلا الخواص واللوازم والاعراض . ولا نعرف الفصول المقومة لكل واحد منها الدالة على حقيقته ، بل نعرف انها اشياء لها خواص واعراض ، فانا لا نعرف حقيقة الأول ، ولا العقل ولا النفس ، ولا

(١) المصدر السابق ص ٢٧٧

(٢) صفحة ٤ من التعليقات من المجموع من مؤلفات الفارابي

(٣) التعليقات ص ٣ .

الفلك، والنار والهواء، والماء والارض، ولا نعرف أيضاً حقائق الاعراض، ومثال ذلك اننا لا نعرف حقيقة الجوهر، بل انما عرفنا شيئاً له هذه الخاصية وهو انه الموجود لا في موضوع، وهذا ليس حقيقته^(١).

يقول ديكارت: «... انما مرجع خطئي هذا الى ما منحني الله من قوة على تمييز الصواب من الخطأ، وهي عندي قوة متناهية محدودة... لا ريب انه ليس لدي من داعٍ للشكوى من أن الله يهيني ذكاء أوسع، أو نوراً فطرياً أكمل مما وهبني ما دام من طبيعة الذهن المخلوق ان يكون متناهياً»^(٢).

وعندما تحدث «كانت» عن الطائفة الثالثة من نظريته عن المعرفة الخاصة بالميثافيزيقا، «رأى كانت استحالة التوصل فيها الى معرفة عن طريق العقل النظري، وان أي محاولة لإقامة معرفة ميثافيزيقية على أساس فلسفي هي محاولة فاشلة ليست لها قيمة، وذلك انه لا يصح في القضايا الميثافيزيقية شيء من الاحكام التركيبية الاولى والاحكام التركيبية الثانوية... ان موضوعات الميثافيزيقا لا يمكن أن توجد فيها معرفة عقلية صحيحة، لا على أساس الاحكام التركيبية الاولى ولا على أساس الاحكام التركيبية الثانوية»^(٣).

يبدو واضحاً جلياً من الأقوال السابقة وجود تفاوت كبير بين الفلاسفة حول قدرة العقل الانساني في الوصول الى حقائق الامور ومصايرها. فمنهم من افصح عن قدرة العقل المطلقة، التي يستطيع العقل بها ان ينفذ الى عالم الغيب، بما يحتوي عليه من اسرار إلهية تدور حول الذات الإلهية، والروح، والمعاد، وطبيعة الكون والى غيرها من مكنونات الأمور. ومنهم من اعترف بقصور العقل في التعرف على الحقائق التي تتعلق بعلم ما وراء الطبيعة (الميثافيزيقا) أو عالم الغيب.

(١) الفلسفة الاسلامية في المشرق، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٢) التأملات، ديكارت، ترجمة د. عثمان امين، مكتبة القاهرة، ١٩٥٦.

(٣) فلسفتنا، ص ١٤٨-١٤٩.

وخلاصة القول في هذا الموضوع إن الفلاسفة رجعوا الغيب بلا هودة، حيث تكلموا عن طبيعة الله، فنسبوا له صفات مختلفة، فمنهم من وصفه بأنه علة العلل، والعقل الفعال، ومنهم من وصفه بأنه زوج وأسم زوجته هيرا، ومنهم من لصق به الآبوة، وإلى غيرها من التخرصات والتكهنات الجوفاء، التي تنم عن جهل هؤلاء القوم بقدرة العقل الانساني. هذا بالإضافة الى اقوالهم المتفاوتة والمتباينة عن المعاد، والروح، وطبيعة الكون.

أما بالنسبة للقسم الآخر من الفلاسفة الذين لم يرجعوا الغيب فانهم انكروه بتاتاً، وهذا الذي ذهب اليه اقطاب الفلسفة البراجماتية، والشيوعية، والوجودية، والطبيعية.

وبهذا المفهوم، يكون الفلاسفة قد جاءوا بالشيء ونقيضه، وهذا ما يدل على بعدهم عن الحق والحقيقة، وهذا يعود الى اقحامهم العقل في امور لا يقوى عليها.

وفي المقابل، نجد خالق الانسان سبحانه وتعالى يخاطب العقل الانساني بطريقة تختلف تماماً عما ذهب اليه الفلاسفة ومن نهج نهجهم. وسوف نتطرق بشيء من التفصيل الى هذه الطريقة بعد أن نلقي بعض الضوء على ما قاله بعض الكتاب المسلمين حول العقل البشري وخصائصه.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام ولقد سبق الى جنات عدن اقوام ما كانوا بأكثر الناس صلاة، ولا صياماً، ولا حجاباً، ولا اعتماراً، لكنهم عقلوا عن الله مواعظه، فوجلت منه قلوبهم واطمأنت اليه نفوسهم، ونشعت له جوارحهم، ففاقوا الناس بطيب المنزلة وعلو الدرجة عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة^(١).

بين الغزالي علاقة الشرع بالعقل قائلاً: «اعلم ان العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لم يتبين إلا بالعقل. فالعقل كالأس، والشرع كالبناء، ولن

(١) مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية، ص ١١٧.

يغني أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن أس . . . فالعقل كالبصر،
ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر.

وأيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمدّه، فما لم يكن زيت لم
يحصل السراج، وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت . . . فالشرع عقل من
خارج، والعقل شرع من داخل، هما متعاضان، بل متحدان. وفي موضع آخر
يقول الداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي
بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور^(١).

قال أبو بكر الرازي: «إن الباري عز وجل انما اعطانا العقل وحبانا به لننال
ونبلغ به من المنافع العاجلة والأجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله ويلوغه، وانه
اعظم نعم الله عندنا، وانفع الأشياء لنا، واجداها علينا، فبالعقل فضلنا على
الحيوان غير الناطق حتى ملكناها وسسناها وذللناها وصرفناها في الوجوه العائد
منافعها علينا وعليها. وبالعقل ادركنا جميع ما يرفعنا، ويحسن ويعطي به عيشنا،
ونصل الى بغيتنا ومرادنا. . . فاذا كان هذا مقداره ومحلّه وخطره وجلالته، فحقه
علينا ان لا نحطه عن رتبته ولا ننزله عن درجته. لا نجعله وهو الحاكم محكوماً
عليه ولا هو الزمام مزموماً، ولا هو المتبوع تابعاً. بل نرجع في الامور إليه ونعتبرها
به. ونعتمد فيها عليه فنمضيها على إضاءته، ونوقفها على إيقافه. . . اذا فعلنا
ذلك صفا لنا العقل غاية صفائه، وأضاء لنا غاية إضاءته، وبلغ بنا غاية قصد
بلوغنا به. وكنا سعداء بما وهب الله لنا ومنّ علينا به»^(٢).

قال عباس محمود العقاد: «القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام
التظيم والتنبيه الى وجوب العمل به، والرجوع اليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة
ولا مقتضية في سياق الآية. بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها

(١) معارج القدس، الغزالي ص ٤٦.

(٢) دراسات في الفلسفة الاسلامية، عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة النهضة المصرية،

١٩٧٩، ص ٢٤٨-٢٤٩.

مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة. وتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه^(١).

«جاء اهتمام القرآن وتركيزه على الأمر المميز للانسان على سائر المخلوقات، أي على العمليات العقلية العليا التي يقوم بها الانسان، فيعقل ويفكر ويتدبر ويتعلم العلم ويعلمه»^(٢).

ولهذا وردت في القرآن الالفاظ التي تدل على النشاط العقلي بصفة عامة مثل، التفكير والتدبر، والعلم، والنظر والتبصر مثات المرات^(٣).

«جاء الإسلام ليقوم هذه المناهج جميعاً، الحسي منها الذي رأى أن الاحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة، والعقلي منها الذي انكر أن تكون الادراكات الحسية أساساً للعلم. واعتبر الإسلام الحس والعقل وسيلتين متكاملتين لإدراك الحقائق وتحصيل المعارف المختلفة، ولا غنى للإدراك عن تلازم الوسيلتين، فادراك الحقائق عملية لا تستطيع الحواس وحدها ان تقوم بها ولا يستطيع العقل بغير الحواس القيام بها»^(٤).

إن الله سبحانه وتعالى برحمته التي وسعت كل شيء لم يكلف الانسان إلا حسب قدرته وفي الأمور التي يقوى عليها اما بالنسبة للأمور التي تخرج عن طاقة الانسان، فهو غير مكلف بها ولا يحاسب عليها.

(١) التفكير فريضة اسلامية، عباس محمود العقاد، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي - بيروت، ١٩٧١ صفحة ٨٧.

(٢) الاصول التربوية في الاسلام، عبد الفتاح جلال، جمهورية مصر العربية ١٩٧٧، ص ٤٥.

(٣) مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية، ص ١١٥.

(٤) المصدر السابق ص ١٢٧.

قال تعالى

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٩﴾^(١)

قال تعالى

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٠﴾^(٢)

وفي ضوء هذا النهج الإلهي المنير، فإن القرآن الكريم قد أشار الى وظائف الانسان العقلية على اختلاف اعمالها وخصائصها، من تفكر، وتبصر، وتعقل، ضمن حدود القدرات العقلية للانسان. اما بالنسبة للآيات والمعجزات التي جاء بها الانبياء، فكانت بمثابة الاقتناع التجريبي للعقل الانساني المخاطب بهذه الأمور، التي لا يقوى عليها العقل الانساني.

وهناك أيضاً، التحدي المباشر للعقل الانساني بأمور لا يقوى عليها العقل البشري؛ وذلك بهدف تبليغ الانسان بقصور قدراته العقلية امام هذا التحدي؛ ليسلم امره لله سبحانه وتعالى.

لذلك فإن النهج الإلهي في مخاطبة العقل الانساني يمكن تقسيمه الى عدة مراحل، رغم تداخلها واتحادها في المضمون والهدف، ولكن بهدف توصيل المراد بأسهل الطرائق المتاحة وأنجعها، فانا نرى بأن هذا النهج الرباني يحتوي على ثماني مراحل وهي:

مرحلة التبليغ والتجريب، والمرحلة الحسية، ومرحلة التفكير والتفكر، ومرحلة الاستدلال والانتزاع، ومرحلة الآيات والمعجزات، ومرحلة تلبية الطلبات، ومرحلة المقارنة، ومرحلة التحدي. وسوف نتطرق بعون الله لكل مرحلة من هذه المراحل مستشهدين بالآيات القرآنية الكريمة التي تدل على كل واحدة.

(١) سورة الاعراف آية ٤٢.

(٢) سورة المؤمنون آية ٦٢.

١ - مرحلة التبليغ والتجريب:

عاش هذه التجربة آدم وحواء عليهما السلام عندما رفض ابليس السجود لآدم عليه السلام واستحق لذلك غضب الرحمن سبحانه وتعالى . فقد نوهذ الشيطان بإغواء آدم وذريته وابعادهم عن الصراط المستقيم وأن يحول بينهم وبين طاعة الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى

قَالَ فِيمَا آخُوتَيْهِ لَا تَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَيَسَّرُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾^(١)

ولكن آدم عليه السلام لم يذعن الى توجيهات الخالق سبحانه وتعالى ، حيث استطاع الشيطان بأحاييله وطرقه البراقة أن يستدرج آدم عليه السلام وزوجه الى أن يأتيما ما نهيا عنه . ومن ثم تبين لهم بالتجربة والبرهان العقلي والحسي مدى مصداقية كلام الرحمن جلّت وتعلت قدرته ، عندما طلب من آدم وزوجه ان لا يقربا الشجرة التي نهيا عنها .

قال تعالى

وَقَدْ أَدَّامُ أَشْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا
مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ نِيَّتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَىٰ عَنْكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١٩﴾ وَقَامَسَهُمَا
إِلَىٰ لُكْمَا لَيْنِ التَّصْحِيرِ ﴿٢٠﴾ فَذَلَّهُمَا بِفُرُودٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا
وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ
وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢١﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾^(٢)

(٢) سورة الاعراف آية ١٩-٢٢ .

(١) سورة الاعراف آية ١٦-١٧ .

وبما أن حكمة الله سبحانه وتعالى تتنافى مع تكرار هذه المرحلة مع بقية البشر، فإن الله سبحانه وتعالى برحمته وعطفه على الانسان حذره ونبيهه من عدوه الاول من أن يكرر عملية الافتتان والاغواء له بهدف ابعاده عن النهج الإلهي وإخراجه عن طاعة الله .

قال تعالى

يَبْقَىٰ آدَمَ لَا يَفْقِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرُدُّكُمْ هُوَ وَفِيهِ لَهُم مِّنْ حَيِّثُ لَا تَأْمُرُهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ (١)

٢ - المرحلة الحسية :

إن الله سبحانه وتعالى خاطب الانسان من خلال الآيات الكريمة طالباً منه أن يستخدم جميع حواسه في التعرف على الآيات المختلفة في السموات والارضين، فأمره أن ينظر ويتبصر في جميع الآيات التي تدل على الخالق وقدرته تعالت وجلت قدرته .

وبما أن الآيات الكريمة التي تدعو الانسان لاستخدام حواسه كثيرة جداً، فإننا سوف نكتفي بعرض ومضة من الآيات الكريمة التي توضح لنا المراد .

قال تعالى

أَلَمْ تَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ قِيَامُ يَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ (٢)

(١) سورة الاعراف آية ٢٧ .

(٢) سورة الاعراف آية ١٨٥ .

قال تعالى

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَا يَسِيرُوا
فِ الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَكِنَّ الْأَكْثَرَ فَخِيرٌ
لِلَّذِينَ اتَّخَذُوا أَفْلًا تَمَقُّلُونَ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾

قال تعالى

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ
أَنْفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾

قال تعالى

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّنَا دَرَجَاتَهَا وَرَزَقْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿١٧﴾
وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿١٨﴾ تَبْصِيرَةً وَذَكَرَى
لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿١٩﴾ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ
﴿٢٠﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعْلٌ نَضِيدٌ ﴿٢١﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ مِيتَةً كُنَّا لَ الْخَارِجِ ﴿٢٢﴾

قال تعالى

وَفِي الْأَرْضِ مَآبٍ لِلْعُوفِيِّينَ ﴿٢٣﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢٤﴾

قال تعالى

فَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٥﴾ أَنَّا صَبَّأْنَا الْمَاءَ مَصًّا ﴿٢٦﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٧﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا
حَبًّا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلًّا ﴿٣٠﴾ وَلَكُمْ فِيهَا وَابًا ﴿٣١﴾ مَسْعَاكُمُ
وَلَا تُفْسِدُكُمْ ﴿٣٢﴾

قال تعالى

فَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ رِمًّا خَلَقَ ﴿٣٣﴾ خَلَقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٣٤﴾ يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْنِ أُصْبُعَيْهِ السَّيْلِ وَالرَّاهِبِ ﴿٣٥﴾

(١) سورة يوسف آية ١٠٩ .

(٢) سورة السجدة آية ٢٧ .

(٣) سورة في آية ١١-٦ .

(٤) سورة الذاريات ٢١-٢٠ .

(٥) سورة عبس آية ٣٢-٢٤ .

(٦) سورة الطارق آية ٧-٥ .

قال تعالى

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴿١٢﴾

واضح من الآيات السابقة ان الدعوة موجهة للانسان لينظر ويتبصر في جميع الامور المحيطة به من حيث دلالتها على قدرة المخلوق سبحانه وتعالى ؛ ليعقل ويتفكر في هذه الآيات بهدف التسليم للمخلوق سبحانه وتعالى . وهذا يمثل المرحلة الثالثة ، وهي مرحلة التفكير والتفكر . اما بالنسبة للذين ينظرون الى هذه الآيات ولا يعتبرون منها ، فان الله سبحانه وتعالى خاطبهم كأنهم فاقدوا الوسائل الحسية ، أو انهم يستخدمونها بصورة غير سليمة ، مما أدى بهم الى الابتعاد عن جادة الطريق .

قال تعالى

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاقِلُونَ ﴿١٣﴾

قال تعالى

أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا لَهُمْ دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يُضَاعِفُ لَهُمْ الْعَذَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿١٤﴾

٣ - مرحلة التفكير والتفكر :

ان الله سبحانه وتعالى قد صرف للناس في كتابه الكريم من كل مثل ،

(١) سورة الغاشية آية ١٧-٢٢ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٩ .

(٣) سورة هود آية ٢٠ .

لعلهم يتفكرون في هذه الامثال ويعقلونها، ليسلموا انفسهم للباري عز وجل، رحمة منه بعباده ليُجنّهم دار البوار والهلاك. لذلك فإن القرآن الكريم قد خاطب العقل الانساني بشتى السبل، واختلاف الامثلة لتشكل مادة التفكير في العقل الانساني. بهدف ايضاح الرؤية والاختيار امام الانسان. وسوف نستشهد بعدد محدودة من الآيات القرآنية الكريمة فقط لكثرة الآيات في هذا الموضوع.

قال تعالى

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِلَافِ الْيَلِّ وَالنَّهَارِ وَالْمُلْكِ الَّذِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ مَا يَفْعُ النَّاسُ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٦﴾

قال تعالى

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٦٧﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٨﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴿١٧٠﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَكُمْ شُرَكَاؤَافًا لَكُمْ طَرِيقًا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ جِلَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِيرَهُ وَلِتَذَكَّرُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧١﴾ وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارٌ وَسُبُلٌ أَلْفٌ لَكُمْ تَسْتَدُونَ ﴿١٧٢﴾ وَعَلِيمُ سَوَاءٍ الْجَحِيمِ هُمْ يَسْتَدُونَ ﴿١٧٣﴾ أَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧٤﴾

(١) سورة البقرة آية ١٦٤.

(٢) سورة النحل آية ١٠-١٧.

قال تعالى

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّ لِكُلِّ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّنُقِيبُكُمْ بِهَا فِي بَطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنَيْهِمْ وَلِكُلِّ خَالٍ لَهَا سَاسًا بِهَا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٥٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَنَازِلُ مِنْهُ سَكَرٌ وَرِزْقٌ حَسَنٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٥٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ^(١)

قال تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لِكُلِّ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السَّيِّدُكُمْ وَالْوَنُكْرَانَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآيَاتُكُمْ مِنْ قَضَائِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ^(٢)

قال تعالى

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُوسٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقٍ ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُوَكُمْ أَشَدَّكُمْ ثُمَّ يُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا وَغَيْرَ شَيْئٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَلِيَبْلُوَكُمْ أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ^(٣) ﴿٧٧﴾

(١) سورة النحل آية ٦٥-٦٩

(٢) سورة الروم آية ٢٠-٢٤

(٣) سورة غافر آية ٦٧

قال تعالى

وَمَنْ تُعَذِّبْهُ نَتَكِسْتُهُ فِي خَلْقِهِ فَلَا يُعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

قال تعالى

مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ ذُرِّيَةِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْغَنَكَبُوتِ
أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْغَنَكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
﴿٦٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَسْلُمُ مَا يَذْعُبُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٧٠﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضِرُ بِهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٧١﴾

قال تعالى

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا
فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٧٢﴾

أما بالنسبة للذين يصدفون عن هذه الآيات ولا يتفكرون فيها، رغم وجودها باستمرار وفي مختلف أمور الحياة، فإنهم يسلبون العقل الانساني الخاصية الأولى التي وهبها الله للانسان، وهي استخدام العقل للوصول الى سدرة الصواب، فإنهم بهذا العمل المشين، اما ان يقحموا العقل الانساني في امور لا يقوى عليها بهدف الالتفاف حول الطريق القويم، أو أن يحددوا الأطر الفكرية للعقل الانساني لكي لا تتعدى الأمور الطبيعية المادية الملموسة. وكلتا الطريقتين توصلان الانسان الى مرتبة دنيا في سلم الرقي الحيواني، حيث يستحق بهذا العمل ان ينحدر الانسان من عليائه ليتبوأ المكانة السفلى بين ما يدب على الأرض.

(١) سورة يس آية ٦٨

(٢) سورة النكبات آية ٤١-٤٣

(٣) سورة الحج آية ٤٦

قال تعالى

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ (١)

قال تعالى

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢٤)

نعم انهم بمقياس السماء وضعوا انفسهم في هذه المرتبة الوضيعة بسبب جحودهم وانكارهم الايات السامقة الغراء، التي تطرق اسماعهم، وابصارهم، وافكارهم، وأبوا إلا أن يعطلوا حاسة السمع، وحاسة البصر، وملكة العقل التي وهبها الله سبحانه وتعالى للانسان الذي خلقه في احسن تقويم. ودليل ذلك انهم سيشهدون على انفسهم بهذه الاعمال المزرية في اليوم الذي لا ينفع فيه توبة ولا ندم.

قال تعالى

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (٢٥) فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٦﴾ (٣)

٤ - مرحلة الاستدلال والانتزاع :

تعد هذه المرحلة همزة الوصل بين الأمور والأشياء الملموسة وغير الملموسة. لذلك فان الباري عز وجل حث الانسان في مواطن كثيرة على أن ينظر، ويتبصر ويفكر في جميع الايات التي يغص بها هذا الكون، ليرى انها تدل على وجوده سبحانه وتعالى، وتلقي بعض الظلال على جزء من قدرته سبحانه وتعالى.

(١) سورة الانفال آية ٢٢-٢٣

(٢) سورة الانفال آية ٥٥

(٣) سورة الملك آية ١٠-١١

قال تعالى

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيصٍ ﴿٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ^(١)

قال تعالى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُم مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ فَنَجَّى بِهِ زُرْعًا غُلْفًا ثُمَّ أَنزَلَ ثَمْرًا يَسْقِي فَمِنْ ثَمَرِهِ تُصَفِّرُونَ^(٢) لِّذِكْرٍ لِّلْأُولَى الْأَلْبَسِ ﴿٧﴾^(٣)

٥ - مرحلة الآيات والمعجزات :

إن من دلائل سعة رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أنه لم يكل الانسان الى مراحل : التبصر، والتفكر، والاستدلال، بل انه ارسل الانبياء والمرسلين بآيات ومعجزات تفوق قدرة العقل البشري وتصوره، هذا بجانب المعجزات المتعددة التي حققها الله سبحانه وتعالى على أيدي انبيائه لتكون الدليل الباسق السامق لكل ذي لب وجنان، لأن يفوض ويسلم أمره لله . ولكثرة هذه الآيات والمعجزات، وخوفاً من الاسهاب والاطناب في هذا الصدد، فإننا سوف نكتفي بذكر بعض من هذه الآيات والمعجزات .

قال تعالى

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٨﴾ قُلْنَا إِنَّا نُكْرِى بُرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٩﴾^(٤)

«فيا لها من آلهة ينصرها عابداها، وهي لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضرا، ولا تحاول لها ولا لعبادها نصرا» «قالوا: حرقوه» ولكن كلمة أخرى قد قيلت . .

(١) سورة ق آية ٣٦-٣٧ .

(٢) سورة الزمر آية ٢١ .

(٣) سورة الانبياء آية ٦٨-٦٩ .

فأبطلت كل قول، وأحبطت كل كيد. ذلك انها الكلمة العليا التي لا ترد. «قلنا: يا نار كونى برداً وسلاماً على ابراهيم». . . فكانت برداً وسلاماً على ابراهيم. . . كيف؟

ولماذا نسال عن هذه وحدها. و«كونى» هذه هي الكلمة التي تكون بها اكوان، وتنشأ بها عوالم، وتخلق بها نواميس: «انما امره اذا اراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون».

فلا نسال: كيف لم تحرق النار ابراهيم، والمشهود المعروف أن النار تحرق الاجسام الحية؟ فالذي قال للنار: كونى حارقة. هو الذي قال لها كونى برداً وسلاماً. وهي الكلمة الواحدة التي تنشيء مدلولها عند قولها كيفما كان هذا المدلول. مألوفاً للبشر وغير مألوف. إن الذين يقيسون اعمال الله سبحانه وتعالى باعمال البشر هم الذين يسألون: كيف كان هذا؟ وكيف أمكن أن يكون؟ فاما الذين يدركون اختلاف الطبعيتين، واختلاف الأداتين، فانهم لا يسألون اصلاً، ولا يحاولون أن يخلقوا تعليلاً: علمياً أو غير علمي. فالمسألة ليست في هذا الميدان اصلاً، ليست في التعليل والتحليل بموازين البشر ومقاييس البشر. وكل منهج في تصور مثل هذه المعجزات غير منهج الإحالة الى القدرة المطلقة هو منهج فاسد من أساسه، لأن أعمال الله غير خاضعة لمقاييس البشر وعلمهم القليل المحدود.

. . . وما كان تحويل النار برداً وسلاماً على ابراهيم إلا مثلاً تقع نظائره في صور شتى. ولكنها قد لا تهز المشاعر كما يهزها هذا المثل السافر الجاهر. فكم من ضيقات وكربات تحيط بالاشخاص والجماعات من شأنها أن تكون القاصمة القاسمية، وإن هي إلا لفظة صغيرة، فإذا هي تحيى ولا تميت، وتنعش ولا تخمد، وتعود بالخير وهي الشر المستطير. إن «يا نار كونى برداً وسلاماً على ابراهيم» لتكرر في حياة الاشخاص والجماعات، وفي حياة الافكار والعقائد والدعوات وإن هي إلا رمز للكلمة التي تبطل كل قول، وتحبط كل كيد، لأنها

الكلمة العليا التي لا ترد^(١).

قال تعالى

وَأَمْرٌ أَتَتْهُ فَأَيُّمَةٌ فَضَحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٦٦﴾
قَالَتْ يَنْتَوِيضُنَّ الْعِلْدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخَانٌ هَذَا لَشَقِئٌ عَجِيبٌ ﴿٦٧﴾ قَالُوا
أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَرَحْمَتِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٦٨﴾

ولا عجب من أمر الله . فالعادة حين تجري بأمر لا يكون معنى أنها سنة لا تتبدل . وعندما يشاء الله - لحكمة يريد بها - وهي هنا رحمته بأهل هذا البيت ويسر كاته المدعوة للمؤمنين فيه - يقع ما يخالف العادة ، مع وقوعه وفق السنة الإلهية التي لا نعلم حدودها ، ولا نحكم عليها بما يجري به العادة في أمر هو على كل حال محدود ، ونحن لا نستغريء جميع الحوادث في الوجود .

نعم ، إن الله سبحانه يجري هذا الكون وفق النواميس التي قدرها له . . . ولكن هذا شيء ، والقول بتقييد إرادته بهذه النواميس بعد وجودها شيء آخر ! إن الناموس يجري وينفذ بقدر من الله في كل مرة ينفذ فيها . فهو لا يجري ولا ينفذ آلياً . فإذا قدر الله في مرة أن يجري الناموس بصورة أخرى غير التي جرى بها في مرات سابقة ، كان ما قدره الله ولم يقف هذا الناموس في وجه هذا القدر الجديد . . . ذلك أن الناموس الذي تتدرج تحته كل النواميس هو طلاقة المشيئة بلا قيد على الإطلاق ، وتحقق الناموس في كل مرة يتحقق فيها بقدر خاص طليق^(٣).

(١) ظلال القرآن الجزء الرابع ، ص ٢٣٨٧-٢٣٨٨

(٢) سورة هود ، آية ٧١-٧٣ .

(٣) في ظلال القرآن ، الجزء السابع ، ص ١٩١٢

قال تعالى

وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ لِي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا
أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ
﴿١٥٥﴾ قَالَ إِن كُنْتَ بِحُجَّتٍ بِبَنِي إِسْرَءِيلَ مِن الْغَيْبِ فَاصْدِقِينِ ﴿١٥٦﴾ قَالَتُنَّ عَصَاهُ
فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٥٨﴾^(١)

«إنها المفاجأة! إن العصا تنقلب ثعباناً لا شك في ثعبانيته . . . «مبين . . .
وكما قيل في سورة أخرى: ﴿فإذا هي حية تسمى﴾ . . . ثم إن يده السمراء -
وقد كان موسى عليه السلام «أديم» أي مائلاً إلى السمرة - يخرجها من جيبه فإذا
هي بيضاء من غير سوء، بيضاء ليست عن مرض، ولكنها المعجزة، فإذا أعادها
إلى جيبه عادت سمراء»^(٢).

قال تعالى

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَاءَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ
فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٦١﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْشِي
أَدْعُ لِنَارِكَ يَمَاعِهِدْ عِنْدَكَ لِمَنِ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ
مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٦٢﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ
بِلِقَاؤِهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٦٣﴾^(٣)

«أنه الجموح الذي لا تروضه تذكرة، ولا يرده برهان، ولا يريد أن ينظروا
أن يتدبر، لأنه يعلن الإصرار على التكذيب قبل أن يواجه البرهان - قطعاً للطريق
على البرهان! - وهي حالة نفسية تصيب المتجبرين حيث يدفعهم الحق،
وتجبيهم البيشة، ويطاردهم الدليل . . . ولقد جمع السياق هنا تلك الآيات

(١) سورة الاحراف، آية ١٠٤-١٠٨

(٢) في ظلال القرآن، الجزء الثالث، ص ١٣٤٧

(٣) سورة الاحراف آية ١٣٢-١٣٥

المفصلة، التي جاءتهم مفرقة. واحدة واحدة. وهم في كل مرة يطلبون الى موسى تحت ضغط البلية ان يدعوا لهم ربه لينقذهم منها، ويعدونه ان يرسلوا معه بني اسرائيل اذا انجاهم منها. . . وفي كل مرة ينقضون عهدهم، ويمردون الى ما كانوا فيه قبل رفع العذاب عنهم، وفق قدر الله في تأجيلهم الى أجلهم المقدور لهم»^(١).

قال تعالى

وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ
يَا أَيُّهَا الضَّرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عِشَّةً قَدْ عَلِمَ كُلُّ
أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا
مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ^(٢)

والرعاية واضحة في هذا كله، ولكن هذه الجبله ما تزال بعد عصية على الهدى والاستقامة كما يبدو من ختام هذه الآية التي تذكر كل هذه النعم وكل الخوارق: من تفجير العيون لهم من الصخر بضربة من عصا موسى، ومن تضليل الغمام لهم في الصحراء الجافة. ومن تيسير الطعام الفاخر المن والسلوى»^(٣).

قال تعالى

وَإِذْ نَقَعْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَانَهُمْ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ^(٤)

«انه ميثاق لا ينسى . . . فقد أخذ في ظرف لا ينسى ! أخذ وقد نتق الله

(١) في ظلال القرآن، الجزء الثالث، صفحة ١٣٥٨

(٢) سورة الاعراف آية ١٦٠

(٣) في ظلال القرآن الجزء الثالث، صفحة ١٣٨١

(٤) سورة الاعراف آية ١٧١

الجبل فوقهم كأنه ظله، وظنوا انه واقع بهم! ولقد كانوا متقاعسين يومها عن اعطاء الميثاق، فاعطوه»^(١).

قال تعالى

فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَخْرِبْ بِمَصَالِكِ الْبَحْرِ فَاَلْتَقِ فُكَّانَ كُلِّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ
الْمُظِيرِ ۖ ﴿٦٢﴾ وَأَلْقَيْنَا فِي الْآخِرِينَ ۖ ﴿٦٣﴾ وَأَقْبَضْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ تَعَمَّدُوهَاجِمِينَ ۖ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ
أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ۖ ﴿٦٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ ﴿٦٦﴾

«إن موسى الذي تلقى الوحي من ربه، لا يشك لحظة وملىء قلبه الثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، وإن كان لا يدري كيف. فهي لا بد كائنة والله هو الذي يوجهه ويرعاه... ووقعت المعجزة، وتحقق الذي يقول عنه الناس مستحيل. لأنهم يقيسون سنة الله على المألوف المكرور. والله الذي خلق السنن قادر على أن يجريها وفق مشيئته عندما يريد. وقعت المعجزة وانكشف بين فرقتي الماء طريق. ووقف الماء على جانبي الطريق كالطود العظيم. واقتحم بنو اسرائيل. ووقف فرعون مع جنوده مبغوتاً مشدوهاً بذلك المشهد الخارق وذلك الحادث العجيب»^(٢).

قال تعالى

وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ ﴿٦٧﴾ فَاتَّخَذَتْ
مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۖ ﴿٦٨﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ
بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَذِيرًا ۖ ﴿٦٩﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا
زَكِيًّا ۖ ﴿٧٠﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشِيرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۖ ﴿٧١﴾ قَالَ
كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَئِنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكُمُ آيَةً وَلَنُفَصِّلَنَّ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ
أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۖ ﴿٧٢﴾

(٢) سورة الشعراء آية ٦٣-٦٧

(٤) سورة مريم آية ١٦-٢١

(١) في ظلال القرآن، الجزء الثالث، صفحة ١٣٨٩

(٣) في ظلال القرآن، الجزء الخامس، ص ٢٥٩٩

وهذا الامر الخارق الذي لا تتصور مريم وقوعه، هين على الله؛ فامام القدرة التي تقول للشيء كن فيكون، كل شيء هين، سواء جرت به السنة المعمودة أم جرت بغيره. . . . وأنه أراد ان يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس، وعلامة على وجوده وقدرته وحرية ارادته. ورحمة لبني اسرائيل أولاً ولل البشرية جميعاً، بابرار هذا الحادث الذي يقودهم الى معرفة الله وعبادته وابتغاء رضاه^(١).

قال تعالى

فَنَادَيْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝ وَهَزَيْتَنِى إِلَيْكَ يُجَنِّعُ الْمُخَلَّاتُ تَسْوِطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَينًا ۝ فُكِّلَ وَأَشْرَى وَفَرَى حَيْثَا فَمَا تَبَرَّيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولْ لِى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۝^(٢)

ويا لله! طفل ولد اللحظة يناديه من تحتها. يطمئن قلبها ويصلها بربها، ويرشدها الى طعامها وشرابها ويدلها على حجتها وبرهانها^(٣).

قال تعالى

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّ عَبْدٌ آلِهَةٍ آتَنِى الْكِتَابَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِى بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝^(٤)

وفماذا نقول في العجب والغيظ الذي ساورهم وهم يرون عذراء تواجههم بطفل، ثم تتبجح فتسخر ممن يستنكرون فعلتها فتصمت وتشير الى الطفل ليسألوه عن سرها! . . . ولكن ها هي ذي الخارقة العجيبة تقع مرة اخرى . . .

(١) في ظلال القرآن. الجزء الرابع، ص ٢٣٠٦

(٢) سورة مريم آية ٢٤-٢٦

(٤) سورة مريم آية ٢٩-٣١

(٣) في ظلال القرآن، الجزء الرابع ص ٢٣٠٧

حيث يعلن عيسى - عليه السلام - وهو في المهد - عبوديته لله (١).

قال تعالى

وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ
مِنْ أَلْيَانِ كَهَيْئَةِ الْعُطْرِ فَأَنْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ
وَالْأَبْرَصَ وَأُتِي الْمَوْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمِمَّا تَخْفُونَ فِي بُيُوتِكُمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾

قال تعالى

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نَصَمِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَبَدْنَاكَ
بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ أَلْيَانِ كَهَيْئَةِ الْعُطْرِ بِإِذْنِ فَتَنْفُخُ
فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَ
بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْهُمْ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾

وهذه المعجزات في عمومها تتعلق بانشاء الحياة اوردها، أو ردّ العافية وهي
فرع عن الحياة، ورؤية غيب بعيد عن مدى الرؤية . . . وهي في صميمها تتسق
مع مولد عيسى، ومنحه الوجود والحياة على غير مثال الآ مثال آدم - عليه السلام
- وإذا كان الله قادراً أن يجري هذه المعجزات على يد واحد من خلقه، فهو قادر
على خلق ذلك الواحد من غير مثال. ولا حاجة إذن لكل الشبهات والاساطير
التي نشأت عن هذا المولد الخاص متى رُدّ الأمر الى مشيئة الله الطليقة ولم يقيد

(١) في ظلال القرآن، الجزء الرابع، ص ٢٣٠٨

(٢) سورة آل عمران آية ٤٩.

(٣) سورة المائدة آية ١١٠

الانسان الله - سبحانه - بمألوف الانسان^(١).

ان هذا النموذج من الآيات والمعجزات التي جاء بها الانبياء والمرسلون من عند ربهم تشكل الدليل الساطع على قدرة الله التي لا تحدّها حدود ولا تبالي بمألوف، ولا يقف امامها مستحيل، جاءت هذه الآيات الباسقة لتصرخ في وجه الانسان بأعلى صوت وتقول له اين انت وقدرة عقلك ان تستوعب هذه الخوارق والمعجزات، نعم، جاءت لتقول له انت انسان عاجز عن كل هذه المعجزات والخوارق، فلا يوجد لك بُدّ من التسليم للمخالق سبحانه وتعالى، هذا اذا اردت ان تسلك طريق النجاة، ولكن الانسان تعامل مع هذه المعجزات بطرق مختلفة. منهم من قال عنها بأنها سحر مبین حيث ادبر واستكبر عن هذه الآيات، ومنهم من طالب الله وانبياءه آيات اخر بهدف الاطمئنان والتسليم. وهنا تأتي مرحلة تلبية الطلبات.

٦ - مرحلة تلبية الطلبات :

يالها من رحمة الهية واسعة! العبد يطلب البرهان، والمخالق سبحانه وتعالى يستجيب، مدلاً على وجوده، وقدرته اللامحدودة، ليضيء السبيل امام الانسان ليفوض أمره لخالقه عن قناعة وطمأنينة. وسوف نورد بعضاً من الآيات التي توضح استجابة الرحمن سبحانه وتعالى لعباده.

قال تعالى

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تَوَمِّنُونَ قَال بَلَىٰ وَلَئِنْ لَيْتُمْ مِمَّن قُلُوبُهُمْ غَلَا فَوَخِذُوا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ فَسَمِعْتُمْ مِنْ إِبْرَاهِيمَ قُلُوبَكُمْ أَلْمَأَمَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ مُتَعَدِّلٌ (٢١)

(١) في ظلال القرآن، المجلد الثاني، ص ٩٩٧-٩٩٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٠

«إنه التشوف إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية . وحين يجيء هذا التشوف من ابراهيم الأواه الحليم، المؤمن الراضي الخاشع العابد القريب الخليل . . . حين يجيء هذا التشوف من ابراهيم فانه يكشف عما يختلج أحياناً من الشوق والتطلع لرؤية الصنعة الإلهية في قلوب اقرب المقربين ! . . . لقد كان ينشد اطمئنان الانس الى رؤية يد الله تعمل، واطمئنان التذوق للسر المحجب وهو يجلى ويتكشف . ولقد كان الله يعلم ايمان عبده وخليله . ولكنه سؤال الكشف والبيان، والتعريف بهذا الشوق وإعلانه، والتلطف من السيد الكريم الودود الرحيم، مع عبده الأواه الحليم ! ولقد استجاب الله لهذا الشوق والتطلع في قلب ابراهيم، ومنحه التجربة الذاتية المباشرة . . . لقد أمره أن يختار أربعة من الطير، فيقربهن منه ويميلهن إليه، حتى يتأكد من شيأتهن ومميزأتهن التي لا يخطيء معها معرفتهن . وأن يذبحهن ويمزق أجسادهن، ويفرق اجزأهن على الجبال المحيطة، ثم يدعوهن . فتجتمع اجزأهن مرة أخرى، وترتد إليهن الحياة، ويعدن إليه ساعيات . . . وقد كان طبعاً . . . ورأى ابراهيم هذا السريعة بين يديه . . . طيور فارتقتها الحياة، وتفرقت مزقها في أماكن متباعدة . تدب فيها الحياة مرة أخرى، وتعود إليه سعيأ . . . هذا هو السر الذي يعلو على التكوين البشري إدراكه . انه الشأن الخاص للخالق . الذي لا تتناول إليه اعناق المخلوقين، فاذا تطاولت لم تجد إلا السر المسدل على السر المحجوب، وضاعت الجهود سدى، جهود من لا يترك الغيب المحجوب لعلام الغيوب»^(١) .

قال تعالى

أَوَكَلَّيْكَ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُعْلَمُ هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَّا نَافَةَ اللَّهِ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ يَسْأَلُكُم مِّنْهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا لَأْتِئَتْ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ قَالُوا بَلْ لَيْسَتْ مِائَةَ عَامٍ فَإِنْظِرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَىٰ الظَّامِرِ كَيْفَ

نُبَشِّرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣١﴾

قال تعالى

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ﴿١﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّاءُ خَفِيًّا ﴿٢﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّي وَهِنُ الْعِلْمِ فِيَّ وَأَسْتَعِلُّ الرُّأْسَ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَاؤِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٣﴾
وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَثَةٍ وَكَانَتْ أُمْرَاقِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
وَلِيًّا ﴿٤﴾ يَرْفُقْ بِي وَرَثَتِي مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٥﴾ يَذْكُرِيَّا إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ
لِيَ غُلَامٌ وَكَانَتِ أُمْرَاقِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ
كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ تَكُ شَيْبًا ﴿٨﴾

وقال تعالى

إِذْ قَالَ الْخَوَارِثُوتُ يَحْيَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ
مَأْيِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ قَالُوا أَزِيدُهُ أَنْ تَأْكُلَ
مِنْهَا وَتَقْطَعِمْ قُلُوبَنَا وَتَعْلَمُ أَنْ قَدْ صَدَّقْنَا وَكَوْنُ عَلَيْهِمَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٢﴾
قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا
وَأَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَتَرْتُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ
يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩

(٢) سورة مريم آية ٩٢

(٣) سورة المائدة آية ١١٢-١١٥

«انهم الحواريون الذين الهمهم الله الايمان به ورسوله عيسى فأمنوا،
 واشهدوا عيسى على إسلامهم... ومع هذا فهم بعدما رأوا من معجزات عيسى
 ما رأوا، يطلبون خارقة جديدة. تطمئن بها نفوسهم ويعلمون منها أنه صدقهم.
 ويشهدون له لمن وراءهم... فهم يريدون أن يأكلوا من هذا الطعام الفريد،
 الذي لا نظير له عند أهل الأرض. وتطمئن قلوبهم برؤية هذه الخارقة وهي
 تتحقق أمام أعينهم، ويستيقنوا أن عيسى عليه السلام قد صدقهم، ثم يكونوا
 شهوداً لدى بقية قومهم على وقوع هذه المعجزة... واستجاب الله دعاء عبده
 الصالح عيسى بن مريم، ولكن بالجد اللائق بجلاله سبحانه... لقد طلبوا
 خارقة واستجاب الله. على أن يعذب من يكفر منهم بعد هذه الخارقة عذاباً
 شديداً بالغاً في شدته لا يعذبه احداً من العالمين... حتى لا يصيح طلب
 الخوارق تسليّةً ولهواً. وحتى لا يمض الذين يكفرون بعد البرهان المفهم دون
 جزاء رادع»^(١).

٧ - مرحلة المقارنة :

إن الله سبحانه وتعالى قد خاطب الانسان في هذه المرحلة بما يتناسب مع
 عقله وقدراته. فطلب من الانسان وهو أحد مخلوقاته، ان يقارن بين الله
 سبحانه وتعالى وهو الخالق لكل شيء، وبعض مخلوقاته التي اتخذها الانسان
 وجرى نحوها من دون الله، سواء اكان هذا المُنْبَع شيطاناً مardاً، أم جماداً أصمً،
 أم انساناً جاحداً للحق والحقيقة. وهذه دلالة كبرى على رحمة الله سبحانه
 وتعالى بعباده بأنه سمح للإنسان أن يقارن بين الخالق تعالى وجلّت قدرته
 ومخلوقاته هيهات - هيهات - ان يفقه الإنسان هذه الرحمة، وهذا اللطف
 الكريم من خالق الانس والجن وجامعها الى يوم الدين. وسوف نورد عدداً من
 الآيات القرآنية الكريمة التي تدعو الانسان الى هذه المقارنة لعله يتعظ،
 ويعقل، ويسلم امره للباري سبحانه وتعالى.

(١) في ظلال القرآن، الجزء الثاني، ص ٩٩٨-١٠٠٠

قال تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾^(١)

قال تعالى

خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ فِي أَلْفِ سِنِينَ وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ لَعَلَّ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾^(٢)

قال تعالى

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ دُرُّهُ نَقِيرًا ﴿١﴾ وَلَتَأْخُذُوا مِنْ دُونِهِ مَا لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ وَلَا يَسْتَكْبِرُونَ لَا أَنْفُسُهُمْ ضَرَاءٌ وَلَا نَفْعُهُمْ لِأَعْمَالِهِمْ وَلَا يَحْيَوْنَ وَلَا تَشُورُ ﴿٢﴾^(٣)

قال تعالى

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكِ يُبْتِ
اتَّخَذَتْ يَتَّى وَلَئِنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتُ لَبَيْتُ الْعَنَكِ يُبْتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٤)

(١) سورة الحج آية ٧٣

(٢) سورة لقمان آية ١٠-١١

(٣) سورة الفرقان آية ٢-٣

(٤) سورة العنكبوت آية ٤١-٤٢

قال تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَفَتُرِيدُ بِكُتُبٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنْزِلَ مِنْ عَلَيْنَ كُتُبٌ مَكِيدَةٌ ① وَمَنْ أَخْلَصُ مِنْ دُعَاؤِ اللَّهِ مِنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَعُزَالٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ② (١)

قال تعالى

قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ أَمَّا إِلَهُكُمُ كُتُبًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ لَكُمْ بَعْدَ الظُّلُمَاتِ بَعْضُهُمْ بِمَعْنَى الْأَعْرَابِ ⑤ (٢)

قال تعالى

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ كُمْ مِنْ شَيْءٍ وَسُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ⑥ (٣)

قال تعالى

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَتَأْخُذُكُمْ مِنْ دُونِهِ أُولِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ شَيْئًا فَعْمَاوَلَا ضَرَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ⑦ (٤)

قال تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أُمثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ⑧ أَلَمْ يَأْمُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ أَنْ يُسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ قُلْ إِنِّي أَسْمِعُكُمْ صَلَاتَهُمْ فَهُمْ أُسْمِعُ وَنَسْفَعُ لِمَنْ نَشَاءُ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ صَلَاتَهُمْ فَهُمْ أُسْمِعُ وَنَسْفَعُ لِمَنْ نَشَاءُ وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ صَلَاتَهُمْ فَهُمْ أُسْمِعُ وَنَسْفَعُ لِمَنْ نَشَاءُ ⑨ (٥)

(١) سورة الاحقاف آية ٤-٥

(٢) سورة فاطر آية ٤٠

(٣) سورة الروم آية ٤٠

(٤) سورة الرعد آية ١٦

يَهَيِّئْ لَهُمْ أَصْنُنَ يَصْرِفُونَ يَهَيِّئْ لَهُمْ أَمَّا لَهُمْ أَفَاتٌ يَسْمَعُونَ يَهَيِّئْ لَهُمْ أَفَاتٌ يَسْمَعُونَ يَهَيِّئْ لَهُمْ أَفَاتٌ يَسْمَعُونَ يَهَيِّئْ لَهُمْ أَفَاتٌ يَسْمَعُونَ
 كِيدُونَ فَلَا تُطْرُونَ ﴿١٣٥﴾ إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٣٦﴾
 وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ ﴿١٣٧﴾

قال تعالى

أَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٨﴾ وَاللَّهُ يَمْلِكُ مَا تَشْرُونَ وَمَا تُغْلِبُونَ ﴿١٣٩﴾
 وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٤٠﴾

قال تعالى

وَلِذَلِكَ نُلْهِمُ الْمَلَائِكَةَ آسَجِدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَسَتَبْحِثُونَهُ وَذِرَّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿١٤١﴾

٨ - مرحلة التحدي :

إن الله سبحانه وتعالى بلطفه ورحمته لعباده، قد بين وفصل وضرب لهم من جميع الامثال والدلائل الموصلة للإيمان بالحجج والبراهين الفاطمة، والمعجزات المتعددة، ليعقلوا تلك الامثال والاحداث، ويعترفوا بعجزهم امام قدرة الخالق تعالت وجلت قدرته، ليسلموا للباري عز وجل ويفوزوا بنعيم الدارين. ولكن اكثر الناس اختاروا طريق الضلالة على طريق الهدى، ودار البوار والهلاك على دار الخلود والسلام، واتباع الشيطان واوليائه دون اتباع الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٤٢﴾

(١) سورة الاعراف آية ١٩٤-١٩٧

(٢) سورة النحل آية ١٧-٢٠

(٣) سورة الكهف آية ٥٠

(٤) سورة الاسراء آية ٨٩

فذهبوا لانكار وجحود آيات الله سبحانه وتعالى رغم وجودها الساطع ،
ونصبوا العداة لكل من يؤمن بها . إن اصحاب هذه القلوب العصية والعقول
المستغلبة خاطبهم الباري سبحانه وتعالى في هذه المرحلة بطريقة مختلفة تماماً
عن المراحل السابقة . ففي هذه المرحلة تبرز سمة التحدي لكل من انكر
واستكبر ، ورفض الحقيقة والتسليم لها . وعندما يأتي هذا التحدي من الله
سبحانه وتعالى لبعض ما خلق بخصوص التصديق بأمر يستطيع ان يفرضه
عليهم ، فهذا هو الاجلال بعينه والاکرام جميعه للانسان ، أن يختار كما يشاء
ويتحمل تبعه اعماله .

قال تعالى

لَمَّا كَانَتْ مِصْرَ غَاسِقًا ذُكِّرْتُمْ ۚ سَاسَاكُمُ اللَّيْلُ وَمَا أَصْبَحُ بِطَلْعِ الشَّمْسِ بِمُتَحَسِّرِينَ ۚ يَمُوجُونَ فِيهَا وَبِخُفْيَةٍ مِّنْهُ يَهْمِلُونَ ۚ إِنَّهُمْ فِيهَا لَمُبْلِسُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ شَأْنَنَا عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَا هِيَ فَظَلَّتْ
أَعْنَاقُهُمْ لِمَ أَخْرَجْنَاهُم مِّنْهُ ﴿١﴾^(١)

لذلك فإن هذه المرحلة تضع الذين يصدفون عن آيات الله سبحانه وتعالى
امام اختارين لا ثالث لهما ، هذا اذا ما اراد الانسان ان يرفض البديهيات
وابسط قواعد العقل والمنطق - فلما الفوز في هذا التحدي - وإما التسليم للباري
عز وجل . وسوف نورد بعضاً من الآيات الدالة على طبيعة ونوع هذا التحدي ،
ونرى سوباً كيف تعامل الانسان المتأفح والمكابر مع هذا التحدي في نهاية هذه
المرحلة .

قال تعالى

فَمَنْ خَلَقَتْكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ
الْمُخْلِقُونَ ﴿٥٩﴾ فَمَنْ قَدَرْنَا مِثْقَالَ نَوْصَةٍ أَوْ مَا نَحْنُ بِمُسَوِّينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيْنَ أَنْ نَبْدِلَ آيَاتِكُمْ
وَنُنَوِّشَكُمْ فَمَا لَا تَأْمَنُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾
فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْمُلُكُومَ ﴿٨٢﴾ وَأَنْتُمْ جُنُودٌ تُنْظَرُونَ ﴿٨٣﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ

(١) سورة الشعراء آية ٤-٣

وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ ﴿٥٨﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٥٩﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٠﴾

«إن هذا الأمر أمر النشأة الأولى ونهايتها. أمر الخلق وأمر الموت. إنه أمر منظور ومألوف وواقع في حياة الناس. فكيف لا يصدقون أن الله خلقهم؟ إن ضغط هذه الحقيقة على الفطرة أضخم وأثقل من أن يقف له الكيان البشري أو يجادل فيه. . . إن دور البشر في أمر هذا الخلق لا يزيد على أن يودع الرجل ما يملي رحم امرأة. ثم ينقطع عمله وعملها. وتأخذ يد القدرة في العمل وحدها في هذا الماء المهيمن. تعمل وحدها في خلقه وتنميته، وبناء هيكله، ونفخ الروح فيه. ومنذ اللحظة الأولى وفي كل لحظة تالية تتم المعجزة، وتقع الخارقة التي لا يضمها إلا الله. والتي لا يدري البشر كنهها وطبيعتها، كما لا يعرفون كيف تقع. . . وهذا القدر من التأمل يدركه كل انسان. وهذا يكفي لتقدير هذه المعجزة والتأثر بها، ولكن قصة هذه الخلية الواحدة منذ أن تمنى إلى أن تصبح خلقاً، قصة أغرب من الخيال. قصة لا يصدقها العقل لولا أنها تقع فعلاً، ويشهد وقوعها كل انسان. . . هذه هي البداية. اما النهاية فلا تقل عنها اعجازاً ولا غرابة. وان كانت مثلها من مشاهدات البشر لمألوفة. . . هذا الموت الذي ينتهي إليه كل حي. . . انه قدر الله الذي لا يفلت منه أحد، ولا يسبقه فيقوته أحد. . . ويستقر به الامر في ذلك العالم المغيب المجهول، الذي لا يدري عنه البشر إلا ما يخبرهم به الله. . . فلو كان الأمر كما تقولون: إنه لا حساب ولا جزاء. فأنتم اذن طلقاء غير مدنين ولا محاسبين. فدونكم اذن فلترجعوها. وقد بلغت الحلقوم - لتردوها عما هي ذاهبة إليه من حساب وجزاء. ونتم حولها تنظرون وهي ماضية إلى الدينونة الكبرى وأنتم ساكنون عاجزون! هنا تسقط كل تعلقة. وتنقطع كل حجة. ويبطل كل محال. وينتهي كل جدال. ويثقل ضغط هذه الحقيقة على الكيان البشري، فلا يصمد له، إلا وهو يكابر بلا حجة ولا دليل» (١).

(١) سورة الواقعة آية ٥٧-٦٢، ٨٣-٨٧

(٢) في ظلال القرآن، الجزء السادس، ص ٣٤٦٧-٣٤٧٢

قال تعالى

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِينَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ (١)

قال تعالى

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾ (٢)

وهذا التحدي ظل قائماً في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبعدها، وما يزال قائماً الى يومنا هذا وهو حجة لا سبيل الى المماحكة فيها، وما يزال القرآن يتميز عن كل كلام يقوله البشر تميزاً واضحاً قاطعاً . . . فإن كانوا يرتابون في تنزيله، فدعهم فليأتوا بسورة من مثله، وليدعوا من يشهد لهم بهذا - من دون الله . . . والتحدي هنا عجيب، والجزم بعدم امكانه أعجب، ولو كان في الطاقة تكذيبه ما توانوا عنه لحظة. وما من شك في أن تقرير القرآن الكريم أنهم لن يفعلوا، وتحقق هذا كما قرره هو بذاته معجزة لا سبيل الى المماحكة فيها. ولقد كان المجال امامهم مفتوحاً، فلو انهم جاءوا بما ينقض هذا التقرير القاطع لانهارت حجية القرآن ولكن هذا لم يقع ولن يقع. كذلك فالخطاب للناس جميعاً، ولو أنه كان في مواجهة جيل من أجيال الناس، وهذه وحدها كلمة الفصل التاريخية . . . وكل من له خبرة بتصورات البشر للوجود وللأشياء، وكل من له خبرة بالنظم والمناهج والنظريات النفسية أو الاجتماعية التي ينشئها البشر. . لا يخالفه شك في أن ما جاء به القرآن في هذه المجالات كلها شيء آخر ليس من مادة ما يضعه البشر. والمراء في هذا لا ينشأ إلا عن جهالة لا تميز،

(١) سورة هود آية ١٣-١٤

(٢) سورة البقرة آية ٢٣-٢٤

أو غرض يلبس الحق بالباطل» (١).
قال تعالى

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَقْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ قَصْدِيقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلٌ
الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا
مَنْ اسْتَظْتَمْتُمْ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾
قال تعالى

قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٣٩﴾

يا لها من ضلالة عاتية ولجاجة مأكرة، أن يخرج الانسان من مرحلة
التحدي السافرة عاجزاً أن يأتي أو يعمل أي شيء من مادة التحدي ويترك أرض
المعركة مهزوماً صاغراً، ويدهي بعد انكاره لكل الحجج والبراهين القاطعة
التي تنطق وتفوح بالحق والحقيقة، وهزيمته النكراء في مرحلة التحدي، إنه يود
ان يبحث عن الحقيقة عن طريق العقل الذي تبين بوضوح إشراق الشمس في
المراحل السابقة مدى قصوره وهزيمته امام المعجزات المتتالية والانسحاب من
أرض المعركة ذليلاً صاغراً من مرحلة التحدي.

ذهب الانسان بعد هذه المراحل المتتالية والمتداخلة التي خاطب من
خلالها الباري عز وجل الانسان بجميع الامثال والمفاهيم، ومن مختلف
المداخل لينيب الى خالقه سبحانه وتعالى، ولكن الذين لا يناسبهم الحق
والحقيقة لإصطدامها بالقوى الشهوية التي انتقاد لها هؤلاء النفر من الناس،
ذهبوا الى المناورة والجدال للأفتات على الحق واهله ليضلوا انفسهم ومن
وشجت عروقه على طريقتهم. فقسم منهم رجم الغيب بلا هوادة، دون ادنى
دليل او برهان على مدى صدقهم، وسماوا انفسهم بالحكماء بالرغم من هزيمتهم

(١) في ظلال القرآن: الجزء الاول من ٤٨-٤٩

(٢) سورة يونس آية ٣٧-٣٨.

(٣) سورة الاسراء آية ٨٨.

النكراء امام الحقائق الساطعة التي يعمّج بها الفكر الإسلامي على مختلف
مراحله . رغم ان كل ما جاءوا به عن الأمور الغيبية يمثل مجموعة من التخرصات
والتخيلات عن مكنونات الغيب . واما القسم الآخر من الذين ولّوا الادبار للحق
والحقيقة ، فذهبوا الى انكار الغيب وجحوده بالكامل ، والايمان والتسليم فقط
لكل ما هو محسوس ، أي للعالم المادي . وهذا بعينه الذي ذهب اليه
الطبيعيون ، والوجوديون ، والنفعيون (الرأسماليون) ، والشيوعيون . والشيء
العجيب أن هؤلاء الذين اقحموا العقل الانساني في امور لا يقوى عليها في
التحليل والتخيل ، والتكهن في الغيب ومكنوناته ، وهؤلاء الذين حددوا العقل
الانساني بالعالم المادي الحسي فقط - جميعهم - يدّعون بأنهم اكرموا الانسان
وعقله بهذه الأعمال المتضادة التي تفوح بتسائم الزيف والضلال لما فيها من
مكابرة ، وهناد ، وافتئات على الحق والحقيقة .

الفصل السادس

مصادر المعرفة

- مقدمة

- المصادر الفلسفية للمعرفة

- نظرية الاستدكار الأفلاطونية

- النظريات العقلية

- النظرية الحسية

- نظرية الانتزاع

- المصادر الإسلامية للمعرفة

- نظرية العهد والتذكر

- النظرية الحسية

- النظرية العقلية

- نظرية الانتزاع والاستدلال

- الوحي والتبليغ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ
الْفَيْصِمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾

سورة الأعراف (١٧٢)

﴿عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ يُعَلِّمُ مَا فِي
الْكِتَابِ وَالْبَحْرُ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ
فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

سورة الأنعام (٥٩)

قُلْ أَوَكُلَّ الْبَعْرِ مِمَّا كَانَتْ رِيقِي أَتَوَدَّ الْبَحْرُ قِيلَ أَنْ تَنْفَذَ كُلُّ شَيْءٍ
رِيقِي وَلَوْ جِئْتَابِ بِشَيْءٍ مَعْدَاكَ ﴿١٥٩﴾

سورة الكهف (١٥٩)

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُّ مِنْ يَدَيْهِمْ
مَسْبُغَةٌ أَتَمْسُحُونَ بِمَا أُنزِلَتْ إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَخْرٍ حَكِيمٍ ﴿٢٧﴾

سورة لقمان (٢٧)

مصادر المعرفة

«تدور حول المعرفة الإنسانية مناقشات فلسفية حادة، تحتل مركزاً رئيسياً في الفلسفة وخاصة الفلسفة الحديثة، فهي نقطة الانطلاق الفلسفي لأقامة فلسفة متماسكة عن الكون والعالم، . . . وإحدى تلك المناقشات الواسعة هي المناقشة التي تتناول مصادر المعرفة ومنابعها الأساسية بالبحث والدرس»^(١).

ولقد تعددت أقوال الفلاسفة حول منابع المعرفة ومصادرها، فمن قائل بأنه لا مصدر للمعرفة أبداً، حيث لا يمكن الوثوق بشيء يحصل منه العلم الصحيح، وهؤلاء هم السفسطائيون. ومن قائل بأن مصدر المعرفة الاتصال المباشر فقط، كما ذهب إليه المتصوفة. ومن قائل بأنه العقل دون سواه، وهم المثاليون، وقائل بأنه العقل. إلى غير ذلك من المذاهب»^(٢).

يقسم الغزالي المعرفة إلى ثلاثة أقسام: المعرفة الحسية، والمعرفة العقلية، ثم المعرفة الصوفية. التي يرى أن وسيلتها التصفية والزهد والورع والتقوى»^(٣).

وقبل أن نوجز القول عن مصادر المعرفة ونظرياتها، نرى أن لا بد من الإشارة إلى المخطأ الجسيم الذي وقع فيه الفلاسفة والمتكلمون حول موضوع

(١) فلسفتنا، محمد باقر الصدر. دار المعارف للطبعوعات، بيروت، ١٩٨٠، ص ٥٧.

(٢) معالم الفلسفة الإسلامية، محمد جواد مغنية، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت - لبنان.

(٣) الفلسفة الإسلامية في المشرق، الدكتور فيصل بدير عون، مكتبة الحرية الحديثة،

القاهرة ١٩٨٢، صفحة ٤٤٠.

المعرفة . وهو تطبيق النظريات المعرفية التي جاء بها الفكر البشري في هذا العالم المحسوس ، في الوصول إلى أمور تتعلق بعالم الغيب الذي لا يعلم سره وحقائقه إلا الله سبحانه وتعالى . فقد أطلعنا الباري عز وجل عن طريق رسله على بعض تلك الحقائق الغيبية ، ويدل ذلك بوضوح في قوله سبحانه وتعالى .

عَلَيْمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٧﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٦٨﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْبَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٦٩﴾

ففي الوقت الذي نجحت فيه النظريات المعرفية البشرية في دفع هجلة التقدم العلمي والحضاري للانسان على مستوى العالم المادي ، فانها قد فشلت فشلاً وخيماً على مستوى العالم الغيبي ؛ لذلك فإن مصدر المعرفة بشكل عام يقسم إلى شطرين . الشطر الاول يمثل النور والهدى الإلهي الذي جاء به الأنبياء والمرسلون من قبل الباري عز وجل . ليشمل المعارف والحقائق التي يحتاجها الانسان لتضيء له السبيل في الوصول إلى الصراط المستقيم .

قال تعالى
قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾

قال تعالى

يَبْنِي بَيْنَ يَدَيْهِمْ أَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَلِيكُم مِّنِّي فَتَتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾

(١) سورة الجن آية ٢٦ - ٢٨ .

(٢) سورة البقرة آية ٣٨ .

(٣) سورة الاعراف آية ٣٥ .

ويمتاز هذا المصدر بالصدق والثبات والكمال على مستوى عالم الغيب وعالم الحس .

أما بالنسبة إلى الشطر الثاني ، فيشمل جميع النظريات البشرية التي حاول إقطابها الوصول إلى بواطن الأمور ومكنوناتها المتعلقة بعالم الحس وعالم الغيب .

ومن هذه النظريات :

١ - نظرية الاستدكار الأفلاطونية :

وهي النظرية القائلة بأن الإدراك عملية استدكار للمعلومات السابقة ، وقد ابتدع هذه النظرية أفلاطون ، وأقامها على فلسفته الخاصة عن المثل ، وقدم النفس الانسانية ، فكان يعتقد أن النفس الانسانية موجودة بصورة مستقلة عن البدن قبل وجوده ، ولما كان وجودها هنا متحرراً من المادة وقيودها متحرراً كاملاً ، اتيح لها الاتصال بالمثل - أي بالحقائق المجردة عن المادة - وأمكنها العلم بها ، وحين اضطرت إلى الهبوط من عالمها المجرد للاتصال بالبدن والارتباط به في دنيا المادة ، فقدت بسبب ذلك كل ما كانت تعلمه من تلك المثل والحقائق الثابتة ، وزهلت عنها ذهولاً تاماً ، ولكنها تبدأ باسترجاع ادراكاتها عن طريق الاحساس بالمعاني الخاصة والأشياء الجزئية ، لأن هذه المعاني والأشياء كلها ظلال وانعكاسات لتلك المثل والحقائق الأزلية الخالدة في العالم الذي كانت تعيش النفس فيه . فمتى أحسّت بمعنى خاص انتقلت فوراً إلى الحقيقة المثالية التي كانت تدركها قبل اتصالها بالبدن ، وعلى هذا الأساس يكون ادركنا للانسان العام ، أي لمفهوم الانسان بصورة كلية ، استدكار لحقيقة مجردة كنا قد غفلنا عنها ، وإنما استدكرناها بسبب الاحساس بهذا الانسان الخاص أو ذاك من الافراد التي تعكس في عالم المادة تلك الحقيقة المجردة . فالتصورات العامة سابقة على الاحساس ، ولا يقوم الاحساس إلا بعملية استرجاع واستدكار لها ، والادراكات العقلية لا تتعلق بالأمور الجزئية التي تدخل في نطاق الحس ، وإنما تتعلق بالحقائق الكلية المجردة . وهذه النظرية تركز على قضيتين فلسفيتين : أحدهما أن النفس موجودة قبل وجود البدن في عالم أسمى من المادة ،

والاخرى أن الإدراك العقلي هو ادراك الحقائق المجردة الثابتة في ذلك العالم الاسمي والتي يصطلح عليها أفلاطون بكلمة (المثل)^(١).

٢ - النظريات العقلية :

وهي لعدد من كبار فلاسفة أوروبا أمثال ديكارت وكانت وغيرهما .

وتتلخص هذه النظرية في الاعتقاد بوجود منبعين للتصورات : أحدهما : الإحساس ، فنحن نتصور الحرارة والنور والطعم والصوت لأجل إحساسنا بذلك كله ، والآخر : الفطرة ، بمعنى أن الذهن البشري يملك معاني وتصورات لم تنبثق عن الحس ، وإنما هي ثابتة في صميم الفطرة ، فالنفس تستنبط من ذاتها ، وهذه التصورات الفكرية عند (ديكارت) هي فكرة (الله والنفس والامتداد والحركة) ، وما إليها من أفكار تتميز بالوضوح الكامل في العقل البشري . وأما عند (كانت) فالجانب الصوري للإدراكات والعلوم الانسانية كلها فطري ، بما يشتمل عليه من صورتَي الزمان والمكان . . . فالحس ، على أساس هذه النظرية ، مصدر فهم للتصورات والأفكار البسيطة ، ولكنه ليس هو السبب الوحيد ، بل هنالك الفطرة التي تبعث في الذهن طائفة من التصورات^(٢).

٣ - النظرية الحسية

وهي النظرية القائلة : أن الإحساس هو الممون الوحيد للذهن البشري بالتصورات والمعاني ، والقوة الذهنية هي القوة المعاكسة للإحساسات المختلفة في الذهن . فنحن حين نحس بالشيء نستطيع أن نتصوره - أي أن نأخذ عنه في ذهننا - وأما المعاني التي لا يمتد إليها الحس ، فلا يمكن للنفس ابتداعها وإبتكارها ذاتيا وبصورة مستقلة . . . ولعل المبشر الأول بهذه النظرية الحسية هو (جون لوك) الفيلسوف الانجليزي الكبير ، الذي بزغ في عصر فلسفي زاهر

(١) فلسفتنا ، محمد باقر الصدر . دار المعارف للطبوعات ، بيروت ، الطبعة العاشرة ،

١٩٨٠ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) المصدر السابق صفحة ٦١ .

بمفاهيم (ديكارت) عن الأفكار الفطرية، فبدأ في تفنيد تلك المفاهيم، ووضع لأجل ذلك دراسة مفصلة للمعرفة الانسانية في كتابه (مقالة في التفكير الانساني)، وحاول في هذا الكتاب إرجاع جميع التصورات والأفكار إلى الحس، وقد شاعت هذه النظرية بعد ذلك بين فلاسفة أوروبا وقضت إلى حد ما على نظرية الأفكار الفطرية، وانساق معها جملة من الفلاسفة إلى أبد حدودها، حتى انتهت إلى فلسفات خطيرة جداً كفلسفة (باركلي) و (دفيد هيوم)^(١).

٤- نظرية الانتزاع:

وهي نظرية الفلاسفة الاسلاميين بصورة عامة. وتتلخص هذه النظرية في تقسيم التصورات الذهنية إلى قسمين: تصورات أولية، وتصورات ثانوية. فالتصورات الأولية هي الاحساس التصوري للذهن البشري، وتتولد هذه التصورات من الاحساس بمحتوياتها بصورة مباشرة. فنحن نتصور الحرارة لأننا أدركناها باللمس ونتصور اللون لأننا أدركناه بالبصر، ونتصور الحلاوة لأننا أدركناها بالذوق، ونتصور الرائحة لأننا أدركناها بالشم. وهكذا جميع المعاني التي ندركها بحواسنا فإن الاحساس بكل واحد منا هو السبب في تصوره ووجود فكرة عنه في الذهن البشري وتتشكل من هذه المعاني القاعدة الأولية للتصور وينشأ الذهن بناء على هذه القاعدة، التصورات الثانوية، فيبدأ بذلك دور الابتكار والانشاء، وهو الذي تصطلح عليه هذه النظرية بلفظ (الانتزاع) فيولد الذهن مفاهيم جديدة من تلك المعاني الأولية، وهذه المعاني الجديدة خارجة عن طاقة الحس وإن كانت مستنبطة ومستخرجة من المعاني التي يقدمها الحس إلى الذهن والفكر. وهذه النظرية تتسق مع البرهان والتجربة ويمكنها أن تفسر جميع المفردات التصورية تفسيراً متماسكاً. ففي ضوء هذه النظرية، نستطيع أن نفهم كيف اتبقت مفاهيم العلة والمعلول، والجوهر والعرض، والوجود والوحدة، في الذهن البشري. انها كلها مفاهيم انتزاعية يبتكرها الذهن في

(١) المصدر السابق صفحة ٦٤-٦٥.

المعاني المحسوسة، فنحن نحس مثلاً بغليان الماء حين تبلغ درجة حرارته مائة، وقد يتكرر إحساسنا بهاتين الظاهرتين: - ظاهرتي الغليان والحرارة - آلاف المرات ولا نحس بعلية الحرارة للغليان مطلقاً وإنما الذهن هو الذي يتنزع مفهوم العلية من الظاهرتين اللتين يقدمهما الحس إلى مجال التصور^(١).

بعد أن فرغنا من التحدث عن الشطر الثاني لمصدر المعرفة المتمثل في النظريات البشرية الأربعة، الاستدكار، النظريات العقلية، الحسية، ونظرية الانتزاع، لا بد من الإشارة إلى أن هذه النظريات جميعها لا تتمكن من أن تؤدي بأي حال من الأحوال الوصول إلى منابع المعرفة، ولا في التعرف على ما يود الإنسان أن يعرفه من أمور تتعلق بكيانه، ووجوده ومستقبله، وإلى جميع ما يمت له بصلة، سواء أكان ما يدور حول العالم المحسوس، أم حول اليوم الآخر، حيث تاريخ البشرية يشهد بذلك.

ولكن جميع هذه النظريات، قد تساعد الإنسان وتقنعه بأن يصل إلى المورد الرئيسي للمعرفة، وهو التصديق والتسليم للحق المملوء بالحقائق الوفيرة العجمة الناصعة البياض، التي جاء بها الأنبياء والمرسلون بإذن ربهم، منلرين ومبشرين، حيث أراد الله، جلّت وتعالّت قدرته، أن يساعد هذا الإنسان المخلوق الضعيف في عدم ابتعاده عن فطرته والعمل بموجب الميثاق والعهد الذي أخذ منه وهو في عالم الذر. أما بالنسبة إلى هذه النظريات البشرية، فإن المتدبر آيات القرآن الكريم يجد جميع هذه النظريات مع وجود بعض الفروق من حيث الهدف والمضمون.

أما من حيث الهدف لنظرية الاستدكار المتواجدة في القرآن الكريم، فهو الوصول عن طريق التذكر إلى مصدر المعرفة المتمثل في تذكّر الله سبحانه وتعالى، والتسليم له، والتصديق بما أرسله للإنسان عن طريق الأنبياء والمرسلين. وكذلك الأمر بالنسبة إلى النظريات العقلية والحسية الموجودة في

(١) المصدر السابق صفحة ٦٨-٦٩.

القرآن الكريم . أضف إلى ذلك بأن النظريات العقلية والحسية ، تدفع الانسان إلى أن يستدل على الله سبحانه وتعالى عن طريق استخدام التبصر والتفكر في ملكوت الخالق عز وجل ، وهذه العملية بحد ذاتها تعد بمثابة الانتزاع أو الاستدلال على الخالق سبحانه وتعالى عن طريق استخدام الحس والعقل .

أما بالنسبة إلى نظرية الاستدكار الموجودة في القرآن الكريم ، فقبل توضيح في الآية التالية :

قال تعالى

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ بُنَىٰ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَتَىٰ قَوْلُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ^(١)

وتعرض هذه الآية قضية التوحيد من زاوية جديدة عميقة . تعرضها من زاوية الفطرة التي فطر الله عليها البشر ، وأخذ بها عليهم الميثاق في ذات أنفسهم ، وذات تكوينهم ، وهم بعد في عالم النور . إن الاعتراف بربوبية الله وحده فطرة في الكيان البشري . فطرة أودعها الخالق في هذه الكيئونة وشهدت بها على نفسها بحكم وجودها ذاته ، وحكم ما تستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة . أما الرسائل فتذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى ، فيحتاجون إلى التذكير والتحذير . إن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى ، فلا حجة لهم في نقض الميثاق - حتى لو لم يبعث إليهم بالرسول يذكرونهم ويحذرونهم - ولكن رحمته وحدها اقتضت ألا يكلمهم إلى فطرتهم هذه فقد تنحرف ، وألا يكلمهم كذلك إلى عقولهم التي أعطاهم لهم فقد تضل ، وأن يبعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . . . إنها قضية الفطرة والعقيدة يعرضها السياق القرآني في صورة مشهد فريد . مشهد الذرية المكنونة في عالم الغيب السحيق ، المستكنة في

ظهور بني آدم قبل أن تظهر إلى العالم المشهود، تؤخذ في قبضة الخالق المربي، فسالها: «ألسنت يريكم؟». فتعترف له - سبحانه - بالربوبية، وتقر له سبحانه بالعبودية، وتشهد له سبحانه بالوحدانية. وهي متشورة كالذر، مجموعة في قبضة الخالق العظيم»^(١).

ثم أن الله سبحانه ردهم بعد أن أخذ الميثاق إلى مواطنهم من الاصلاب حتى اجتمعوا في صلب آدم، وهي على حياتها ومعرفتها بالربوبية، وإن نسوا ما وراء ذلك مما شاهدوه عند الاشهاد وأخذ الميثاق، وهم بأعيانهم موجودون في الاصلاب حتى يؤذن لهم الخروج إلى الدنيا فيخرجون وعندهم ما حصلوه في الخلق الأول من معرفة الربوبية، وهي حكمهم بوجوب ربّ لهم من مشاهدة انفسهم محتاجة إلى من يملكهم ويدبر أمرهم»^(٢).

وفي الدر المنثور أخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذي في نواذر الاصول وأبو الشيخ في العظمة وابن مردويه عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الخلق وقضى القضية، وأخذ ميثاق النبيين وعرضه على الماء، فأخذ أهل اليمين يمينه، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى وكلتا يدي الرحمن يمين فقال: يا أصحاب اليمين فاستجابوا له فقالوا: لبيك ربنا، وسعديك. قال: ألسنت يريكم؟ قالوا: بلى. قال: يا أصحاب الشمال فاستجابوا له فقالوا: لبيك ربنا وسعديك قال: ألسنت يريكم؟ قالوا: بلى. فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم: ربّ لم خلطت بيننا؟ قال: ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ثم ردهم في صلب آدم فأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠، المجلد الثالث، ص ١٣٩١-١٣٩٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، المجلد الثامن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١، صفحة ٣١٥.
- ١٤٨ -

فقال قائل : يا رسول الله فما الأعمال؟ قال : يعمل كل لمنازلهم . فقال عمر ابن الخطاب : إذا نجته^(١) .

أما بالنسبة إلى تذكر هذه المعلومات . فإن الانسان عندما يتعرض إلى بعض الشدائد والأحوال ، فإنه يتذكر حاجته الماسة إلى خالقه ، هذه الحاجة والربوبية التي فطر عليها ويبدو ذلك بجلاء ووضوح في قوله تعالى :

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِمْ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٢)

وقال تعالى

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاهُمْ مِنْهُ رَحِمَهُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْكُرُونَ^(٣)

وقال تعالى

❖ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نِسِيَ مَا كَانَ يُدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلْنَا لِقَوْمِهَا آيَاتٍ لِيُحْضَلْ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَعْيُنِ النَّارِ^(٤)

(١) نفس المصدر السابق صفحة ٣٢٧ .

(٢) سورة يونس آية ١٢ .

(٣) سورة الروم آية ٣٣ .

(٤) سورة الزمر آية ٨ .

يتضح من الآيات السابقة أن الانسان إذا تعرض إلى هول أو مصيبة فإنه يتذكر خالقه سبحانه وتعالى ، وعندما يزول عنه عامل الخوف ويعود إلى وضعه الطبيعي ، فإن فريقاً من الناس يعود إلى ما كان عليه قبل التذكر والتوجه إلى الله ، كما أن هناك قسماً من الناس تنفعه عملية التذكر ، حيث إنهم لا يعودون إلى ما كانوا عليه (إذ فريق بربهم يشركون) .

ولإيماءة إلى النظريات العقلية ، فإن الباري عز وجل خاطب الانسان وحده على أن يتفكر وأن يستخدم عقله في الوصول إلى حقيقة الله كما جاء بها الأنبياء والمرسلون ، ومن ثم التسليم والإنابة إلى تعليمات الخالق سبحانه وتعالى والمضي قدماً على صراطه المستقيم بهدف الفوز العظيم في دخول جنات النعيم في اليوم الآخر .

قال تعالى
إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ^(١)

وقال تعالى

وَمَنْ لَعْنَةُ تَنَكُّبِكُمْ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾^(٢)

قال تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٧٧﴾^(٣)

وقال تعالى

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٥﴾^(٤)

(١) سورة آل عمران آية ١٩٠ .

(٢) سورة يس آية ٦٨ .

(٣) سورة الزمر آية ٢٧ .

(٤) سورة الزمر آية ٤٢ .

قال تعالى

إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ تَابُوْءِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١﴾ وَلَتَوَلَّيْ أَيْلٌ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ أَنَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْيَارُ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾

قال تعالى

اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفَاكٌ فِيهِ فَأَمْرٌ يُؤْتِيهِمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾

وقال تعالى

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ طَفَافٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَسْلُقُوا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لَكُمْ كُنُوفٌ ثُمَّ لَكُمْ أَرْوَاحٌ وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤْتِي مِنْ قَبْلِ وَلَيَبْلُقُوا الْجَلَامُ ثُمَّ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾

كذلك فإن الله سبحانه وتعالى حث الانسان في مواطن كثيرة في القرآن الكريم على أن يستخدم حواسه في التبصر في ملكوته سبحانه وتعالى من الوسائل التي قد تفود الانسان إلى التسليم والاعتقاد بخالق هذا الكون، والتصديق للحق الذي أرسله للانسان عن طريق المبشرين والمعلمين من الرسل.

قال تعالى

أَفَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَكُمْ مِنْ مُّزِينٍ ﴿١﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْهَبْنَاهَا مِنْ كُلِّ زَرْعٍ ۖ هَيْجَ ۖ تَبَعِيرَ ۚ وَنُكَرَى

(١) سورة الجاثية آية ٥-٣ .

(٢) سورة الجاثية آية ١٢-١٣ .

(٣) سورة المؤمن (غافر) آية ٦٧ .

لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ
رَبَقًا لِلْبَيْتِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾
الْمَرْجُوحُ ﴿١١﴾

وقال تعالى

الزُّرُّورَ وَكَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا وَجَعَلَ
الشَّمْسَ مِرْجًا ﴿١٣﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَ كَرِيمًا مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يُعِيدُ كُرْفِيهَا وَيُغْرِجُكُمْ
إِخْرَاجًا ﴿١٥﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لِكُلِّ الْأَرْضِ بِسَاطًا ﴿١٦﴾ لَتَسْكُوتُنَّهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿١٧﴾

وقال تعالى

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَيْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى
الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٢٠﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢١﴾

أما بالنسبة إلى نظرية الانتزاع والاستدلال، فهي تعتبر محصلة التفكير
والتبصر الذي حث عليه الله سبحانه وتعالى؛ ليصل به إلى الاستدلال على
جبروته وعظمته خلقه والتسليم له وللحق الذي أرسله عن طريق الأنبياء
 والمرسلين.

قال تعالى

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحْمُودٍ
﴿٢٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٢٣﴾

وعندما يصل الإنسان إلى مرحلة التسليم للباري عز وجل فإنه ينعم
بالاتصال بمصدر المعرفة، والحكمة والنور المبين التي تتجسد جميعها في
القرآن العربي الحكيم. وهذا ما تم تبليغه إلى البشرية بالوحي.

(٢) سورة نوح آية ١٥-٢٠.

(١) سورة ق آية ٦-١١.

(٤) سورة ق آية ٣٦-٣٧.

(٣) سورة النازية آية ١٧-٢٠.

الفصل السابع

تحديد الخير والشر

- مقدمة .
- المفهوم الانساني الفلسفي للخير والشر .
- المفهوم الاسلامي للخير والشر .
- بلرة الشر .
- طريق الشر ونهجه .
- منبع الخير .
- طريق الخير ونهجه .

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿٣٦﴾ فَقُلْنَا
يَعَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى

سورة طه (١١٦-١١٧)

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ
خَلَقْتَ طِينًا ﴿٣٧﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٨﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٣٩﴾ وَأَسْتَفْزِزُ مَنْ أَسْطَظَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَلَأُجِيبَ
عَلَيْهِمْ بِقِيْلِكَ وَرِجَالِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتُهُمْ بِمَا وَعَدَهُمْ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

سورة الإسراء (٦١-٦٤)

يَنْفِي آدَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ بَعْثِهِمْ إِذْ يَرْتَكِبُ هُوَ قَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا جَعَلْنَا
الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

سورة الأعراف (٢٧)

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ
بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

سورة البقرة (٢٥٦)

تحديد الخير والشر

يعد هذا الموضوع من أبرز الموضوعات التي شغلت الانسان بحثاً وتفكيراً، لما له من أثر مباشر على تشكيل الأنماط السلوكية للانسان بما يتصل في إرضاء ذاته ونسج خيوط التعامل الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي مع الآخرين سواء أكانوا أفراداً أم جماعات.

وقد غصت بطون الكتب بالمعلومات المتعددة المتباينة بشكل يتناسب مع الاختلاف الطبيعي الذي وشجت عليه النفس الانسانية في نظرتها للحق والحقيقة. وسوف نتناول بعض الآراء المختلفة التي تمثل وجهة نظر الانسان في عدة حقب تاريخية قبل أن نتطرق إلى الخير والشر في المفهوم الاسلامي.

يعتقد السوفسطائيون أن الخير كله يكمن في إشباع الشهوات الانسانية دون الالتفات إلى أي قانون يحول دون تلبية وإشباع الشهوات الانسانية.

ويرى السوفسطائيون أن القانون سنة الضعفاء والسواد الاعظم من الناس الذين ذهبوا إلى تخويف الأقوياء وصددهم عن التفوق عليهم، وذهبوا إلى أن الظلم بالذات في إرادة التسامي على الآخرين. ولكن الطبيعة تقدم الدليل على أن العدالة الصحيحة تقضي بأن يتفوق الأحسن الأقدر. إن هذا الواقع في كل موطن: في الحيوان والانسان، في الاسر والمدن، وإن علامة العدالة سيادة القوي على الضعيف، وإذعان الضعيف لهذه السيادة. . . . ومن ناحية أخرى الكل يطلب السعادة، فكيف يستطيع أن يعيش سعيداً من يخضع لأي شيء كان، قانوناً أم إنساناً؟ إلا أن العدالة، والفضيلة، والسعادة بحسب الطبيعة أن

يتعهد في نفسه أقوى الشهوات، ثم يستخدم ذكائه، وشجاعته لإرضائها مهما تبلغ من قوة ولا يتسنى هذا لغير الرجل القوي . لذا نرى العامة تعنف الذين تعجز عن مجاراتهم لتُخفي بهذا التعنيف ضعفها وتُخجلها من هذا الضعف وتشيد بالعفة لقصورها عن إرضاء شهواتها الإرضاء التام وتطلب العدالة لجبنها وقعودها عن عظام الأمور . ولو صح أن السعادة في الخلو من الحاجات والرغائب، لوجب أن ندعو الاحجار والاموات سعداء^(١) .

أما سقراط فيرى أن الانسان يُحب الخير الذي يتجسد في القوانين العادلة المطابقة للعقل والنظام الإلهي .

يرى سقراط أن الانسان روح وعقل يسيطر على الحس ويدبره، والقوانين العادلة صادرة عن العقل، ومطابقة للطبيعة الحققة، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الآلهة في قلوب البشر . فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الإلهي والانسان يريد الخير دائماً، ويهرب من الشر بالضرورة، فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو إنسان أرادته حتماً . أما الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره وعلى ذلك فالفضيلة علم والرذيلة جهل^(٢) .

يرى زعيم الفلسفة المثالية (أفلاطون) أن الشر بذاته هو عالم الحس، كما أن الخير كله يتجسد في عالم المثل والافكار . أما بالنسبة إلى الخير في عالم الحس فيرى أفلاطون أنه يتحقق في اتباع النظام وعدم الإسراف والتعامل مع الأشياء حسب حقائقها دون الانتقاص منها . ويرز رأيه هذا في رده على السوفسطائيين : «لا تقل أن السعادة تقوم في الشهوة القوية وفي اللذة بالاطلاق، وإنما قل الانسان أسعد حالاً في النظام منه في الإسراف . ولو اتبعنا حساب أصحاب اللذة بشرط أن تضبط الحساب، لوجدنا أن الحياة الفاضلة هي ألد حياة تمتاز بخفة الانفعال وضعف اللذة والألم، واللذة فيها أغلب وأدوم .

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٩٣-٩٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٣ .

في حين إن الألم أغلب وأدوم في حياة الرذيلة . فالفائلون باللذة لا يقدرون مرمى قولهم ، ولا يدرون ما يريدون إن اللذات والآلام الحسنة هي التي تُطلب ، واللذات والآلام الرديئة هي التي تُجتنب ؛ وإن النافع ما يجلب الخير ، والضار ما يجلب الشر ، والمنفعة التي تُوسم بالخير هي التي تكمل الشيء وفق حقيقة هذا الشيء ، والضرر الذي يُوسم بالشر هو الذي ينتقص الشيء أو يقضي عليه فليس الأخيار أخياراً باللذة ، بل بالخير ، وليس الأشرار أشراراً بالألم بل بالشر^(١) .

إن الفيلسوف بروتاغوراس (Protagoras) يعتقد أن لكل إنسان الحق في أن يحدد لنفسه ما هو خير ، وما هو شر . وفي ضوء هذا الاعتقاد ، قد يكون الخير بالنسبة لإنسان ما ، شراً إلى إنسان آخر .

وقد رأى لفيف من الفلاسفة أنه لا يوجد بذور للخير أو للشر ، حيث إن الانسان يستطيع أن يحصل على ما يريد بأي وسيلة ممكنة لديه ، وأنه لا وجود للقوانين الأخلاقية . ومن جملة من نادى بهذا الاعتقاد : كاليكلس (Callicles) ، واثيديمس (Euthydemus) ، وثراسيماخاس (Thrasymachos) .

وهناك بعض من الفلاسفة ذهب إلى الاعتقاد بأن ما هو خير في بعض الظروف ، قد يكون شراً في ظروف أخرى ، أي إنه لا يوجد فصل تام بين ما هو خير ، وما هو شر ، ولكن الظروف ، أو طبيعة الظرف هي التي تحدد ذلك - وليس نوعية العمل أو السلوك - . ومن أبرز من نادى بهذا التوجه الفيلسوف الأمريكي جون ديوي .

وهناك من اعتقد بوجود الوسائل الثابتة ، والمعتمدة والصالحة لكل زمان ومكان في قياس كل من الخير والشر بدقة كاملة ؛ ويشيرون بذلك إلى التوصيات العشرة الموجودة في كتاب التوراة المقدس .

(١) المصدر السابق ص ٩٤-٩٥ .

وفي خضم تلك الملابس، والتأملات، والتكهنات، والتخرصات، والمعلومات المتغايرة والمتباينة التي جاء بها الفكر الانساني حول هذا الموضوع بالغ الأهمية، لما يترتب عليه من انعكاسات نفسية، واجتماعية، وفكرية ومصيرية في حياة الانسان، فإننا لا بد أن نعطف بنظرنا إلى النور السماوي المبين لئلا نرى حقيقة بذور الخير والشر، وجميع ما يؤدي إلى متابعهما من أجل نبد الشر وجلوده، والاتصاف حول الخير وأجانه.

إن الحق تبارك وتعالى أخبرنا في كتابه الحكيم أن بداية نشوء الشر بالنسبة للانسان ظهرت إلى حيز الوجود عندما رفض الشيطان أن يسجد لسيدنا آدم عليه السلام، وخالف أوامر الجبار سبحانه وتعالى متدرباً بأسباب واهية تنم عن جهله بحقائق الأمور بشكل عام، وعدم فهمه لحقيقة الله سبحانه وتعالى بشكل خاص. ودليل ذلك يبدو واضحاً في قوله تعالى :

وَلَقَدْ خَلَقْتَكُمْ ثُمَّ صَوَّرْتَكُمْ ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾^(١)

قال تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥﴾^(٢)

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عبده آدم عليه السلام بالعداوة العاتية التي يكنها الشيطان لآدم وذريته من بعده لكي لا يكون هدفاً هو وذريته للشيطان وجنده. ويبدو ذلك في قوله عز من قائل :

(١) سورة الاحراف آية ١١-١٢.

(٢) سورة البقرة آية ٣٤.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٧﴾
فَقُلْنَا يَتَدَبَّرُونَ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرَوْحِكَ فَلَا تَخْرُجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْفَى ﴿١٨﴾

وقد استطاع الشيطان بطرقه وأساليبه المتنوعة أن يغوي سيدنا آدم وزوجه ويكون سبباً في إخراجهما من الجنة وهبوطهما إلى الأرض. ولم يكف عدو البشرية بذلك بل أخذ يتوعد ويتهدد أن يغوي ذرية آدم ويسوقهم إلى طرق الضلال والهلاك، بعد أن طلب من الله سبحانه وتعالى أن يجعله من المنظرين. وتبدو أنواع وصور التهديد التي أطلقها الشيطان لآدم وذريته في الآيات التالية :

قال تعالى

قَالَ قِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ صُرُطًا مَسْتَقِيمًا ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٢٠﴾
قال تعالى وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٢١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أُخِّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَأَتَتْ جَهَنَّمَ جَزَاءً وَكُفْرًا تَوْفُورًا ﴿٢٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصُورِكَ وَأُجِلِّبَ عَلَيْهِمْ بِحِيلِكَ وَرَجَّيْتُكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدُّهُمْ وَمَا يَبْعُدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرُورًا ﴿٢٤﴾

قال تعالى

قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ قَالَ فَخَرُجْ مِنْهَا إِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ أُبْعَثُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ

يَنْظُرِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْوَعْدِ الْمَعْلُومِ ﴿٧٧﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٨﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٩﴾

يسلو بوضوح من الآيات السابقة التهديد والوعيد الذي أطلقه الشيطان لذرية آدم مدلاً بذلك على عداوته الأبدية للإنسان في مختلف العصور والأزمان، وأنه سيتبع كل ما في وسعه، وما عنده من أساليب ليحببهم طريق الحق والخير المتمثل في اتباع الصراط المستقيم، ويزين لهم الحياة الدنيا بجميع محاسنها وزخرفها ليكونوا من الضالين عن الحق والخير.

إن الرحمن الرحيم، برحمته الواسعة بعباده لم يكلهم لأنفسهم أن يتعرفوا على بذرة الشر، ومصدر العداوة للإنسانية، ودروب الشر المتجسدة في الشيطان ونهجه وطرقه، بل إنه خاطب الإنسان في أكثر من موقع في كتابه المكنون موضحاً عداوة الشيطان السرمدية للإنسان، وكشف طرقه وأحاييله في إغواء الإنسان ويتضح ذلك في الآيات الكريمة التالية:

قال تعالى

يَبْقَى آدَمُ لَا يَفْئِتُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّكُمْ مِنْكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٠﴾

قال تعالى

إِنَّ الشَّيْطَانَ لِرُؤْسِهِمْ لَكَارِهٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٨١﴾

(١) سورة الحجر آية ٣٢-٤٠

(٢) سورة الاحراف آية ٢٧

(٣) سورة فاطر آية ٦

قال تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِن ثَمَرِ الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾^(١)

قال تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَعِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٩﴾^(٢)

قال تعالى

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمُ الْبَيْنَ إِنَّ الشَّيْطَانَ
كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٧٠﴾^(٣)

قال تعالى

وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِن ثَمَرِ رِزْقِكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٧١﴾^(٤)

قال تعالى

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَيْنِي مَادَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ^(٥)
ومما يؤسف له ، والذي تشيب له النواصي ، ويندى له جبين البشرية أسفاً
وخجلاً ، أن يجعل هذه العداوة المتأصلة بين الشيطان والانسان أغلب الناس ،

(١) سورة البقرة آية ١٦٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٠٨

(٣) سورة الاسراء آية ٥٣

(٤) سورة الانعام آية ١٤٢

(٥) سورة يس آية ٦٠

وبالذات الذين وصفوا أنفسهم، ونعتهم الناس بأنهم حكماء البشر وأكيسهم، وفي الواقع إنهم ساعدوا بشكل قوي ومباشر الشيطان وجنده ومكثوهم من أن يسيطروا على عقول البشر، ليصبحوا تبعاً للشيطان، وجندا في حربه ليؤول مصيرهم إلى الدمار والهلاك .

قال تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا

وهناك حقيقة لا بد من الإشارة إليها في هذا المقام، وهي أن الشيطان وقيله ليس لهم سلطان وقوة تأثير إلا على الذين استجابوا لهمزاتهم في تزيين الحياة الدنيا في أحييتهم، وأقدامهم على اقتراف الذنوب والخطايا، واجتياز الحدود الاخلاقية والضوابط الاجتماعية التي خطها الحق سبحانه وتعالى من أجل إشباع رغباتهم وأهوائهم الدنيوية. ومن هذه الشهوات استطاع الشيطان أن يحتكهم ويضمهم إلى حربه، ويصبحوا فئة ضالة مضلة من جنده. أما الذين استجابوا للنور السماوي المبين، وأخلصوا نياتهم وأعمالهم للحق سبحانه وتعالى، فليس للشيطان عليهم أي سبيل ودليلا لذلك يتجسد في قوله عز من قائل في الآيات التالية :

قال تعالى

قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَتَّبِعَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٦﴾
إِلَّا جِبَادَ الَّذِينَ عَاهَدْتُ مِنَ الْمُخَلَّفِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٨﴾
إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْفَاسِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾

(١) سورة الكهف آية ٥٠

(٢) سورة الحجر آية ٣٩-٤٣

قال تعالى

قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْسَنَنَّ
دُرِّيَّتَهُ لَأَفِيلًا ﴿٦٧﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فِلَاتٌ جَهَنَّمُ جَزَاءُ كُلِّ جَزَاءٍ
مُقَوَّرًا ﴿٦٨﴾ وَأَسْتَغْفِرُ مَنْ أَسْطَغَمَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَلْبِيبَ عَلَيْهِمْ غِيْلَكَ وَرِجْلَكَ
وَيَسَارِكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدُّهُمْ وَمَا يُعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٩﴾
إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٧٠﴾^(١)

وحسبنا أن نعلم قبل فوات الأوان، في يوم لا ينفع فيه توبة ولا ندم أن
المداينة، والمراوغة، ونقض العهود والمواثيق، والتخلي عن لحظة الشدة،
جميعها من خصائص وصفات عدو البشرية الأسن إبليس عليه لعنة الله ولعنة
اللاعنين. إن القرآن الحكيم يقص علينا تخلي الشيطان عن المشركين في يوم
بدر، كما أنه سوف يتخلى عن جميع أتباعه وأجناده من الإنس والجن في اليوم
الآخر. وأنه سوف يعترف لهم بالحقيقة، وهي أن الله سبحانه وتعالى وعدهم وعده
الحق، بينما وعده لهم كان باطلاً أما بالنسبة إلى تخليه عن مشركي معركة بدر
فيبدو ظاهراً في قوله تعالى :

قال تعالى

وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْ الْأُنثَىٰانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي
بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ^(٢)

أما تخليه عن أتباعه وجنده في اليوم الآخر فيظهر في قوله عز من قائل في
الآية الكريمة التالية :

(١) سورة الاسراء آية ٦٢-٦٥

(٢) سورة الانفال آية ٤٨ .

قال تعالى

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ
فَلَا تَقْلَقُكُمْ وَكَأَنِّي إِلَٰهٌ عَلَيْكُمْ مَن سُلْطَنِي إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجِبْتُ لَهُمْ فَلَآ
تَلُومُونِي وَلَوْ مَوَّأَ أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخَتِ
إِلَٰهِي كَفَرْتُمْ بِمَا أُشْرَكُكُمْ ثُمَّ مَن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١)

وأي شر هذا الذي يفوق اتباع سيد الأشرار وما تؤدي إليه هذه التبعية، حيث
سيكون المصير في نار جهنم والخلود فيها!

بعد أن عرفنا أن بذرة الشر وجميع سبله وأنواعه تكمن في الابتعاد عن
الصراط المستقيم، والاعراض عن النور السماوي المبين، واتباع عدو الانسانية
الشر الذي قطع عهداً على نفسه أن يبذل قصارى جهده مستخدماً في ذلك
كافة أحايله الشيطانية ليحول بين الانسان والصراط المستقيم. لأن الصراط
المستقيم يمثل الخير جميعه بالنسبة للانسان. لذلك فإن الشيطان حريص على
بذل ما في وسعه بهدف إبعاد الانسان عن الخير ومنابعه.

إن الحق تبارك وتعالى عندما أمر بهبوط آدم وحواء إلى الأرض، لم يكل
الانسان في التعرف على حقائق الأمور، وبذور الخير والشر، لأنه خلق الانسان
ويعلم علم اليقين قدرات هذا المخلوق الضعيف أنها لا يمكن بأي حال من
الأحوال أن تصل به إلى سدة الصواب دون المدد الإلهي. لذلك فإن الرحمن
الرحيم وعد سيدنا آدم وذريته أنه سيبعث لهم الهدى السماوي المبين الذي
يقودهم إلى طريق الحق والسؤدد الذي يفوح بنسائم الخير، والبركة، والأمن،
والطمأنينة. ودليل ذلك يبدو جلياً مشرقاً في قوله تعالى:

(١) سورة ابراهيم آية ٢٢.

قال تعالى

قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ^(١)

قال تعالى

قَالَ أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَصِلُ إِلَى الْيَتُسُفَى ^(٢)

أما بالنسبة إلى كيفية وطرق وصول هذا النور السماوي المبين إلى الانسان، فإن الباري سبحانه وتعالى بعث المرسلين تراء لتبليغ الناس رسالات ربهم وإقامة الحجة عليهم، لكي لا يكون لهم على الله حجة في يوم البعث والحساب.

قال تعالى

يَذَرِي مَادِمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ^(٣)

وبعد أن انتهى المدد الرسالي بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، فإن الحق سبحانه وتعالى قد أتم نعمته على البشرية جمعاء عن طريق تكملة الدين الاسلامي ليغدو ديناً شاملاً للخير، والرشد، والهدى، وصالحاً للناس في كل زمان ومكان، ويبدو ذلك جلياً مشرقاً في الآيات التالية:

قال تعالى

الَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ^(٤)

(١) سورة البقرة آية ٣٨

(٢) سورة طه آية ١٢٣

(٣) سورة الاعراف آية ٣٥

(٤) سورة البقرة آية ٢٠١

قال تعالى الرُّكَّتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾

وحسبنا أن نعلم أن مصير أولئك الذين أنابوا واستقاموا على الصراط
المستقيم في اتباعهم ما أوحى إليهم من عند ربهم عن طريق رسله، سيكون
لهم الفوز العظيم في دار السلام والخلود.

وهناك حقيقة سامقة لا بد من الإشارة إليها في هذا المقام، وهي أن الحق
سبحانه وتعالى لو أراد لجمع كافة الناس على الهدى ودروبه قصراً، ولكن
الحق تبارك وتعالى وضح الخير وسبله، وأعطى الإنسان حرية الاختيار في دار
الابتلاء والفناء ليؤول مصيره في دار الخلود في ضوء ما قدمت يداه في دار
الاختيار والفناء.

قال تعالى

وَلَوْ أَنَّ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ
مُسْلَكًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَاتِنَا وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْعَاطِلِينَ ﴿٣٥﴾

قال تعالى

وَلَوْ أَنَّ رَبَّنَا لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جِئِمًا أَفَإِنَّ تَكْرَهُ النَّاسِ
حَقٌّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾

(١) سورة ابراهيم آية ١

(٢) سورة الاحقاف آية ٣٥

(٣) سورة يونس آية ٩٩.

أما بالنسبة إلى توضيح الخير وسبله، والشر وطرقه، فيبدو واضحاً منيراً في قوله عز من قائل:

قال تعالى

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ
بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْمَرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾^(١)

قال تعالى

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا
عَلَيْكُمْ بِصَفِيظٍ ﴿٦٢﴾^(٢)

والذي يؤجج اللوعة، ويشير إلى، ويهيج الأحزان أن يرى الإنسان أبناء جنسه قد أثروا الحياة الدنيا على الآخرة عن طريق انغماسهم في ملذات الحياة الدنيا وإشباع رغباتهم الشهوانية دون أية كوابح أو ضوابط تحد من اندفاعهم الجارف وراء ملذاتهم ليفقدوا تيقناً وبنحداً إلى عدو الإنسانية، مبتعدين كل البعد عن الرحمن الرحيم الذي خلق وسوى، ويعث بنوره المبين للإنسان، وفتح باب توبته ورحمته للناس أجمعين حتى للذين أسرفوا على أنفسهم في عمل المعاصي والآثام. ولا حول ولا قوة إلا بالله إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال تعالى

قُلْ يَبَايِعُ الَّذِينَ أَمَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْطُلُوا مَنْ رَحِمَ اللهُ إِنَّ اللهَ
يَعْلَمُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ الرَّحِيمُ ﴿٦٣﴾^(٣)

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٢) سورة الانعام آية ١٠٤

(٣) سورة الزمر، آية ٥٣

«إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية، كائنة ما كانت وإنها الدعوة للآخرة، دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله، إن الله رحيم بعبادة، وهو يعلم ضعفهم وعجزهم، ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كياناتهم ومن خارجه، ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد، ويأخذ عليهم كل طريق، يجلب عليهم بخيله ورجله، وأنه جاد كل الجد في عمله الخبيث ويعلم أن بناء هذا المخلوق الانساني بناء وإيه، وأنه مسكين سرعان ما يسقط إذا افلتت من يده الحبل الذي يربطه والعروة التي تشده، وإن ما ركب في كيانه من وظائف ومن ميول ومن شهوات سرعان ما ينحرف عن التوازن فيشط به هنا أو هناك، ويوقعه في المعصية وهو ضعيف عن الاحتفاظ بالتوازن السليم .

يعلم الله - سبحانه - عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له في العون، ويوسع له في الرحمة، ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيء له جميع الوسائل ليصلح خطاه ويقيم خطاه على الصراط، وبعد أن يلج في المعصية، ويسرف في الذنب، ويحسب أنه قد طرد وانتهى أمره، ولم يعد يُقبل ولا يُستقبل، في هذه اللحظة لحظة اليأس والقنوط، يسمع نداء الرحمة الندي اللطيف:

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم﴾ .

وليس بينه - وقد أسرف في المعصية، ولجّ في الذنب، وأبق عن الحمى، وشرد عن الطريق - ليس بينه وبين الرحمة الندية الرخية، وظلالها السمحة المحيية، ليس بينه وبين هذا كله إلا التوبة وحدها، الأوبة إلى الباب المفتوح الذي ليس عليه بواب يمنع، والذي لا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان^(١).

(١) في ظلال القرآن، الجزء الخامس، ص ٣٠٥٨.

الفصل الثامن

مكانة الإنسان في الكون

- مقدمة .

- المفهوم الانساني الفلسفي للانسان ومكانته .

- المفهوم الاسلامي للانسان ومكانته .

- المكانة السامية وكيفية الحفاظ عليها .

- المكانة السفلى وسبب الارتكاس فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۚ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

سورة البقرة (٣٠)

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾

سورة التين (٦-٤)

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥﴾

سورة الأحزاب (٥٦)

مَكانة الإنسان في الكون

اهتم الإنسان منذ فجر التاريخ بهذا الموضوع اهتماماً بالغاً لما له من آثار واسعة على الإنسان في مختلف جوانب حياته وأوجهها . لذلك ليس غريباً أن نجد جميع الفلاسفة على اختلاف نهجهم الفلسفي قد أدلوا برأيهم حول مكانة الإنسان في الكون .

يرى الفيلسوف ثالس (Thales) أن الإنسان بمثابة كل شيء في هذا الكون وأنه خلُق من الماء ، وأن عملية التطور حصلت للإنسان بطريقة طبيعية ، وأنه سيعود إلى طبيعته الأصلية التي خلُق منها بعد مرور الأيام . كما نرى مجموعة من فلاسفة اليونان القدماء أن الإنسان يُعدّ المركز الأساسي للكون حيث إنه قادر على تحديد مصيره وسد حاجاته ورغباته .

بينما يعتقد زعيم الفلسفة المثالية (أفلاطون) أن الإنسان في هذا الكون مثل الحيوان ولكنه يتميز بصفات تجعله يختلف بقدر بسيط عن الحيوان . هذا في الوقت الذي يعتقد فيه تلميذه «أرسطو» أن الإنسان يشبه أي كائن حي . فعلى سبيل المثال إنه يشبه الحيوان من حيث القدرة على التخيل ، والتذكر ، والتعاش مع السرور والألم . ولكن يختلف الإنسان بقدرته على التفكير .

وأخيراً ، إن أحد زعماء الفلسفة البراجماتية «ديفيد هيوم» يعتقد أن الإنسان هو المركز الأساسي وهو كل شيء في هذا الكون ، وهذا الرأي هو الذي ذهب إليه أقطاب الفلسفة الطبيعية والوجودية .

وفي مقابل هذه الأقوال والتأملات المتباينة التي جاء بها الفكر الانساني

حول الانسان ومكانته في الكون ، فاننا نجد الفكر الاسلامي الذي يتجسد في قول الحق سبحانه وتعالى ينظر إلى الانسان ومكانته بصورة أخرى تختلف تماماً عما جاء به الفكر الانساني . إن الحق سبحانه وتعالى كرم الانسان في أربعة أمور أساسية جعلته يتبوأ مكانة سامقة تتسم بطابع السموّ، والرفعة والكرامة دون سائر مخلوقاته .

وإشارة إلى الاساسية الأولى ، إن الباري عز وجل خلق الانسان في أحسن تقويم حيث نفخ فيه من روحه وجعله على هذه الهيئة البالغة في الدقة والجمال والكمال .

قال تعالى

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿١﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ (١)

يقول سيد قطب رحمه الله بخصوص هذه الآيات الكريمة «تبدو عناية الله بخلق هذا الانسان ابتداء في أحسن تقويم . والله سبحانه أحسن كل شيء خلقه . فتخصيص الانسان هنا وفي مواضع قرآنية أخرى بحسن التركيب، وحسن التقويم ، وحسن التعديل فيه فضل عناية بهذا المخلوق . وأن عناية الله بأمر هذا المخلوق - على ما به من ضعف وعلى ما يقع منه من انحراف عن الفطرة وفساد - لتشير الى أن له شأنًا عظيمًا عند الله ، ووزناً في نظام هذا الوجود . وتتجلى هذه العناية في خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق ، سواء في تكوينه العقلي الفريد ، أم في تكوينه الروحي العجيب .

والتركيز في هذا المقام على خصائصه الروحية . فهي التي تنتكس إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة ويحيد عن الإيمان المستقيم معها . إذ إنه من الواضح أن خلقته البدنية لا تنتكس إلى أسفل سافلين . وفي هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين الانساني فهو مهيب لأن يبلغ من الرفعة

مدى يفوق مقام الملائكة المقربين كما تشهد بذلك قصة المعراج . . حيث وقف جبريل عليه السلام - عند مقام ، وارتفع محمد بن عبد الله - الانسان - إلى المقام الاسمى .

بينما هذا الانسان مهياً - حين يتكس - لأن يهوي إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قط : ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ . . حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم ، لاستقامتها على فطرتها، وإلهامها تسييح ربها، وأداء وظيفتها في الأرض على هدى . بينما هو المخلوق في أحسن تقويم، يجحد ربه، ويرتكس مع هواه، إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه .

﴿لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم﴾ . . فطرة واستعداداً . . ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ . . . حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذي هداه الله إليه، ويئنه له، وتركه ليختار أحد التجدين . . . ، فأما الذين يرتكسون بفطرتهم إلى أسفل سافلين، فيظلون ينحدرون بها في المنحدر، حتى تستقر في الدرك الأسفل . هناك في جهنم حيث تهدر آدميتهم^(١) .

إن الانسان الذي يرتضي بنهج عدا الفكر الاسلامي ينحدر من عليائه، وسموه، ورفعته ليغدوا أقل الحيوانات الأرضية رتبة وأكثرها شراً، لما تنطوي عليه سريره من ظلم، وانحراف، وفجور، وحيوانية مفرطة .

قال تعالى

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)

وإيماءة إلى الأساسية الثانية التي تدل على أهمية الانسان، إن الحق سبحانه وتعالى خلق الموت والحياة فقط من أجل أن يمتحن ويختبر هذا الانسان وماذا سيفعل في الحياة الدنيا، وماذا يختار لنفسه من سبل وأطر منهجية في هذه الحياة . فالذي يرتضي أن ينيب ويستقيم على النهج الإلهي، فيعبد من

(١) ظلال القرآن، الجزء السادس، ص ٣٣٩٣-٣٣٩٤

(٢) سورة الانفال آية ٥٥

الفائزين، أما الذين يرتضون بأي نهج خلا النهج الإلهي فهم الخاسرون.

قال تعالى

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَهُورُ (١)

ومما يؤسف له كثيراً، ويؤجج اللوعة، ويشير الأحزان أن أغلب الناس تناسوا أو جهلوا هذه الحقيقة، وذهبوا ينسجون أنماطاً سلوكية وأطراً فكرية تتناسب مع مفهومهم الساذج السطحي لهذه الحياة الدنيا، فقد شيدوا كل شيء وفق هذا المفهوم الهابط للحياة، وغدوا ضحايا لزخرفها وفتنتها، ليكونوا من الاخسرین أعمالاً.

أما الاساسية الثالثة التي تدل على سمو الانسان وجلاله ورفعته، أن الحق سبحانه وتعالى جعل الانسان خليفة في الأرض. فهذا الشرف الباسق والمجد الممثل للانسان أنه استحق خلافة الأرض بعد أن سجدت له الملائكة جميعها سوى الشيطان الذي تكبر على الانسان ورفض السجود واستحق على ذلك لعنة الله، ولعنة اللاعنين. وأي شرف، وإجلال، وتكريم يود أن يصل إليه الانسان أبعد من هذا!

قال تعالى

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢)

إن الانسان يستطيع أن يحافظ على هذا الشرف الساطع والمجد الممثل عن طريق اتباع النور السماوي المبين الذي ارتضاه الحق سبحانه وتعالى لكافة الناس، وبهذه التبعة للهدى والنور المبين يغدو الانسان خليفة الله في أرضه، بل يصبح منضوياً تحت راية حزب الله. وأي شرف أعظم من هذا - أن يكون

(١) سورة الملك آية ٢

(٢) سورة البقرة آية ٣٠

الانسان من حزب الحق تبارك وتعالى . -

أضف إلى ذلك أن الحق سبحانه وتعالى وملائكته يصلون على محمد ﷺ
- ومحمد كما نعلم جميعاً إنه إنسان - فماذا يريد الانسان شرفاً ومكانة أعظم من
هذا الشرف وهذه المكانة .

قال تعالى

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا^(١)

ولكن الانسان إذا ابتعد عن الصراط المستقيم واتخذ نهجاً غير النهج الذي
ارتضاه الحق سبحانه وتعالى لعباده، فإنه ينحدر من هذه المكانة السامقة،
ويسلخ نفسه من حضيرة الله سبحانه وتعالى وحزبه ليفقد تبعاً لعدو الانسانية،
وعضواً في حزب الشيطان. وللأسف إن أغلب الناس ذهبوا إلى هذه التبعة،
وارتضوا أن يكونوا في حزب الشيطان .

قال تعالى

أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَاذْنَبْتُهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أَوْلِيَّكَ جَزْبُ الشَّيْطَانِ إِلَّا إِنْ جَزَبَ
الشَّيْطَانُ مِنْهُمْ الْقَتْلَ ۖ وَإِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلِيَّكَ فِي الْأَذْلَى ۖ ﴿١٢﴾^(٢)

نعم إن الانسان عندما يبتعد عن النهج الإلهي المبين، ويرضى لنفسه أن
يتفياً نهجاً بشرياً في حياته، فإنه ينحدر بنفسه من المكانة السامقة التي وهبها
الله لعباده المنيبين، إلى الارتكاس دون الحضيض، في الأدلن، وبهذا العمل
الهابط يغدو الانسان في حزب الشيطان، الذي يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب
السعير ورواد جهنم .

قال تعالى

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ

﴿١﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ

أما الأساسية الأخيرة التي تشير إلى الإنسان وأهميته، فهي تتجسد في حرية الاختيار التي وهبها الحق سبحانه وتعالى للإنس والجن دون سائر مخلوقاته. فهذه الحرية التي وهبها الباري عز وجل للإنسان، جعلت الإنسان في مكانة تسمح له أن يختار ما يريد، فإذا أراد أن يتبع النهج الإلهي فله ذلك. وإن الحق سبحانه وتعالى سيأخذ بيده طالما اختار هذا النهج وسلك في ضوئه. كما أن له الحق في أن يختار الطريق المغايرة للنهج الإلهي ويكفر بخالقه، ويلحد به كيفما شاء، وسيمدُّ له الرحمن سبحانه وتعالى في هذه السبيل طالما أن الإنسان ارتضاه لنفسه وأراد أن يسلك في ضوئه. ولكن الإنسان سوف يتحمل تبعه اختياره وما يترتب عليه مستقبله في الآخرة، يوم يمثل أمام الحق سبحانه وتعالى ليحاسب ويجزى على ما قدمت يده في الحياة الدنيا. فالذي ارتضى بالنور السماوي نهجاً له في الحياة الدنيا، فالجنة هي المأوى. أما الذي أدبر واستكبر عن النهج السماوي فيكون موثله في نار جهنم، ساءت مستقراً ومقاماً. وحرية الاختيار التي وهبها الباري عز وجل للإنسان تبدو جلية في الآيات الكريمة التالية:

قال تعالى لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ

وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ^(٢)

قال تعالى وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا

لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ

يُسْكَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ^(٣) ﴿٤﴾

قال تعالى إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ^(٤) ﴿٥﴾

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦

(١) سورة فاطر آية ٢٥

(٤) سورة الإنسان آية ٣

(٣) سورة الكهف آية ٢٩

الفصل التاسع

علاقة الفرد بالجماعة

- مقدمة .

- المفهوم الانساني الفلسفي للعلاقة بين الفرد والجماعة .

- المفهوم الاسلامي للعلاقة بين الفرد والجماعة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا
الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

سورة التوبة (٢٣)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ
فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

سورة النساء (٥٩)

إِنَّمَا أَمْرُهُمْ أَتَى رَسُولَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللَّهِ هُمْ الْعَدَاوَةُ

سورة المائدة (٥٦-٥٥)

علاقة الفرد بالجماعة

نعدُّ علاقة الفرد بالفرد، وعلاقة الفرد بالجماعة «الدولة» من الموضوعات التي حظيت باهتمام بارز منذ القدم. حيث إن الإنسان القديم كان يعتقد أن وجود فردين مع بعضهما البعض من حيث الحماية، والطمأنينة، والإنتاجية الاقتصادية أفضل بكثير من وجود الفرد لوحده. لذلك كان من الطبيعي أنثذ أن يسعى الإنسان في البحث عن حياة التعاون مع الآخرين ليقوى على حماية نفسه في الظروف الطبيعية الصعبة وما تفرزها من مشاكل مختلفة للإنسان. هذا بجانب تسهيل مهامه الحياتية.

ولكن في حالة وجود أكثر من فرد في مكان ما فإن الاختلافات الطبيعية فيما بينهم تبرز إلى حيز الوجود، وذلك يعود إلى الاختلاف في أهدافهم، وأمانياتهم، ورغباتهم الشخصية. وقد يؤدي هذا الخلاف إلى تهتك الوشائج وسبل التعاون بين الأفراد مما يؤدي إلى ظهور مشاجرات وحروب داخلية بين الأفراد قد تضر بمصلحة الجماعة وأفرادها. ومن أجل تحاشي هذه الخلافات بين أفراد الجماعة، أو التقليل من ظهورها، فإنه لا بد من وجود معتقدات عامة، وأطر فلسفية مشتركة، وقوانين وأنظمة متسقة مع بعضها البعض لكي تضبط وتسهل عملية التفاعل الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والثقافي، والعسكري، وإثارة روح التعاون بين الأفراد على المستويين الداخلي والخارجي.

وقد كان المسؤول في العهد القديم عن تنفيذ الأنظمة والقوانين التي كانت تجسد في العادات والتقاليد في ذلك الوقت، هو شيخ العشيرة أو القبيلة. ولكن مع التقدم الحضاري والعلمي للإنسان على مر التاريخ، ظهرت الحاجة

الماسة لوجود مؤسسات وحكومات تتولى على علتقها مسؤولية تحقيق الأهداف والأمنيات لتلك الأمة أو الجماعة التي تمثلها المؤسسة أو الدولة . وفي هذا القرن زاد هذا الاهتمام في هذا الموضوع اهتماماً بالغاً ليتجاوز علاقة الفرد بالدولة إلى علاقة أحلاف دولية سواء أكانت هذه الأحلاف تتسم بالطابع الاقتصادي أو السياسي أو الأيدولوجي ، أو العرقي .

ولما لهذا الموضوع من أهمية في حياة الانسان ، فقد حاول الانسان منذ القدم أن يضع مفهوماً للعلاقة بين الفرد والجماعة . وقد ظهرت الآراء المتباينة للفلاسفة حول هذا الموضوع . فمنهم من وضع الدولة وأهدافها في المقام الأول وطلب من الفرد أن يتعاش مع ظروف الدولة وأهدافها ، ومنهم من ذهب إلى وضع الفرد وأهدافه في المقام الأول .

يرى الفيلسوف ديموكريتوس (Democritus) أن السعادة الحقيقية لأي فرد لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق سعادة الجماعة أو الدولة ، لذلك فإنه يرى التركيز على متطلبات الدولة وأهدافها . ومن زعماء هذه الفكرة ودعاتها أو التوجه إليها أفلاطون وتلميذه أرسطو ، والزعيم الألماني هتلر ، وزعماء الفلسفة الشيوعية . وفي المقابل ، نجد زعماء الفلسفة الطبيعية والوجودية يعتقدون في تغليب أهمية المصالح والأهداف الفردية للانسان على مصلحة وأهداف الدولة .

وهناك رأي آخر لزعيم الفلسفة البراجماتية «جون ديوي» حيث حاول جاداً أن يضع علاقة تبادلية بين الفرد والجماعة ، حيث إن الفرد يستطيع أن يفيد الجماعة ويستفيد منها . كما أنه يرى أن شخص الانسان يجب أن يحترم ، وأن وجود الجماعات الاجتماعية هو فقط من أجل إضفاء جو السعادة والسرور على الفرد . هذا مع العلم أن الانسان يمكن أن ينمو ويتطور بفعالية فقط إذا كان عضواً في جماعة .

من الجدير ذكره في هذا المقام أن الفلاسفة نسجوا آراءهم واعتقاداتهم حول هذا الموضوع في ضوء مفهومهم للوجود الانساني الذي لا يتعدى حياة الانسان منذ ولادته حتى وفاته .

وفي مقابل هذا الأقوال البشرية الفلسفية حول هذا الموضوع، نجد الحق سبحانه وتعالى في هذا الموضوع، الذي يتجسد في الفكر الاسلامي الذي يحتوي على معلومات أشمل وأدق لأنه ينظر إلى الانسان وأهدافه، وأمنياته، ورغباته في وجود أشمل وأعم، يتعدى الحياة الدنيا ليشمل الانسان وطموحاته في كلا الدارين «الأولى والأخرة».

إن الحق سبحانه وتعالى أطلع الانسان في كتابه العزيز على كنه الوجود الانساني وأساره لعلَّه ينبج وجهه لبارئه ويستقيم على صراطه المستقيم. لقد علم الانسان من القرآن الحكيم الهدف الذي خلق من أجله، كما عرف الهدف من خلق الموت، والحياة، والكرة الأرضية وما عليها من زينة ومتاع. وأيضاً عرف الانسان أن حسابه في اليوم الآخر سيكون على ما قدمت يده فرداً. وأن جميع المعلومات تبدو بوضوح وجلاء ساطع في الآيات القرآنية التالية:

قال تعالى

وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٢﴾

قال تعالى

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَسْأَلَكُمْ أَتْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿١﴾

قال تعالى

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيُنْبَئَهُمْ آيَاتُنَا أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَوْبًا جَدًّا ﴿٨﴾

(١) سورة الذاريات آية ٥٦-٥٧.

(٢) سورة الملك آية ٢

(٣) سورة الكهف آية ٨٧.

قال تعالى

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾^(١)

قال تعالى

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ^(٢)

لذلك فإن الانسان خلق من أجل عبادة الرحمن سبحانه وتعالى ، وأن الموت ، والحياة ، والأرض وما فيها من ملذات ، وشهوات وقناطر من الذهب والفضة ، والمال ، والبنين ، وجميع ما احتوى عليها زخرفها يُعدُّ بمثابة الاختبار والابتلاء للانسان في الحياة الدنيا . كما أن الانسان سيحاسب على ما قدمت يده من خير أو شر ، ليؤول مصيره في اليوم الآخر ، إما إلى دار السلام ، وإما إلى جهنم وبئس المهاد .

وفي ضوء هذه الأساسيات السامية فإن الانسان المنيب ، الذي ارتضى بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، فإنه سوف يسعى إلى تحقيق الغاية الكبرى التي خلق من أجلها ، كما أنه سوف ينظر إلى الحياة الأولى على أنها دار الاختبار والفناء ، فلا يمكن أن تستدرجه بزيتها وزخرفها ويغدو إنساناً شهوانياً من جند الشيطان . أضف إلى ذلك أن الحق سبحانه وتعالى أثار إلى هؤلاء السبيل في كيفية إرضائه ، واتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وتحقيق أهدافهم الدنيوية والأخروية عن طريق اتباع القرآن الحكيم وسنة سيد المرسلين . وهذا الشرع الذي ارتضاه الحق سبحانه وتعالى للناس كافة يوضح كافة ما يحتاج إليه الانسان من أمور

(١) سورة الزلزلة آية ٨-٧

(٢) سورة القلعة آية ٩-٦

اجتماعية وسياسية، ودينية، وأخروية. هذا بجانب أن الأهداف الفردية والجماعية لهذا التجمع الرسالي لا يوجد بينهما تعارض، لأن الجماعة والأفراد يحتكمون إلى نفس المصدر الإلهي التشريعي، الذي يخلو من التناقض والازدواجية.

لذلك فإن الفرد المسلم في المجتمع الرسالي الاسلامي يجب أن يقدم الولاء، والطاعة، والتبعية، في كافة الأمور إلى الجماعة وإمامها طالما ان الجماعة بزعامه إمامها تسير في ضوء النهج الإلهي. وإذا ظهر أي خلاف في هذا التجمع الرسالي، فيجب أن يُحلّ هذا الخلاف في ضوء النهج الإلهي.

قال تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

وإذا لم تتوفر شروط الاستقامة للجماعة على النهج الإلهي، ورفضت الامتثال إلى شرع الله وسنة نبيه ﷺ، فإن الفرد يكون في حل من هذه الطاعة والتبعية لها، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ويبدو ذلك بجلاء في قوله عز من قائل:

قال تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا إِبَاءَكُمْ وَلَا خَوَاتِمَكُمْ أُولَئِكَ أَنْ أَدَّبْتُمْ بِالْكَفَرِ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٧﴾

قال تعالى

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ

(١) سورة النساء آية ٥٩

(٢) سورة التوبة آية ٢٣

وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى الْأَنْفُسِ الْخَالِفِينَ فِيهَا
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾

وفي ضوء النهج الاسلامي ، فإن علاقة الفرد مع الجماعة مشروطة بطريقة سير الجماعة ونهجها . في الوقت الذي تكون فيه الجماعة سائرة على الخط الاسلامي المنير كما بينه الباري عز وجل في كتابه الحكيم واتباع سنة نبيه الأمين محمد ﷺ ، فإنه لا بديل عن تقديم الولاء والطاعة للجماعة ، ولا يحيد عنها إلا هالك .

وبهذا المفهوم السامق للجماعة ، فإنها تكون المعين القوي للفرد في تحقيق أهدافه الدنيوية والأخروية ، كيف لا ؟ وكلاهما يسعى بكل ما أعطي من مواهب وقوى إلى إرضاء الحق سبحانه وتعالى . وبهذا المفهوم الجليل للوجود الانساني من وجهة نظر الفرد والجماعة ، تكون غاية الفرد من هذا الوجود الانساني هي بعينها غاية الجماعة ، أي تنفيذ الشرع الإلهي في الدنيا للفوز بالآخرة .

الفصل العاشر

الغيب : ماهيته وأنواعه

- مقدمة

- المفهوم الفلسفي للغيب

- التصديق في الغيب ورجحه

- انكار الغيب وجحوده

- الغيب في ضوء النهج الالهي

- الله وحده عالم الغيب

- علاقة الانبياء والرسل بالغيب

- الايمان بالغيب

- انواع الغيب

- الغيب المتصل بعالم الشهادة

- غيب الماضي

- غيب الحاضر

- غيب المستقبل

- الغيب المتصل بالعالم العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ
يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٦٧﴾

سورة الجن (٢٦-٢٧)

وَلَوْ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَىٰ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَعَبْدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ
وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سورة هود (١٢٣)

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ ﴿١٥﴾﴾

سورة المائدة (١٠٩)

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي
نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

سورة لقمان (٣٤)

الغيب

مقدمة :

بعد أن أدبر الانسان وتولى عن النور السماوي المين، الذي بعثه الله سبحانه وتعالى عن طريق الانبياء والرسل رحمة وتلطفا منه بعباده، ذهب ليبحث عن نهج آخر بواسطة العقل الانساني بما يتناسب مع القوى الشهوية التي تنازعه على غشيانها. حيث إن هذه القوى الكامنة في النفس البشرية هي التي حالت دون انابة الانسان واستقامته مع النور السماوي الذي يفوح بنسائم الرحمة وشآبيب البركات، طالما لن يسمح هذا النور المبارك لهذه القوى الشهوية ان تنطلق من عقالها وتمارس دون ضابط خلقي وقانون اجتماعي ثابت.

لذلك فان الانسان قد يعلم علم اليقين مستوى انحرافه عن جادة الصواب عندما يتبعد عن النور السماوي السامق، ولكنه يماري في القول ظاهريا مبررا سلوكه المجافي للحق والحقيقة، مدعيا بأنه يريد أن يصل الى سدرة الصواب عن طريق العقل البشري فقط دون الالتفات الى الطرق الاخر.

وبهذا الادعاء، يكون الانسان قد جادل وناور ليلغف على الحقائق ممارسا هواية الجدل التي تميز بها عن سائر المخلوقات. لذلك ليس غريبا ان نجد الاختلافات الجلية عند هؤلاء الذين انصرفوا عن الحق في تبرير انماطهم السلوكية التي اتبعوها بدلا من النور السماوي الباسق.

إن من أبرز المواضيع التي دار البحث حولها عند هؤلاء الذين ولوا الدبر للحق، هو موضوع الغيب (الميتافيزيقا). فقد تناول هؤلاء هذا الموضوع بعد

أن رفضوا كل ما جاء به الانبياء والمرسلون حول موضوع الغيب عن عالم الغيب بطريقتين متضادتين؛ فمَنهم من اتبع طريق رجم الغيب بلا حواجة؛ حيث أنهم تعاملوا مع العالم الآخر وكأنه صورة أخرى عن عالم الشهادة، أو بداية منسجمة، ومنسقة، ومماثلة له. لذلك فإنهم استخدموا جميع الفرضيات العقلية والقوانين الطبيعية لهذا الكون المادي المحسوس لتقودهم الى معرفة ما حُجبت عنهم استار الغيب، فلنا منهم بأن ذلك العالم لا يوجد له راعٍ يحفظه ويرعاه، وأنه مشاع لكل من اراد ان يفزوه أو يجتاز حدوده.

قال تعالى

عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٥﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٦٦﴾^(١)

اما تعاملهم مع عالم الغيب وكأنه صورة مماثلة لعالم الحس، او حسب القوانين التي القوها وابتكروها في عالم الشهادة، فهذا ينم عن جهلهم بالفروق الجوهرية بين العالمين. واحدى هذه الفروق الجوهرية اختلاف الوحدة الزمنية لليوم الواحد في عالم الغيب عنه في عالم الشهادة.

قال تعالى

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٦٧﴾
قال تعالى

يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٦٨﴾^(٢)

(١) سورة الجن آية ٢٦-٢٧.

(٢) سورة الحج آية ٤٧.

(٣) سورة السجدة آية ٥.

أما القسم الآخر من المدبرين للحق، فقد انكروا الغيب تماما، وهذا الذي ذهب اليه الطبيعيون، والوجوديون، والشيوعيون، والنفعيون (البراجماتيون) في فلسفاتهم المتعددة.

ان الشيء المذهل العجيب أن كلا الطرفين لم يأتيا بأية أدلة واضحة او براهين قاطعة حول دعواهم سواء بانكارهم الغيب أو حول مجموعة التأملات والتخرصات عند الذين رجموا الغيب. والأغرب من هذا كله أن أتباع كلا الفريقين لم يسألوا عن مدى مصداقية كل فريق عما ادّعى، ولا عن الأدلة الموجبة لتصديقهم كما كان الانسان يفعل مع الانبياء والمرسلين.

ان تاريخ الانسانية مع انبياء الله ورسله يفص بالمطالبات المتسالية، والتساؤلات المتعددة، والمناورات المختلفة، والتحديات الجازمة، بالرغم من وضوح الأدلة والبراهين الدامغة، والحجج القاطعة، والآيات والمعجزات الوفيرة التي تفوح بنسائم الحق الذي جاموا به من عند ربهم رحمة وهداية لكل من أناب واستقام للحق. والسلوك بهذه الطريقة يعد من أشد الأدلة وضوحا وثقا على أن الانسان لا يسأل عن مدى مصداقية أي توجه أو اعتقاد طالما كان يتمشى مع ما يجول في النفس من أهواء، ونزوات، وقوى شهوية. لهذا السبب لم يسأل الانسان الذين ابتعدوا عن النور الالهي عن ادلتهم والتأكد من مدى صدقهم قبل أن يؤمنوا بما ابتدعوه من دروب، وتوجهات، وأنماط سلوكية واعتقادية.

بينما نجد الانبياء والمرسلين قد تعرضوا لكل دروب المحاورات، والمناورات، والمضايقات، وجميع انواع التهم والتكذيب، والمطاردة والتعليب لهم ولمن سلك نهجهم لعدم انسجام الحق الذي أتوا به من عند ربهم مع ما تنطوي عليه صدورهم وسرائرهم من ملذات، وشهوات، ونزوات كامنة في نفوسهم تدفعهم للأغراض عن النور المبين. والانغماس في اشباع تلك الغرائز والشهوات بكل السبل والطرائق المتاحة لديهم.

قال تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا^(١)

قال تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ
شَقًّا وَجَدَلًا ﴿٥٤﴾^(٢)

تبين الآيات السابقة اصرار الانسان على تغطيته الحقائق الواضحة التي
يفوح بها النور السماوي المبين واتباعه الطرق الجدلية المتعددة لطمس هذا
النور والابتعاد عنه، ليس لأنه لا يمثل الحق والحقيقة، ولكن لأنه يتجالى مع
مطالبه الشهوية التي تدفعه الى غشيانها دون أية ضوابط. وبهذا العمل يغدو
الانسان أشد قسوة وصلدا من الجبال الصماء بسبب تعطل ملكة العقل،
والقلب، والاحاسيس، والمشاعر عن رؤية الحق المبين.

قال تعالى

لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَهُمْ خَضَعًا مَّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ
اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ^(٣)

وهذه الآية تمثل الدلالة الكبرى على أن الجمادات لو أنزل عليها هذا القرآن
فلن يكون لها الا أن تخشع وتتصدع له لما يحتوي عليه من آيات مباركة تدل
على قدرة الله سبحانه وتعالى وما ينطوي عليه من حقائق سامقة في حين ادبر
الانسان واستكبر عن هذا القرآن وتعاليمه جملة وتفصيلا.

(١) سورة الاسراء آية ٨٩.

(٢) سورة الكهف آية ٥٤.

(٣) سورة الحشر آية ٢١.

- المفهوم الفلسفي للغيب -

يعتقد سقراط (٤٦٩-٣٩٩ قبل الميلاد) «ان لكل شيء طبيعة أو ماهية هي حقيقة، يكشفها العقل وراء الاغراض المحسوسة، ويعبر عنها بالحد؛ وان غاية العلم ادراك الماهيات، اي تكوين معان تامة للحد»^(١)

«تتجه الفلسفة خصوصاً في جزئها المسمى «ما بعد الطبيعة» الى البحث في اكثر الموضوعات ألوهية فتبحث في الله وصفاته وافعاله وكيف انه علّة جميع الاشياء والمبدأ الاول للوجود. . قاله «مثال الخير» عند افلاطون، و «المحرك الاول» عند ارسطو، و «الواحد» عند افلوطين و «المطلق» عند هيجل»^(٢)

يرى الفارابي «ان معرفتنا لله من الموجودات التي تصدر عنه، ويصدر بعضها عن بعض أوثق من معرفتنا له في ذاته، فمن الله الواحد يصدر الكل وعلمه هو قدرته العظمى؛ ومن تعقله لذاته يصدر العالم. وعلّة الاشياء جميعا ليست هي ارادة الخالق القادر على كل شيء، بل علمه بما يجب عنه. وعند الله منذ الازل، صور الاشياء ومثلها. ويفيض عنه منذ الازل مثاله، المسمى الوجود الثاني، او العقل الاول، وهو الذي يحرك الفلك الاكبر. وتأتي بعد هذا العقل عقول الافلاك الثمانية تباعاً؛ يصدر بعضها عن بعض؛ وكل واحد منها نوع على حدة. وهذه العقول هي التي تصدر عنها الاجرام السماوية، وللعقول التسعة مجتمعة - وهي التي تسمى ملائكة السماء - هي عبارة عن مرتبة الوجود

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٥٢

(٢) قضايا الفلسفة العامة وبحثها، د. علي عبد المعطي، دار المعرفة الجامعية -

الاسكندرية، ١٩٨٤، ص ٤١٣.

الثانية. وفي المرتبة الثالثة يوجد العقل الفعال في الانسان؛ وهو المسمى أيضا روح القدس، وهو الذي يصل العالم العلوي بالعالم السفلي»^(١)

يعتقد ابن سينا «ان واجب الوجود واحد، لا كثرة في ذاته بوجه، ولا يمكن ان تصدر عنه كثرة؛ هذا الواجب الأول هو الله ابن سينا. ويجوز ان تضاف اليه صفات كثيرة، كالقول بأنه عقل ونحو ذلك؛ غير انه لا يوصف بها الا على سبيل السلب، والاضافة، حتى لا تتعارض مع وحدة الذات. فالواحد الأول لا يصدر عنه الا واحد، هو العقل الأول. والكثرة انما تبدأ في هذا العقل، فتعقله لعلة يصدر عنه ثالث، هو عقل يدبر الفلك الاقصى؛ ويتعقله لذاته تصدر عنه نفس، يفعل عقل الفلك فعله بنوسطها؛ ثم ان العقل الاول، من حيث هو ممكن الوجود، يصدر عنه جرم الفلك الاقصى ويستمر الصدور على هذا النحو؛ فمن كل عقل تصدر ثلاثة أشياء: عقل، ونفس، وجسم»^(٢)

اما فلاسفة الاسلام فقد ذهبوا الى رأي مخالف لجمهور المسلمين. فقد قرروا أن الاعادة روحية فقط وليست مادية. وهذا راجع الى انهم ميزوا بين النفس والبدن او بين الروح والجسم، على أساس أن الروح هي الجوهر والبدن هو العرض اللاحق له. ونحن نعلم أن الاعراض تزول أما الجوهر فلا. إذا المعاد هنا ليس الا عودة الجوهر الروحي، أما البدن، او ان شئت، مجموعة الاعراض، فلن تعاد لانها تحللت وفسدت، ولا يمكن اعادة ما قد تحلل وفسد»^(٣)

يقول ابن خلدون «الفلسفة، كما يقول الفلاسفة هي علم الموجود من حيث صدوره عن علله؛ ولكن ما يقولونه عن عالم العقل العلوي، وعن الذات

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام، ترجمة د. محمد ابوريث، بيروت، ١٩٨١ ص ٢٠٩ -

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام، صفحة ٢٥٥.

(٣) الفلسفة الاسلامية في المشرق، ص ٣٤٣.

الالهية لا يتفق مع ذلك ؛ وهم يقولون في هذا الصدد اقوالا لا يمكنهم البرهان عليها^(١)

وجه الغزالي اكبر عنايته لابطال ثلاث نظريات فلسفية من بين نظريات الطبيعة والالهيّات وهي : نظرية قدم العالم ؛ والقول بأن الله لا يعلم الا الكلّيات ، فلا يعنى بالجزئيات ؛ وانكار بعث الأجساد والقول بأن الأرواح وحدها هي التي لا يجوز عليها الفناء^(٢)

ويبدو بوضوح من خلال الاقتباسات التي اوردناها في الصفحات السابقة ان الغيب الذي تعرض له الانسان هو كل ما يدور حول العالم العلوي ؛ او ما يسمى علم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) . وقد تركّز اهتمام الانسان حول ثلاثة مواضيع اساسية ؛ الالهية ، والمعاد ، وطبيعة الكون . وقد اقتصر الانسان البحث على هذا النوع من الغيب دون غيره من الانواع الأخر التي تخص عالم الحس ، لسهولة الجدال والمناورة حول هذا النوع ، وصعوبة اثبات عكس التأمّلات والتخرصات التي الصقت بعالم الغيب العلوي . ولو تطرق هؤلاء الى انواع الغيب الأخرى التي تتصل بالعالم السفلى او عالم الشهادة لانكشفت سوائهم ، وبطلت حججهم ، وأصبح من اليسير على كل انسان ان يثبت تخبطهم وابتعادهم عن جادة الصواب . وسوف نتطرق الى اقوالهم عن الغيب بما يتصل بالعالم العلوي في الفصول القادمة بعون الله .

(١) المقدمة ابن خلدون ، فصل إبطال الفلاسفة ، ص ٩٣

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ص ٣٣١

الغيب في ضوء النهج الالهي

في الوقت الذي انحصر فيه المفهوم الانساني للغيب على الامور المتعلقة بالعالم العلوي ؛ او ما يسمى علم ما وراء الطبيعة (بالميتافيزيقا) ، فان الباربي سبحانه وتعالى ، قد اطلعنا من خلال كتبه وعن طريق رسله على المفهوم الشامل للغيب سواء ما يتصل بعالم الغيب ، او ما يتصل بعالم الشهادة (عالم الحسن) .

وحري بنا قبل أن نتطرق الى الغيب وانواعه المتعددة ، أن ننوه الى ثلاثة معالم اساسية حول موضوع الغيب بشكل عام . فالاساسية الاولى تدور حول من هو الذي يعلم الغيب؟

للإجابة على هذا السؤال ، فلا مندوحة لنا من ان نلم بالحقيقة التالية ؛ وهي أن الغيب لم يسدل على نفسه حجابا أو ستر ليصبح غيبا بذاته . ولكن هناك قوة المدبر والخالق للسماوات والارضين ، وكل ما فيهما من مخلوقات قد خلقت بمواصفات وقدرات معينة محدودة . لذلك فان طبيعة هذه المخلوقات وما وشجت عليه من قدرات محدودة جعلتها عاجزة عن الوصول الى ما حُجب عنها من مكنونات الغيب . ومن ناحية اخرى فان اختلاف القدرات الطبيعية التي جسدها الله سبحانه وتعالى في كل مخلوق من مخلوقاته ، جعل هذه المخلوقات تتفاوت في نظرتها للغيب . فالغيب عند الجن يختلف عنه عند الانس ؛ فقد يكون الغيب بالنسبة للانس في بعض الامور حاضرا مشهودا بالنسبة للجن ، وكذلك الحال بالنسبة للملائكة المقربين ، فقد يكون ما هو معلوم لديهم بحكم قدراتهم الطبيعية التي وهبها الله لهم ودورهم الذي انيط بهم غيبا بالنسبة للانس والجن .

وفي ضوء ما تقدم فإن علم الغيب بشكله التام بما يتعلق بعالم الغيب وعالم الشهادة لن يعلمه سوى خالق الغيب والشهادة، وتشهد بهذا التصريح الآيات القرآنية التالية :

قال تعالى

مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذْهِبَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ مَآ أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾

قال تعالى

عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١٧٧﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ
فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿١٧٨﴾

فالمتمثل في تركيب هذه الآية يرى ان الله سبحانه وتعالى قد خص نفسه بعلم الغيب، مستحوذا عليه لا يشاركه فيه أحد. فاذا ظهر من له بعلم الغيب صلة وان كان رسولا مقربا او نبيا، فانه لا يعلم منه شيئا ولا يدرك منه صغيرة او كبيرة الا اذا ارتضى له ربه ذلك «فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول». وهذه وظيفة القصر والحصر لاستخدام «الا» في كثير من الآيات التي عبر بها رب العزة في كتابه الحكيم. وهذا ما يظهر بجلاء ووضوح في الآيات التالية :

(١) سورة آل عمران آية ١٧٩ .

(٧) سورة الجن آية ٢٦-٢٧ .

قال تعالى

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْبَحْرِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ
فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٥٩﴾ (١)

قال تعالى

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ

قال تعالى

وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ
فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٦٠﴾ (٢)

والله سبحانه وتعالى قد أكد اسناد علم الغيب الى نفسه ، ثم زاد الأمر توكيدا
مرة أخرى فقال : ان الله عالم غيب السموات والارض ، وفي هذا شمول في
التعبير لا يستثنى منه شيء ، ثم زاده توكيدا بذكره «إنه» ثانية وهي أداة توكيد ، ثم
ذكر علمه بما في الصدور ، وما في الصدور قسم مما شمله القول السابق بأنه
عالم غيب السموات والارض ويظهر ذلك في قوله تعالى :

قال تعالى

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٦١﴾ (٣)

(١) سورة الانعام آية ٥٩

(٢) سورة النمل آية ٦٥

(٣) سورة هود آية ١٢٣

(٤) سورة فاطر آية ٣٨

قال تعالى

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ^(١)

وفي هذه الآية نرى ان الحق تعالى قد أكد المضمون الذي يعني اسناد علم الغيب اليه سبحانه باستعمال الضمير العائد عليه ذاته، فقال «هو» وهو ضمير عائد على «الله»، اللفظة التي جاء ذكرها بعد الضمير مباشرة، «هو الله...» ثم كررها ثانية في قوله: «هو الرحمن الرحيم». وقد كان ذكر اسناد علم الغيب له وحده جلّت قدرته بعد هذا التوكيد بذكر اسمه مقدما له بالضمير «هو» ويعدّه نص الحق بوحديته ولا اله الا هو» وكأن من اهم ما اراد سبحانه ان يخبرنا في هذا السياق من خصائص وحدانيته انه عالم الغيب والشهادة.

اما بالنسبة للاساسية الثانية، فهي تكمن في اعتراف الانبياء والمرسلين بأنهم يجهلون الغيب ولا يعلمون عنه الا بقدر ما أطلعهم الله سبحانه وتعالى. وتشهد الآيات القرآنية بلسان حالهم في اعترافهم الصريح بأن الذي يعلم الغيب هو الله، وقد اختص بهذا العلم لذاته.

قال تعالى

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْلِي وَآلِيَهُمْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١٣١﴾

(١) سورة الحشر آية ٢٢.

(٢) سورة المائدة آية ١١٦.

ولعل ما يشد الانتباه في هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى عندما ذكر اسناد علم الغيب له قد أكد بطريقة يعرفها العرب الذين كانوا يتحدثون العربية سليقة، فاثبت له: «تعلم ما في نفسي»، ثم نفاه عن غيره، وغيره هذا هو نبيه عيسى عليه السلام «ولا أعلم ما في نفسك»، ثم أتى بالجملة رفيعة التوكيد بأن ملتصقاً بها الضمير العائد على رب العزة «انت» وبعدها جاء بالصيغة المطلقة في الدلالة على علمه «علام الغيوب» مستعملاً صيغة علام التي تفيد المبالغة في دلالتها على ما هو لها. ومثلها الآيات التالية :

قال تعالى

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْقُيُوبِ ^(١)

قال تعالى

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ آفَةٍ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمُ إِلَّا مَآئِدًا كَيْفَ قُلْتُمْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ^(٢)

قال تعالى

وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ آفَةٍ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ^(٣)

قال تعالى

قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ صَلَاةَ اللَّهِ لِتُحْصُوا نَفْسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَحْفَظُونَ

(١) سورة المائدة آية ١٠٩.

(٢) سورة الانعام آية ٥٠.

(٣) سورة هود آية ٣١.

لَا سَتَكُنَّ ثَرْتٌ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّقِيَ الشَّوْءُ إِنَّ أَنَا لَأَذِيرُ وَلِئَشِيرُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾^(١)

أما الاساسية الثالثة والأخيرة، فهي تكمن في الايمان المطلق لكل من أناب واستقام على النور السماوي بالغيب كما وردنا من خلال الكتب السماوية الغراء، وعن طريق الانبياء والرسل دون زيادة او نقصان. هذا بجانب عدم البحث في مكنونات الغيب للايمان الثابت الذي لا يشوبه تردد بأن هذا العلم قد قصره الله سبحانه وتعالى على نفسه، وليس بإمكان الانسان تحدي الذات الالهية والتفاد الى ما حجب عنه استار الغيب.

قال تعالى

عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١٨٩﴾ إِلَّا مَن أَرَضَىٰ مِنْ رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ مِرْصَادًا ﴿١٩٠﴾^(٢)

وابملاء الى وجوب الايمان بالغيب كما هو، فتشهد بذلك الآيات القرآنية التالية :

اللَّهُ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْمُسْتَكْتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾^(٣)

قال تعالى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْبِقُوا لَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّدَقَاتِ تَنَالَهُ يَدَيْكُمْ وَرِمَافَكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يُحَافَهُ بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾

(١) سورة الاحراف آية ١٨٨ .

(٢) سورة الجن آية ٢٦-٢٧ .

(٣) سورة البقرة آية ١-٣ .

(٤) سورة المائدة آية ٩٤

قال تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَهُ وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ^(١)

قال تعالى

وَلَا تَزِدْوا رِيبَهُ وَزِدْ لِقَوْمِ هَٰؤُلَاءِ نَارًا نَدْعُهُمْ ثِقَلًا إِلَىٰ جَهَنَّمَ لَا يَجْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمِنْ تَرَكُنَا فَمَا تَزِدْ لِنَفْسِهِمْ وَلِلَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٥٩﴾ ^(٢)

قال تعالى

إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَوِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ^(٣)

قال تعالى

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٦٠﴾ ^(٤)

وهذا الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وعلم بحكمته ان لا جدوى للبشر في معرفة كنهه وطبيعته، فلم يهب لهم القدرة على ادراكه والاحاطة به، بالاداة التي وهبهم اياها لخلافة الارض، وليس من مستلزمات الخلافة ان نطلع على هذا الغيب، ويقدر ما سخر الله للانسان من النواميس الكونية وعرفه بأسرارها، بقدر ما حجب عنه اسرار الغيب، فيما لا جدوى له في معرفته، وما يزال الانسان مثلاً على الرغم من كل ما فتح له من الاسرار الكونية يجهل ما وراء اللحظة الحاضرة جهلاً مطلقاً، ولا يملك بأي أداة من ادوات المعرفة المتاحة

(١) سورة الانبياء آية ٤٨-٤٩

(٢) سورة فاطر آية ١٨

(٣) سورة يس آية ١١

(٤) سورة الملك آية ١٢

له ان يعرف ماذا سيحدث له بعد لحظة ، وهل النفس الذي خرج من فمه عائد ام هو آخر أنفاسه ؟ وهذا مثل من الغيب المحجوب عن البشر ، لأنه لا يدخل في مقتضيات الخلافة ، بل ربما كان معوقا لها لو كشف للانسان عنه . . . وإذا كان العقل البشري لم يوهب الوسيلة للاطلاع على هذا الغيب المحجوب فليس سبيله اذاً أن يتجسس فينكر . فالإنكار حكم يحتاج الى المعرفة . والمعرفة هنا ليست من طبيعة العقل ، وليست في طوق وسائله

ان الاستسلام للوهم والخرافة شديد الضرر بالغ الخطورة . ولكن أضر منه وأخطر ، التكرار للمجهول كله وإنكاره ، واستبعاد الغيب لمجرد عدم القدرة على الاحاطة به . . انها تكون نكسة الى عالم الحيوان الذي يعيش في المحسوس وحده ، ولا ينفذ من أسواره الى الوجود الطليق . فلندع هذا الغيب اذاً لصاحبه ، وحسبنا ما يقص لنا عنه ، بالقدر الذي يصلح لنا في حياتنا ، ويصلح سرائرنا ومعاشنا^(١)

(١) في ظلال القرآن ، الجزء الأول ، ص ٥٩ .

- أنواع الغيب -

بعد أن فرغنا من الحديث عن الغيب بالمنظار الفلسفي ومفهوم الغيب في ضوء النهج الإلهي ، انه حقيق علينا ان نطلع القاريء الكريم على أنواع الغيب المختلفة كما تعلمناها من القرآن المجيد .

إن الله سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة اطلعنا من خلال كتابه المنير بأن هناك نوعين أساسيين للغيب هما : عالم الغيب (العالم العلوي) ، والغيب الذي يتصل بعالم الشهادة (عالم الحس) .

اما بالنسبة الى عالم الغيب فيجدر بنا نحن البشر ، بعد أن عرفنا بأن علم الغيب كله فقط ان نعلم الحقيقة التالية ؛ وهي ان المقربين في السموات العلى والذين يعتبرون جزءاً من الغيب بالنسبة للانسان إنهم لا يعلمون بمكنونات الامور الغيبية سواء اكان ذلك الغيب متصلاً بعالم الغيب ام بعالم الشهادة .

ودليلاً لهذا الموضوع يكمن في قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٦٣﴾ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُنْثَاهُمْ بِأَسْمَاءِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم

بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿١٣﴾

هذا بجانب ان قصة الاسراء والمعراج تشهد بأن جبريل عليه السلام قد
رافق سيدنا محمداً في تلك القصة ولكنه لم يستطع ان يكمل مع سيدنا محمد
ﷺ حيث التزم عند حد معين وترك سيدنا محمداً ﷺ يكمل حلالة الاسراء
والمعراج وحيداً، مما يدل على أن دائرة معارفه وتحركاته محدودة . وهذا النوع
من الغيب الذي لا يعلم مكنوناته المقربون للرحمن ، هو بعينه الذي تم انكاره
ورجمه تارة اخرى من قبل الفلاسفة .

اما بالنسبة الى الغيب الذي يتصل بعالم الشهادة، فهناك ثلاثة انواع من
هذا الغيب ؛ فالغيب الاول هو غيب الماضي ، والغيب الثاني ؛ غيب الحاضر ،
والغيب الأخير ؛ غيب المستقبل .

وإيماءة الى غيب الماضي فان الله سبحانه وتعالى الذي احصى كل شيء
اطلعنا من خلال كتابه المنير على قصص وحوادث جرت في السابق ليس
بمقدور الانسان ان يصل اليها بنفس الصدق والدقة التي وصلتنا من خلال كتابه
العزیز .

قال تعالى

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُعْراً فَتَقَبَّلَ مِنْهُ إِنَّكَ أَنْتَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ الذَّكَرُ إِلَّا لَأُنْثَىٰ وَإِنِّى سَمِيتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّى عُيِدْتُهَا بِطَيْبَاتٍ وَدُرَّتْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ ﴿١٤﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبْأًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا
دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْفَرِمُ أَنَّ لِّى هَذَا هُوَ
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٥﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ

رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عِلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأَمْرَانِ عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَقَعُ مَا يُشَاءُ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا زَمْرًا أَوْ ذِكْرًا رَبُّكَ كَثِيرٌ وَسَخَّرَ بِالْمُسَى وَالْإِبْرَكِ ﴿٣١﴾ وَلَإِذَا قَالَتِ الْمَلِكَةُ بَنِيهِمْ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْمَلَائِكَةِ ﴿٣٢﴾ يَنْتَرِمُ عَنْقِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَزْكِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهُمْ أَهْلُهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ^(١)

قال تعالى

وَقَادَى نُوحٌ رَجُلُهُ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَنْبَى مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَخْكُمُ الْمُتَكِبِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّبِعْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَاكِ أَنْ تَكُونِ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتِلَّكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٦﴾ قِيلَ يَنْفُخُ أَهْبَطْ بِسَلَامٍ إِنَّا وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنَسِتْنَهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ تَائِهَاتُ الْعَذَابِ أَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ^(٢)

واشارة الى غيب الحاضر، فإنه يكمن في نقص معرفة الانسان لكل ما يجري من امور حياتية في نفس اللحظة فيما يتعلق بعالم الشهادة . فالذي يكون معلوماً لطرف ما من الناس قد يكون غيباً لطرف آخر . ويبدو ذلك بجلاء في سيرة الانبياء والرسل ، حيث كانت تأتيهم البينة من ربهم بخصوص ما يخطط القوم

(٢) سورة هود آية ٤٥ - ٤٩ .

(١) سورة آل عمران آية ٣٥ - ٤٤ .

لهم من مكائد وشرور مستطيرة وسيرة نبينا ﷺ تفيض بالمعلومات الواضحة في هذا الموضوع ؛ نذكر منها قصة الهجرة النبوية ، ومكائد اليهود ، وشرور المنافقين وأحاديثهم .

قال تعالى

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَالَمَ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَقُلُوا خِزَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُسْتَفِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِمَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُسْتَفِينَ لَا يَعْلَمُونَ ^(١)

هذا بجانب أن الله سبحانه وتعالى اطلع قسماً من انبيائه ورسله بمعلومات معينة حول هذا الغيب لتكون بمثابة الحجة الساطعة والدليل السافر على صدق دعواهم وثبوت مصداقهم فيما كانوا يدعون إليه . وقد اخبر عيسى عليه السلام قومه بما كانوا يأكلون وما يدخرون في بيوتهم .

قال تعالى

وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ مَلِكًا يَأْذِنُ اللَّهُ وَأُتْرَعُ الْأَكْصَاةُ وَالْأَنْبَرُ وَأُخِي الْمَوْقُ يَأْذِنُ اللَّهُ وَأُنْثِيكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

قال تعالى

وَأَيُّهَا قَوْمُ لُوطُ إِنَّا جَاءُوكُمْ بِالْحَقِّ فَاذْكُرُوا الْيَوْمَ النَّارَ الَّتِي أَنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٩﴾ وَاللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ^(٢)

(١) سورة المنافقون آية ٧ - ٨ .

(٢) سورة الملك آية ١٣ - ١٤ .

(٣) سورة آل عمران آية ٤٩ .

اما بالنسبة الى غيب المستقبل في عالم الشهادة فيعني معرفة ما سيجري من أحداث مستقبلية سواء اكانت على المستوى الفردي ام الجماعي . وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه المنير حول هذا الغيب حيث مكن انبياءه ورسله بمعرفة بعض من الامور الغيبية المستقبلية ليكون هذا العلم بمثابة الدليل الساطع على صدق ما يدعوا اليه . وان السيرة النبوية الشريفة تغص بهذه المعلومات الطاهرة، نذكر منها؛ ابلاغ الرسول ﷺ أصحابه بأنها ستفتح لهم قصور قيصر وكسرى، وهم يعملون في حفر الخندق استعداداً لغزو الاحزاب . وهنا برز ايمان اصحاب رسول الله حيث اقروا بصدق رسول الله وهم في اشد ساعات القتال واقساها . بينما في المقابل نجد فئة المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، لم يصدقوا ما جاء به الرسول من عند ربه من معلومات عن غيب المستقبل .

قال تعالى

وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ^(١)

بينما يبرز موقف المنافقين والذين في قلوبهم مرض في الآية الكريمة

التالية :

قال تعالى

وَلَمَّا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ^(٢) وَلَمَّا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ^(٣)

(١) سورة الاحزاب آية ٢٢ .

(٢) سورة الاحزاب آية ١٢ - ١٣ .

اضف الى ذلك ما يشهد به القرآن الكريم من زف خبر نصر الروم بعد هزيمتهم امام الفرس ليسر به المؤمنين .

قال تعالى

الْقُرْآنُ ١ غُلِبَتِ الرُّومُ ٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ مَسْغُوبُونَ ٣
 ٢ فِي يَضِيعِ سَيِّئِكُمْ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْسَحُ الْمَوْتُونَ^(١)

وتجدر الإشارة الى أن هناك امورا غيبية تحدث باستمرار ولا يجد الانسان وسيلة تمكنه من معرفة هذه الحوادث قبل وقوعها . ولن يتسنى له ذلك لان هذه المعلومات الغيبية خارج حدود طاقات الانسان . ومن هذه الحوادث موعده الوفاة ، ومكان الموت ، والرزق ، والجهل المطبق بعلم الساعة .

قال تعالى

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَضِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ
 عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ٨ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ٩ سَوَاءٌ مِنْكُمْ
 مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِإِيْلٍ وَسَارٍ بِالنَّهَارِ ١٠^(٢)

قال تعالى

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي
 نَفْسٌ مِمَّا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ^(٣)

(١) سورة الروم آية ١ - ٤ .

(٢) سورة الرعد آية ٨ - ١٠ .

(٣) سورة لقمان آية ٣٤ .

وخلاصة القول في هذا الموضوع أن الانسان رجم الغيب العلوي بلا هوادة،
وانكره تارة أخرى، في الوقت الذي ابتعد فيه كل البعد عن الغيب الذي يتصل
بعالم الشهادة.

فلماذا ابتعد الانسان بهذه الصورة التي تنم عن ضعفه الشديد، وعجزه التام
عن البحث في الامور الغيبية التي تحف ماضيه، وحاضره، ومستقبله الدنيوي
رغم تأثير هذه الامور القوي والمباشر على نمط الحياة التي يعيشها الانسان في
عالم الشهادة؟

إن الانسان لو اجتلى تاريخه وعلم حقيقة ماضيه بانه خُلِقَ من آدم، وان
آدم عليه السلام خلق من تراب، لما شك لحظة واحدة في وحدانية الله سبحانه
وتعالى، ولا تبادر الى ذهنه ولو مرة واحدة الشك في ان الله سبحانه وتعالى خلقه
في احسن تقويم، ولا تسلل الى داخله الريب بوحدة الهدف والدين اللذين جاء
بهما الانبياء والمرسلون من عند الله مبشرين ومنذرين. اضف الى ذلك ان
الانسان لو علم حقيقة ماضيه لأعرض عن كثير من الامور التي كلفت البشرية
الشيء الكثير من المعاناة، والحرمان، والقتل، والسلب، والتعذيب،
والطرد، والرق، والعبودية التي بسفت جميعها عن الشعوبية، والقومية،
والتفوق العرقي، وتفوق اللون.

إن الانسان لو علم غيب الحاضر بما يتعلق بعالم الشهادة، لتعامل مع بقية
افراد جنسه على نور وبينة، دون كذب او مراا، ولعاشت البشرية حياة السعادة
والطمأنينة في جميع الامور الحياتية، لأن الانسان يعلم في ضوء هذه المعطيات
الجديدة انه لا يستطيع أن يسخر أو يستخف بعقول الآخرين؛ لأن ما هو معلوم
لديه يكون معلوماً للطرف الآخر.

ولو علم الانسان غيب المستقبل الدنيوي لاختلفت طبيعة الحياة من
اساسها، لأن الانسان في ضوء المعطيات الجديدة يكون مطلعاً على كل ما
سيحدث له في المستقبل من شرور وآلام، وفراح واحزان، وموعد الموت

ومكائنه، والرزق، والنسل، وكل ما يتعلق بأموره الحياتية، فكيف ستكون الحياة بالنسبة للإنسان في ضوء هذه المعطيات الجديدة؟

وفي ضوء ما أسلفنا نجد أن غياب العالم الدنيوي يعكس آثاراً واسعة النطاق على حياة الإنسان في عالم الشهادة، وبالرغم من هذا التأثير القوي، إلا أن الإنسان اعرض عن الغيب الذي يتصل بعالم الحس، وذهب ليرجم الغيب العلوي تارة، وينكره تارة أخرى، أليس أجدر بالإنسان قبل أن يقحم نفسه في غيب العالم العلوي أن يجند كل طاقاته وقدراته في البحث عن غيب العالم الأرضي لصلته المباشرة بما يهم الإنسان في الحياة الأولى؟ ولكن الإنسان سلك هذه السبيل لعلمه اليقيني بأن المحاور والمناورة، والجدال، والالتفاف على الحقائق لن تجدي في تبرير الترهات والتخرصات التي جاء بها الإنسان ليبرر سلوكه المحاد للحق والحقيقة في علم الغيب السفلي كما فعل بالنسبة للغيب الذي يتصل بالعالم العلوي. لذلك فإن الإنسان يخشى أن يفعل ولو بعض ما عمله الأنبياء والمرسلون في اطلاع اقوامهم على بعض الأمور الغيبية التي تتصل بعالم الشهادة، كما فعل سيدنا عيسى عليه السلام، عندما أخبر قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وكما فعل سيدنا محمد ﷺ عندما كان يخبر اليهود والمنافقين بمكائدهم وأحاييلهم نحوه، هذا بالإضافة إلى إخبار أصحابه عن بعض ما سيجري في المستقبل، مثل نصر الروم بعد هزيمتهم، وسقوط ملك قيصر والروم بأيدي المسلمين.

كان الفلاسفة ومن والاهم يخافون كل المخوف من التحدث فيما يتصل بعالم الحس من أمور غيبية؛ لكي لا تنكشف سواتهم ويثبت بطلان حججهم للقاصي والداني. تلك الحجج والتخرصات التي اضلوا بها أنفسهم وكل من وشجت عروقه على طريقتهم. فتركوا هذا النوع من الغيب الذي كان الأنبياء والمرسلون يتحدثون اقوامهم به للتدليل على صدقهم وثبوت حججهم لصلق دعواهم.

ترك الانسان ارض التحدي مجادلا ، ومكابرا ، ومنافحا ، ومتاورا ، ليشرد
 بذمته وخياله الى آفاق بعيدة المنال ليتحلق حول الذات الالهية وما يدور
 حولها من حقائق ، رغم ان الوصول اليها من الروح والملائكة تأخذ خمسين
 الف سنة سواء اكانت الوحدة الزمنية للسنة الواحدة بما ينسجم مع مفهوم العالم
 العلوي ام العالم السفلي ، فان المسافة كبيرة جدا ولا يمكن للعقل البشري ان
 يصل اليها .

قال تعالى :

تَعْرِجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ^(١)

ولكن الانسان تجاوز كل هذه الآفاق الشاهقة ليبرر انحرافه عن الحق
 والحقيقة ، وكيف لا؟ وهو الذي تقول من الاقاويل ما تنفطر منه السموات
 العلى ، وتنشق منه الارض ، وتخر له الجبال هذا .

قال تعالى :

وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ
 السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ۖ وَتَشَقُّ الْأَرْضُ ۖ وَخُسِفَ لِلْجِبَالِ هَذَا ۖ أَنْ دَعَوْا
 لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ^(٢)

هذا حال الانسان عندما يعتمد عن الحق والحقيقة يأتي من المنكر ما تنأى
 وتتن لسماعه الجمادات ، وهذا يعود الى جهل هذا الانسان بحقائق الكون
 والوجود في كلا العالمين ؛ عالم الغيب وعالم الشهادة .

(١) سورة المعارج آية ٤

(٢) سورة مريم آية ٨٨-٩١

الفصل الحادي عشر

الذات الإلهية

- مقدمة

- المفهوم الفلسفي الانساني للذات الالهية

- المفهوم الاسلامي للذات الالهية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④

سورة الاخلاص

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَمْ يَلَمَّْا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ
حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ⑤

سورة البقرة (٢٥٥)

الذات الإلهية

يعد موضوع الذات الإلهية من أكثر الأمور الغيبية التي تناولها الإنسان بالبحث، والتحليل، والتأمل، لما لهذا الموضوع من أهمية وتأثير مباشر على حياة الإنسان. هذا بجانب أن الأنبياء والمرسلين منذ سيدنا نوح عليه السلام وهم يدعون الناس إلى الانابة والاستقامة لله سبحانه وتعالى؛ لذلك سلك الإنسان نحو الذات الإلهية باتجاهين متضادين؛ فالاتجاه الأول، يمثل سلوك الإنسان الذي أناب واستقام لدعوة الأنبياء والمرسلين، حيث اطمأنت أساورهم ونفوسهم لله سبحانه وتعالى عن طريق تصديقهم وإيمانهم بما جاء به رسل الله سبحانه وتعالى. أما بالنسبة للاتجاه الآخر، فهو يمثل سلوك الإنسان الذي أدير وتولى عن الحق الذي جاء به الأنبياء والمرسلون. وقد سلك اتباع هذا الاتجاه نحو الذات الإلهية بطريقتين متضادين. فالقسم الأول منهم أنكر وجود الذات الإلهية إنكاراً تاماً، وهذا الذي ذهب إليه الطبيعيون، والوجوديون، والنفعيون، والشيوعيون. أما القسم الثاني فقد ذهب إلى الإقرار بوجود الذات الإلهية حيث تعددت أقوالهم واعتقاداتهم حول طبيعة، وإزلية، وقدرة، ووحدانية الذات الإلهية وهذا الذي ذهب إليه أغلب الفلاسفة القدماء وبالذات الفلاسفة اليونانيون.

كان فلاسفة اليونان القدماء يعتقدون بأن هناك مجموعة من الآلهة يختلفون فيما بينهم من حيث القوة ونوع الوظيفة، وأنه يوجد لهم رئيس يدعى زيوس (Zeus) وإن له زوجة تدعى هيرا (Hera). ويضاهي هذه الادعاءات اليونانية قول اليهود والنصارى بأن الله سبحانه وتعالى قد اتخذ ولداً، هذا بجانب الافتراءات والتخرصات التي كان يؤمن بها كفار العرب عندما كانوا يعتقدون بأن الملائكة بنات الله.

يرى أفلاطون «أن الله روح عاقل محرك جميل خيّر عادل كامل . وهو بسيط لا تنوع فيه، ثابت لا يتغير، صادق لا يكذب ولا يتشكل اشكالا مختلفة كما صوره هوميروس ومن حذا حذوه . . . وهو معنيّ بالعلم بخلاف ما يدعيه السوفسطائيون محتجين بنجاح الاشرار، فان الله ان كان لا يعنى بسيرتنا، فذلك اما لانه عاجز عن ضبط الاشياء، وهذا محال، واما لأن السيرة الانسانية اتفه عنده من ان تستحق عنايته، وهذا محال كذلك لان كل صانع يعلم أن للاجزاء شأنها في المجموع فيعنى بها، فهل يكون الله أقل علما من الانسان؟ . . . فوجود الله وكماله وعنايته حقائق لا ريب فيها، وانكارها جملة او فرادى جريمة ضد الدولة يجب أن يعاقب عليها القضاء، لأن هذا الانكار يؤدي مباشرة الى فساد السيرة، فهو اخلال بالنظام الاجتماعي»^(١)

وملخص ما قاله زعيم الفلسفة الواقعية أرسطو عن الله سبحانه وتعالى بأنه المحرك الأول، وأنه يحرك كفاية، وأنه معقول ومعشوق، فهو يحرك دون أن يتحرك وهذا شأن المعشوق والمعقول، كما وصفه بأنه العقل الفعال .

يرى ابيقورس (٣٤١-٢٧٠ قبل الميلاد) «أن الآلهة موجودون . يدل على وجودهم أولا أنهم موضوع «فكرة سابقة» شائعة في الانسانية جمعاء، والفكرة السابقة تتكون بتكرار الاحساس وكل احساس فهو صادق . وأساس هذه الفكرة السابقة الخيالات التي تتراعى لنا في المنام وفي اليقظة، والتي لا بد أن تكون منبعثة عن الآلهة انفسهم .

ثانيا عندنا وجود دائم سعيد، والآلهة يقابلون هذه الفكرة . . ويجب أن نتصور الآلهة على حسب أحسن شيء فينا : اجسامهم لطيفة غاية اللطافة، متحركة ابدا بين العوالم بمعزل عنها فلا يتألم ما يتألمها من دثور، ولكنهم مخلدون . ولما كانوا سعداء بعيدين عن العوالم كما قلنا، فهم لا يعنون بنا، ولا يكدرون صفوهم بشؤوننا، ولا يعلمون عن ارادتهم بالذنر، كما تعتقد العامة .

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٨٢-٨٣ .

هذه المعتقدات وما تفرع عليها من خرافات مثل تقديم القرابين للآلهة - وأحيانا القرابين البشرية - لطلب مددهم ورضاهم. تناقض الفكرة السابقة عنهم، إذ يستحيل ان يكون الآلهة سعداء مطمئنين مع ما نضفيه اليهم من عواطف وشواغل، فعلياً أن نطمئن نحن من جهتهم، وأن ننفي عن نفوسنا الخوف منهم»^(١)

يرى كليمان الاسكندري (١٥٠-٢١٧م) وأن كل عقل مستقيم في نفس فاضلة يؤمن بوجود الله. الايمان بالله نتيجة استدلال واضح سريع بآثار الله في العالم وفي النفس: اما في العالم، فان النظام يدلنا على ضرورة المنظم، كذلك تدلنا القوى الفعالة في الموجودات على ضرورة علة فاعلية أولى. وأما النفس الانسانية، فهي مرآة الله بما اختصت به من عقل وإرادة. . اما ماهية الله فيمتنع علينا تعريفها، لأن الله ليس جنسا ولا نوعا ولا عددا ولا عرضا ولا موضوع أعراض ولا كليا من الكلليات لا ينبغي تسميته «بالكل» كالرواقيين، بل يجب القول انه ابو عموم الاشياء. ولا ينبغي البحث فيه عن تركيب وكثرة اذ لا قسمة في الواحد. وإن قلنا عنه انه لا مثاء، فليس يكون معنى ذلك انه كمية لا تتغير، بل انه لا امتداد له ولا شكل ولا اسم مطلقا. وإن دعوانه الواحد والخير والروح، والكائن والآب والله والخالق والرب، فليست هذه الالفاظ اسما له، ولكن لامتناع الاسم الحق نستعمل هذه التسميات الجميلة لكي يستطيع عقلنا التفكير في الله دون خطأ»^(٢).

فالله «مثال الخير» عند افلاطون، و«المحرك الاول» عند ارسطو، و«الواحد» عند افلوطين، و«المطلق» عند هيكل»^(٣)

يقول ديكارت (١٥٥٦-١٦٥٠م) «اقصد بلفظ الله جوهر لا متاهيا، أزليا

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢١٨.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٧٢-٢٧٣

(٣) قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ص ٤١٣.

منزما عن التغير، قائما بذاته محيطا بكل شيء، قادرا على كل شيء، قد خلقني
انا وجميع الاشياء الموجودة»^(١)

بعد أن فرغنا من عرض بعض الاقوال والتأملات المتباينة حول الذات
الالهية التي نادى بها الفلاسفة على مختلف عصورهم وفلسفاتهم، فاننا نجد
في الفلسفة الاسلامية قول الفصل وسدرة الصواب حول هذا الموضوع
ومكنوناته، حيث كلام الله سبحانه وتعالى الواضح، والثابت، والدقيق،
والصادق الذي يصف ذاته بأنه أحد، صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً
أحد، وانه الخالق والمالك لكل شيء في السموات والأرضين كما انه المالك
ليوم الدين، وأنه حي قيوم قديم، عالم، حكيم، عادل، غني، سميع، بصير،
عزيز، جبار، متكبر، مدرك لكل شيء ولا يدركه شيء، مريد للخير ويكافئ
عليه، وكاره للشر ويعاقب عليه، صادق في وعده ووعيده، قدوس، مهيم،
قاهر فوق عباده، يرى ولا يُرى في الدنيا والآخرة لأنه سبحانه ليس بجسم ولا
مركب من شيء، ولا متحد بشيء، وانه لطيف بعباده، رؤوف رحيم.

«إن اليهود سألو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالوا: انسب لنا
ريك، فلبث ثلاثا لا يجيبهم ثم نزلت «قل هو الله أحد.. الى آخرها»^(٢)

قال تعالى:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ
وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝^(٣)

تصف هذه الآيات الله سبحانه وتعالى بأنه أحد الذات ويرجع كل ما سواه اليه

(١) التأملات، ديكاوت، ترجمة عثمان امين. ص ٧٨

(٢) الميزان في تفسير القرآن، المجلد العشرون، ص ٣٩٠.

(٣) سورة الاخلاص

في جميع الحاجات الوجودية من دون أن يشاركه شيء في ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، أو ماهيته.

قال تعالى :

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥﴾

قال تعالى :

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٦﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٧﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾

وخلاصة القول في الموضوع ان الناس بشكل عام وفي مقدمتهم الفلاسفة اختاروا الابتعاد عن حقيقة الله سبحانه وتعالى التي ينبثق عنها كافة الحقائق التي تتصل بالوجود بكافة جوانبه، وتمثل ذلك الابتعاد في اعراضهم عن الكتب السماوية وما تنطوي عليها من حقائق. وذهبوا لبحثوا عن حقائق آخر تناسب ما يدور في خلجات نفوسهم من اهواء ونزوات انسانية، وهذا بعينه هو المحال الذي ينشد الانسان تحقيقه.

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٢) سورة الحشر آية ٢٢-٢٤

قال تعالى :

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَىٰ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ
وَأَبَىٰ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾^(١)

قال تعالى

وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ
أَنشَأَهُم بِلَاغِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾^(٢)

(١) سورة الحج آية ٦٢ .

(٢) سورة المؤمنون آية ٧١ .

الفصل الثاني عشر

طبيعة الكون

- مقدمة -

- المفهوم الانساني الفلسفي للكون

- عالم الحس

- عالم المثل والروح

- المفهوم الاسلامي للكون

- عالم الشهادة

- عالم الغيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾

سورة البقرة (٢٩)

وَمَا يَهُدِي لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٦٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٦٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْشُونِ الْقَدِيرِ ﴿٦٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ

وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٧٠﴾

سورة يس (٣٧-٤٠)

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧١﴾

سورة الانعام (٧٣)

وَاتَّبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِغْ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

سورة القصص (٧٧)

وَنَادَىٰ أَحْمَقُ الْجِنَّةِ أَحْمَقُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذِنَ لِبَنِيهِمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَسْخَرُونَ بِعُوجِهَا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٧٩﴾

سورة الاعراف (٤٤-٤٥)

طبيعة الكون

اهتم الناس، وفي مقلدتهم الفلاسفة، بهذه المعضلة اهتماما بالغاً من أجل التوصل الى معرفة اسرار الكون لما له من تأثير مباشر وهام على حياة الانسان سواء على المستوى الفكري أو الايديولوجي أو المستوى السلوكي في الجوانب المتعددة للحياة .

وقد تركّز البحث والتحليل حول هذا الموضوع على ثلاثة نقاط رئيسية وهي ؛ تعدد الكون، وخلق الكون، . وتدبير شؤون الكون.

وقد اختلفت الآراء الفلسفية حول هذه المواضيع الثلاثة بشكل شاسع فمنهم من قال بأن هناك كونين والقسم الآخر ادعى بوجود كون واحد فقط، وهو مانحسه ونراه . ومنهم من نادى بقدم الكون مخالفاً بذلك الذين يقولون بحدوث الكون . اما بالنسبة الى تصريف شؤون هذا الكون فمنهم من ادعى بأن الكون هو الذي يسيطر على ذاته دون حاجة الى قوة اخرى تقوم بتدبير شؤونه، وهذا يخالف الطرف الآخر الذي نادى بوجود قوة مسيطرة على هذا الكون .

يعتقد افلاطون أن هذا الكون الذي نستطيع ان نحسه بأحاسيسنا، ليس هو الكون الحقيقي، ولكنه صورة عن الكون الحقيقي (عالم المثل والافكار) . وفي ضوء ذلك، فانه شبه العالم الحقيقي بأنه مجموعة من الاشجار المثالية تنبع كل هذه الاشجار من شجرة رئيسية تتصف بأنها كاملة متكاملة لا تتغير ولا تنفى حيث انها موجودة منذ الازل .

كما يعتقد افلاطون بأن كل ما يحدث فهو يحدث بالضرورة عن علة،

والعالم حادث قد بدأ من طرف أول، لأنه محسوس وكل محسوس فهو خاضع للتغيير والحدوث.

ويرى أرسطو أن العالم واحد ولا يمكن أن يكون هناك غير هذا العالم، وأن هذا الكون المحسوس هو الكون الحقيقي، لأن الجهات التي تتحرك العناصر إليها هي الجهات المطلقة، فكل مادة يجب أن تتجه إليها، أي تتحد بمادة هذا العالم، وكل أثر يجب أن يتحرك حول مركز هذا الكون.

كما أن أرسطو نادى بقدم العالم، «العالم قديم بمادته وصورته وحركته وأنواع موجوداته، لا يكون ولا يفسد فيه سوى جزئيات الأنواع»^(١)

يرى أبيقورس أن «لكل شيء ضد يحقق المعادلة في الوجود، فلا بد أن يقابل الوجود الفاني المتألم وجود دائم سعيد»^(٢)

بينما يرى زعماء الفلسفة الطبيعية بأن هناك كونا واحدا هو ما نحسه بأحاسيسنا قائم بذاته دون تدخل من أي قوة أخرى، وهذا تقريبا ما نادى به جورج بيركلي (George Berkeley) أحد زعماء الفلسفة البراجماتية، حيث قال بأنه لا يوجد شيء في هذا العالم لا يمكن احساسه وأي شيء لا يمكن احساسه فانه غير موجود، وهذا في الواقع ما استقر في اذهان اقطاب الفلسفة الشيوعية في نظرتهم للكون.

بينما نرى أن أحد زعماء الفلسفة البراجماتية وهو جون لوك (John Lock) يعتقد أن المعلومات البشرية عن الكون تأتي عن طريق الاحساس، وأن هناك عالما حقيقيا من الصعب علينا نحن البشر تحديده.

والجدير ذكره في هذا المقام ان اللين نادوا بقدم الكون كانت حجتهم أن هذا الكون قد انبثق من علته الأساسية وهي علة العلل دون ارادة هذه العلة

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١٤٨.

(٢) نفس المصدر ص ٢١٨

الاسامية ، لذلك فانهم يرون بأن هذا الانشطار عن العلة الاساسية قديم جدا .
كما أن الذين ذهبوا للقول بحدوث العالم لم يعتقدوا بأن الخالق لهذا الكون
قد خلقه كما هو واضح في الكتب السماوية من حيث كيفية الخلق وسببه .

بعد أن تعرفنا على خلاصة ما غصت به بطون الكتب الفلسفية من تأملات ،
وتكهنات ، وتحليلات ، وتخرصات أقطاب تلك الفلسفات البشرية ، فانتا لا بد
من ان نعطف نظرك الى ما جاء في المدرسة الاسلامية من معلومات صادقة دقيقة
حول هذا الموضوع .

اما بالنسبة الى الاسامية الاولى في هذا الموضوع والتي تتعلق بخلق
الكون ، فان الحق سبحانه وتعالى يقول في كتابه المكنون ما يكشف لنا نحن
البشر عن جميع ما يدور حول هذه الاسامية ليعلم الانسان امورا لم يكن يوسع
الانسان ان يعلمها خلا من طريق الكتب السماوية المقدسة ، وما بعث الله
للانسان من انبياء ورسل .

قال تعالى :

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ
فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾^(١)

قال تعالى :

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى
الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَلْفُ الْمَلَائِكَةِ رُكُودًا وَأَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّمْنَ وَالْقَمَرَ وَالْجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِ
آلَةِ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْمَلَكِينَ ﴿٥٤﴾^(٢)

(١) سورة البقرة آية ٢٩ .

(٢) سورة الاعراف آية ٥٤ .

قال تعالى :

يَدْعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَوْ تَكُنْ لَمْ صَاحِبَةً ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾^(١)

قال تعالى :

سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾^(٢)

وإيماءة الى الاساسية الثانية التي تتعلق بتصريف امور الكون البديع الباهر في الدقة والتنظيم ، فان الحق سبحانه وتعالى يخبرنا عن ذاته بأنه الخالق ، والمسيطر ، والمدير لشؤون هذا الكون ، والقاهر فوق عباده ، ولو كره جميع هذه الحقائق كل من وشجت عروقهم على الزيف والضلال والافتئات على الحقائق السافرة لانسجام هذا السلوك المضاد للحق والحقيقة ، مع ما يختلج نفوسهم من حب الشهوات ، والابتعاد عن كل قانون خلقي واجتماعي ينظم ممارسة هذه الشهوات الحيوانية . وتبدو سيطرة الله سبحانه وتعالى على الكون بوضوح اشراق الشمس لكل انسان منيب في قوله عز من قائل في كتابه المكنون في الآيات الكريمة التالية :

قال تعالى :

وَعَايَةَ لَهُمْ أَيْلٌ يَنْسِلُ مِنْهُ النَّهَارُ فَمَا ذَاهُمْ مُظِلُّمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾^(٣)

(١) سورة الانعام آية ١٠١-١٠٢ .

(٢) سورة يس آية ٣٧-٤٠ .

(٣) سورة يس آية ٣٦ .

قال تعالى :

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُ قَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَإِن تَوَفَّوْا ۖ﴾ ﴿٥﴾ قَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّعِيمٍ وَاجْعِدْهُ فَمُسْتَوْسْتَوْجٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُوْنَ ﴿٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مِّنْخَرِجٍ وَمِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزُّمَانُ مِثْلَ النَّخْلِ ۚ وَغَيْرُ مُثَشِّبٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْوَعُ ۚ إِن فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾﴾

قال تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿١٠﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿١١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْيَلَّ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿١٢﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ يُبْرِئُ الْبَدَنَ رَحْمَةً مِنَّا وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿١٣﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْمَنًا وَنُقْبِقَ بِهِ مَا خَلَقْنَا أَنفُسًا وَأَنَّا إِنَّمَا نَبْدَأُ الْبَشَرَ خَلْقًا وَنُعِيدُهُمْ لِنَفْسٍ يَوْمَ النُّشُورِ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَنَّى يُكَذِّبُوا النَّارِ (الْأَكْثَرُ) ﴿١٥﴾﴾

(١) سورة الانعام آية ٩٥-٩٩

(٢) سورة الفرقان آية ٤٥-٥٠

قال تعالى :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ
﴿١٥﴾ أَمْ أُنذِرُ مَن فِي السَّمَلَةِ أَنْ يَخْفَى يَكُمُ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَعُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أُنذِرُ مَن فِي السَّمَلَةِ أَنْ يُرِيبَ لِعَالَتِكُمْ حَاصِبًا فَنَتَمَنَّوْنَ كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿١٧﴾ (١)

وجدير أن نذكر ما قاله العالم الجليل سيد قطب رحمه الله في موضوع جعل الارض ذلولا للبشر.

«والناس لطول الفتهم لحياتهم على هذه الارض، وسهولة استقرارهم عليها، وسيرهم فيها، واستغلالهم لثريتها ومائها وهوائها وكنزها وقواها وارزاقها جميعا.. ينسون نعمة الله في تدليلها لهم وتسخيرها. والقرآن يذكرهم هذه النعمة الهائلة، ويصبرهم بها في هذا التعبير الذي يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الارض الذلول.

والارض الذلول كانت تعني في اذهان المخاطبين القدامى، هذه الارض المذللة للسير فيها بالقدم وعلى الدابة، وبالعلك التي تمخر البحار. والمذللة للزرع والجني والحصاد، والمذللة للحياة فيها بما تحويه من هواء وماء وتربة تصلح للزرع والانبات.

وهي مدلولات مجملة يفصلها العلم - فيما اهتدى اليه حتى اليوم - تفصيلا يمد في مساحة النص القرآني في الادراك.

فمما يقوله العلم في مدلول الارض الذلول: إن هذا الوصف: ذلولا الذي يطلق عادة على الدابة، مقصود في اطلاقه على الارض، فالارض هذه التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة، هي دابة متحركة.. بل راحة راكضة مهطمة، وهي في الوقت ذاته ذلول لا تلقي براكبيها عن ظهرها، ولا تتعثر خطاها، ولا تخضه

وتهزه وترهقه كالدابة غير الذلول. ثم هي دابة حلوب مثلما هي ذلول.

ان هذه الدابة التي نركبها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة، ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالي خمسة وستين ألف ميل في الساعة. ثم تركض هي والشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل عشرين ألف ميل في الساعة، مبتعدة نحو برج الجبار في السماء، ومع هذا الركض كله يبقى الانسان على ظهرها آمنا مستريحاً مطمئناً معافى لا تتمزق أوصاله، ولا تتناثر أشلائه، بل لا يرتج مخه ولا يدوخ، ولا يقع مرة عن ظهر هذه الدابة الذلول.

وهذه الحركات الثلاث لها حكمة. وقد عرفنا أثر اثنتين منها في حياة هذا الانسان، بل في الحياة كلها على ظهر هذه الارض. فدورة الارض حول نفسها هي التي ينشأ عنها الليل والنهار. ولو كان الليل سرمداً لجمدت الحياة كلها من البرد، ولو كان النهار سرمداً لاحتقرت الحياة كلها من الحر. ودورتها حول الشمس هي التي تنشأ عنها الفصول. ولو دام فصل واحد على الارض ما قامت الحياة في شكلها هذا كما ارادها الله. أما الحركة الثالثة فلم يكشف ستار الغيب عن حكمتها بعد. ولا بد أن لها ارتباطاً بالتناسق الكوني الكبير.

وهذه الدابة الذلول التي تتحرك كل هذه الحركات الهائلة في وقت واحد، ثابتة على وضع واحد في اثناء الحركة يحدده ميل محورها بمقدار ٢٣°٥ لأن هذا الميل هو الذي تنشأ عنه الفصول الأربعة مع حركة الارض حول الشمس، والذي لو اختلف في اثناء الحركة لاختلفت الفصول التي تترتب عليها دورة النبات بل دورة الحياة كلها في هذه الحياة الدنيا.

والله جعل الارض ذلولاً للبشر بأن جعل لها جاذبية تشدهم اليها في اثناء حركاتها الكبرى، كما جعل لها ضغطاً جويًا يسمح بسهولة الحركة فوقها. ولو كان الضغط الجوي أثقل من هذا لتعذر أو تعسر على الانسان أن يسير ويتنقل حسب درجة ثقل الضغط فأما ان يسحقه أو يعوقه. ولو كان أخف لاضطربت خطى الانسان أو لانفجرت تجاوبه لزيادة ضغطه الذاتي على ضغط الهواء حوله

كما يقع لمن يرتفعون في طبقات الجو العليا بدون تكييف لضغط الهواء .

والله جعل الأرض ذلولاً بسيطاً سطحها وتكوين هذه التربة اللينة فوق السطح . ولو كانت صموراً صلدة كما يفترض العلم بعد برودها وتجمدها لتعذر السير فيها ولتعذر الانبات . ولكن العوامل الجوية من هواء وامطار وغيرها هي التي فتت هذه الصخور الصلدة ، وأنشأ الله بها هذه التربة الخصبة الصالحة للحياة . وأنشأ ما فيها من النبات والأرزاق التي يحلبها راكبو هذه الدابة الذلول .

والله جعل الأرض ذلولاً بأن جعل الهواء المحيط بها محتوياً العناصر التي تحتاج الحياة اليها ، بالنسبة الدقيقة التي لو اختلفت ما قامت الحياة ، وما عاشت إن قُدر لها ان تقوم من الاساس . فنسبة الاكسجين فيه هي ٢١٪ تقريباً ونسبة الأزوت او النيتروجين هي ٧٨٪ تقريباً والبقية من ثاني اكسيد الكربون بنسبة ثلاثة اجزاء من عشرة آلاف وعناصر اخرى . وهذه النسب هي اللازمة بالضبط لقيام الحياة على الأرض .

والله جعل الأرض ذلولاً بآلاف من هذه الموافقات الضرورية لقيام الحياة ، ومنها حجم الأرض وحجم الشمس ، وسمك قشرة الأرض ، ودرجة سرعتها ، وميل محورها ، ونسبة توزيع الماء واليابس فيها ، وكثافة الهواء المحيط بها . . الى آخره . . الى آخره . وهذه الموافقات مجتمعة هي التي جعلت الأرض ذلولاً ، وهي التي جعلت فيها رزقا ، وهي التي سمحت بوجود الحياة ، وبِحياة هذا الانسان على وجه خاص .

والنص القرآني يشير الى هذه الحقائق ليعيها كل فرد وكل جيل بالقدر الذي يطيق ، وبالقدر الذي يبلغ اليه علمه وملاحظته ، ليشعر بيد الله ، الذي بيده الملك - وهي تتولاه وتتولى كل شيء حوله ، وتذلّل له الأرض ، وتحفظه وتحفظها . ولو تراخت لحظة واحدة عن الحفظ لاختل هذا الكون كله وتحطم بمن عليه وما عليه^(١)

أما بالنسبة الى الاساسية الثالثة والأخيرة التي تتعلق بتعدد الكون فيبدو ذلك واضحا من الآيات القرآنية الكريمة بأن هناك عالما محسوسا يمكن رؤيته والتبصر والتفكر في كيفية خلقه بهذه الصورة البديعة المتناهية في الدقة، كما يمكن التفكير في تخطيطه وتنظيمه، وتصريف شؤونه بهذه الكفاءة السامقة. ان هذا العالم المحسوس يعتبر بمثابة الآيات الدالة على وجود عالم آخر، علاوة على كونه دار الابتلاء والامتحان لجميع الناس من اجل الفوز او الخسارة في الدار الآخرة التي تمثل العالم غير المحسوس (عالم الغيب). وهذا الكون غير المحسوس لا يمكن رؤيته بأي طريقة كانت الا بعد الانتقال من دائرة العالم المحسوس.

نعم، يُعدُّ هذا الكون المحسوس فوزا للذين يعقلون كنهه من خلال التبصر والتفكر فيه وينيبون لله سبحانه حيث تنعكس تعليمات المولى عز وجل في افكارهم، واعتقاداتهم وسلوكهم في جميع الامور الحياتية. وقد يكون هذا الكون بما فيه خسارة للذين يؤثرون الهوى على الدين، حيث وشجت عروقهم على الزيف والضلال، وأصبح همهم الوحيد اتباع ما تشرئب له النفوس البشرية من تلبية النزعات والشهوات الحيوانية دون الالتفات او الامثال لتعليمات الحق سبحانه وتعالى. وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى ان نبصر ونتفكر في خلقه بما يتعلق بالعالم المحسوس في آيات كثيرة نذكر منها الآيات التالية:

قال تعالى:

إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَنْجَا بِهِنَّ الْأَرْضَ بِهَذَا مَوْنَهَا وَبَيَّنَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

قال تعالى

وَمَا يَكْفُرُ لَهُمْ إِلَٰهٌ إِلَّا سُبْحَٰنُ مَنَ الْفَلَاحِ فَإِذَا هُم مَّنْظُرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾^(١)

قال تعالى

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٤١﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَخْرُجُ ۚ وَذَكَرْنَاهَا لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٤٢﴾^(٢)

قال تعالى

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٤٣﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٤٤﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٤٥﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٤٦﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٤٧﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٤٨﴾^(٣)

اما بالنسبة للآيات التي تدل على أن هذا الكون المحسوس هو بمثابة الاختبار للنجاح في العيش بأمن وسلام في جنات الخلود واما الخسران المبين والعيش في نار جهنم في عالم الغيب (غير المحسوس).

نذكر من هذه الآيات على سبيل المثال وليس الحصر ما يلي :

(١) سورة يس آية ٣٧-٤٠.

(٢) سورة ق آية ٨-٦.

(٣) سورة الفاشية آية ١٧-٢٢.

قال تعالى :

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
لِيَسْأَلُكُمْ فِيهَا عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَكِنْ قُلْتَ إِنَّمَا يُوقِئُكُمْ مِنَ بَعْدِ التَّوْبِ لِيَقُولُوا
الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾^(١)

قال تعالى

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَسْأَلُكُمْ فِيهَا عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَهُ عَرْشٌ عَلَى الْمَاءِ
لِيَسْأَلُكُمْ فِيهَا عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٧﴾^(٢)

قال تعالى

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَنْ يَنْبَلُوهَا إِنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا
لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾^(٣)

قال تعالى

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ
فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَنِّي الْغَيْبُ
وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾^(٤)

كما اخبرتنا الآيات القرآنية الكريمة عن بعض المشاهد الغيبية المتصلة
بالكون غير المحسوس (العالم الآخر) منذ لحظة الانطلاق من دائرة العالم
المحسوس (الدنيا) الى العالم غير المحسوس (الآخرة)، وذكر بعض ما يجري
لكل من استحق دخول الجنة بسلام، ولكل من كان موثله النار. ومن الاهداف

(١) سورة هود آية ٧.

(٢) سورة المملك آية ٢.

(٣) سورة الكهف آية ٧-٨.

(٤) سورة الانعام آية ٧٣.

التي تسمى هذه الآيات التي تحدثنا عن بعض الامور المتصلة بالعالم الآخر الى تحقيقها، هو اصفاء جو من الطمأنينة والبشرى للمؤمنين بأن لهم حسن العاقبة وجنات النعيم بما تحتوي عليه من مستقبل زاهر، وفي المقابل النذير، والتهديد، والوعيد لكل من ابتعد ونأى بجانبه عن النور السماوي المبين. وبما انه ليس بالامكان ان نتطرق او نعرض جميع تلك الآيات والمشاهد المتعددة لضيق صفحات هذا الكتاب عن ان تتسع لذلك، وخوفا من الخروج عن الخطوط العريضة لهذا الكتاب، فاننا سوف نكتفي بعرض بعض من المشاهد للتدليل وليس للحصر على ثبوت وجود الكون الآخر ومصداقيته وبأنه يمثل دار الخلود والهدف الأسمى لكل عبد شكور يود أن يفوز برضى الله سبحانه وتعالى في تلك الحياة الخالدة عن طريق العمل والاعداد لذلك اليوم بما يتفق مع النور السماوي المبين.

قال تعالى :

وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

وسوف نكتفي بعرض ستة مشاهد للعالم الآخر أدلة سافرة لوجوده :

المشهد الاول، ويمثل فترة الاحتضار التي تعد بداية الانطلاق من العالم المحسوس (الدنيا) الى العالم غير المحسوس (الآخرة)، ويبدو ذلك جليا في قوله تعالى :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَهِكُمْ يَوْمَئِذٍ ﴿٢٠٠﴾ وَلَهُ السَّيْفُ الْمُسَوِّغُ ﴿٢٠١﴾

(١) سورة القصص آية ٧٧.

(٢) سورة الفاتحة آية ٢٦-٣٠.

يقول سيد قطب رحمه الله «وقد سار القرآن في تصوير المشهد على نسق خاص، ذلك انه عرض مشهد الاحتضار - الذي سيأتي - كأنه حاضر الآن، ثم جعل الحياة - وهي حاضرة - كأنها من ذكريات الماضي، ليرى هذا الذي التفت منه الساق بالساق من الهول والرعب، أو من الداء والألم، وبلغت روحه التراقي، وتساءل من تساءل: ألا من راق يرقبه ويرفع عنه هذه الحال، وتوقع هو أنه مفارق هذه الدنيا وما فيها... ليرى صورته هذه، ويستحضر في خياله صورته الأخرى، وهو يكذب ويتولى ويذهب الى أهله يتمطى، تيهها وكبرا... وبينما هو يستعرض الصورتين على هذا التقديم والتأخير، يفاجأ بأنه هناك في الآخرة، فلا وقت للاستعراض. فان «الى ربك يومئذ المساق»^(١)

أما المشهد الثاني فيشتمل على اللحظات الأولى للروح البشرية في انتقالها من عالم الشهادة الى عالم الغيب. فعندما تنتزع الروح من قبل ملائكة الموت يُصعد بها الى السماء الدنيا. وفي الوقت الذي تُفتح فيه ابواب السماء الى النفس المنية الخيرة، فانها لا تفتح ابوابها للنفس المكابرة الشريرة. قال تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاقُوا فِي سَمِّ الْخَيْلِ وَمَا كَذَلِكَ يَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٥﴾^(٢)

قال رسول الله ﷺ: «إن العبد المؤمن اذا كان في انقطاع... ساع مسن الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من كفن الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس

(١) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ص ٨٠

(٢) سورة الاعراف آية ٤٠ .

الطيبية اخرجني الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السماء وإن كنتم ترون غير ذلك فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، فتخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملائكة الا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى يتهاوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فتفتح لهم فيشبعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهي به الى السماء السابعة فيقول الله: اكتبوا كتاب عبيدي في عليين، واعيدوه الى الأرض فاني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى فيعاد روحه في جسده.

فيأتيه الملكان (داخل القبر) فيجلسان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: ما دينك؟ فيقول ديني الاسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبيدي فافرشوه من الجنة وطيبوها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عمك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر اذا كان في اقبال من الآخرة وانقطع من الدنيا نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب فيخرق في جسده فيترعها كما يُترزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها. فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كائنات ربيع جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملا من الملائكة الا قالوا: ما هذا

الروح الخيـث؟ فيقولان: فلان بن فلان باقـيح اسمائه التي كان يسمـى بها في الدنيا حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا فيستفتح فلا تفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ «وَلَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ».

فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سبعين في الأرض السفلى فيطرح روحه طرـحاً. ثم قرأ رسول الله ﷺ: «ومن يشرك بالله فكأنما خر منسـن السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق».

فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوا له من نار، وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه القبر حتى تختلف فيه أضلـاعه، ويأتيه رجل فيبيح الوجه فيبيح الثياب متن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت؟ فوجهك يجيء بالشر فيقول: انا عمـلك الخيـث، فيقول: رب لا تقم الساعة^(١)

اما بالنسبة الى المشهد الثالث فيشمل نهاية الكون المحسوس وانفراط نظامه وحركته، والانتقال الكلي لجميع المخلوقات الى العالم الآخر الذي رُفعت عنه الحجب بقدرة الله سبحانه وتعالى ليصبح محسوسا للناس. ففي هذه اللحظات الانتقالية تختلف جميع المشاهد الكونية ليرى الانسان بأـم عينيه جميع ما وعد به من مشاهد اليوم الآخر. فاذا بالقمر يخسف ويقرن بالشمس بعد اقتراق، واذا الاموات تخرج من القبور والنجوم تطمس وتنكدر، والجبال تنسف وتسير كالعهن المنفوش، وتزلزل الأرض لتلقي بكل ما في داخلها، والسماء تكشط، والبحار تُفجّر والى غيرها من المشاهد الكونية التي سوف تقع في تلك اللحظات. وسوف نعرض بعضا من الآيات القرآنية الكريمة دليلا ساطعا لما سيحدث في هذا المشهد من اليوم الآخر.

(١) الميزان في تفسير القرآن، الجزء الثامن، ص ١٣٧-١٣٨.

قال تعالى :

فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكْدَكَةٌ وَاحِدَةٌ ۖ^(١)
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ^(٢) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ^(٣) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا
وَنَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةٌ ۖ^(٤)

قال تعالى

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۖ^(١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ۖ^(٢) وَإِذَا الْإِبْرَارُ فُجِّرَتْ ۖ^(٣) وَإِذَا
الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۖ^(٤) عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۖ^(٥)

قال تعالى

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ۖ^(١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُمَتْ ۖ^(٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ^(٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا
وَمُتَلَّتْ ۖ^(٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُمَتْ ۖ^(٥)

قال تعالى

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا ۖ^(١) وَانْسَدَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۖ^(٢) فَكَانَتْ هَبْلًا مُّزْبَنًا ۖ^(٣)
وَكُنُفٌ مَّرْوَنًا ۖ^(٤) ثَلَاثَةً ۖ^(٥)

قال تعالى

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ۖ^(١) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ^(٢) وَلَا يَبْقَىٰ جَبَدٌ
حَاسِبًا ۖ^(٣) يُصْرُوهُمْ بُرْدًا مَّعْجُومًا ۖ^(٤) تُوقَفَتُّنِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ^(٥) وَسُجُوتِي
وَأَخِيذِي ۖ^(٦) وَفَصِيلَتِي الَّتِي تُتَوَكَّلُ ۖ^(٧) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ^(٨)

(١) سورة الحاقة آية ١٣-١٧ .

(٢) سورة الانفطار آية ١-٥ .

(٣) سورة الانشقاق آية ١-٥ .

(٤) سورة الواقعة ، آية ٤-٧ .

(٥) سورة المعارج آية ٨-١٤ .

واشارة الى المشهد الرابع ، فانه يشتمل على بعض من الحوار الذي سيدور بين اصحاب الجنة واصحاب النار بعد ان عرف كل طرف موثله الآخر في العالم الآخر . وسوف نعرض اولا بعض الكلام الموجه من اصحاب الجنة الى اصحاب النار .

قال تعالى :

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ جِئْنَاكُمْ وَعَدَّتْكُمْ فَمَا فَعَلْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا فَمَا ذُنُوبُنَا يُبَيِّنُ لَنَا لَمَنَّةُ أَلَهْوُصِلُ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَصْدُونِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُونَ آيَاتَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَذِبُونَ ﴿١٢﴾^(١)

اما بالنسبة الى النداء الموجه من اهل النار الى اهل الجنة فيبدو ذلك ظاهرا في قوله تعالى :

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مِمَّا عَلَ الْكَافِرِينَ ﴿١٣﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَٰعِبًا وَعَزَّوْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا قَالِیَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسَوُا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٤﴾^(٢)

والمشهد الخامس يعرض بعضا من سمات الذين ربحت تجارتهم في الحياة الدنيا واناابوا واستقاموا على الحق الذي جاء به الانبياء من عند ربهم . فتجد الوجوه المستبشرة ، والضاحكة ، والناظرة الى ربها ، والناعمة ، والمطمئنة الى لقاء الله سبحانه وتعالى . وفي المقابل نجد الذين خسرت تجارتهم في الحياة الدنيا لا يثارهم الهوى وما تنوق اليه النفس البشرية على النور السماوي

(١) سورة الاعراف ، آية ٤٤-٤٥ .

(٢) سورة الاعراف آية ٥٠-٥١ .

المبين وتوجيهاته الغراء ونهجه القويم . فوجه هؤلاء القوم في اليوم الآخر تكون كالحة ، وباسرة ، وناصبة وذليلة ، وترهقها فترة خوفا من لقاء الرحمن الرحيم . ومن الذي يخشى لقاء الرحمن سوى الانسان الظلوم الجهول ، المكابر ، الذي يقبل كل شيء ويقبل عليه سوى الحق والحقيقة . وسنعرض بعضا من الآيات الكريمة التي تصف كلا الطرفين .

قال تعالى :

وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَلْفُفُونَ لَهَا بِأَعْيُنِكُمْ ﴿٢٥﴾ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفَجَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ^(١)

قال تعالى

وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٢٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٢٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٣٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٣١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَّاءُ الْفَجَّرُونَ ﴿٣٢﴾ ^(٢)

قال تعالى

وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَنْشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُشْفَىٰ مِنْ عَيْنٍ حَازِقَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ زُرِّيعٍ ﴿٦﴾ لَا يَتَسَوَّىٰ وَلَا يَفْنَىٰ مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَمِيحٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ ^(٣)

والشهود السادس والأخير يبين ما يؤول اليه مصير كلا الطرفين في عالم الخلود (العالم الآخر) . فالطرف الذي اناب واستقام على النهج الالهي ، اولئك هم حزب الله الذين أزلت لهم الجنة بكل ما تحتوي عليه من نعم متعددة . والطرف الثاني ، الذي ادبر واستكبر عن آيات الله ونهجه القويم ، فهم حزب الشيطان الذين سوف يساقون اليها وردا حيث العذاب المهين بكافة انواعه المتعددة .

(١) سورة القيامة آية ٢٢-٢٥

(٢) سورة عبس آية ٣٨-٤٢

(٣) سورة الغاشية آية ٢-١٠

قال تعالى :

فَأَمَّا مَنْ أَوْفَتْ كُنْهُهُ سَعِيرٌ يَقُولُ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْقُرَىٰ ۖ وَالْكَتِيبَةِ ۚ إِنَّ عَذَابَ آلِ مِثْلٍ
حَسَابَةٍ ۚ هُمْ فِي عِشْرَةٍ رَّاغِبِينَ ۚ فِي جَهَنَّمَ عَالِيَةً ۚ فَلَوْ هُمْ دَانِيَةٌ ۚ
كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ ۚ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَتْ كُنْهُهُ يُشَاقِقُ وَيَاسِفُ
يَلْتَنِي لَأُوتِيَ كِتَابِيَةً ۚ وَلَوْ أَدْرِمَ حَسَابِيَةً ۚ يَلْتَنِي كَأَنِّي الْفَاضِيَةُ ۚ مَا أَهْوَى
عَنِّي مَالِي ۚ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۚ خَذُوهُ فَتُلَوْهُ ۚ قُلْ لِّلْجَنَّةِ صَلَواتُ ۚ تَرَىٰ فِي سُلَيْسَةٍ
دَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۚ وَلَا يَحْضُرُونَ مَلَأَ طَعَامِ
الْيَسْكِينِ ۚ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ۚ وَلَا طَعَامُ إِلَّا مِنْ غَسِيلَيْنِ ۚ لَا يَأْكُلُوهَ إِلَّا
الْحَقْلَ طَوْنٌ ۚ ۞

قال تعالى

۞ وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ ۞ أُولَٰئِكَ الْمَقْرُونُونَ ۞ فِي جَهَنَّمَ النَّعِيمِ
۞ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۞ وَقِيلَ مِنَ الْآخِرِينَ ۞ عَلَىٰ سُرُورٍ مَّوْضُوعَةٌ ۞ مُّشْرَكِينَ عَلَيْهِمَا
مُنْقَلِبِينَ ۞ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّغْلَدُونَ ۞ بَاكِرًا وَآبَارِيقًا ۞ وَكَأَمِينَ مِنْ مَّعِينٍ ۞
لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَرُونَ ۞ وَفَكَهَفُوا حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ نَارًا لِّلنَّارِ ۞ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَاقِبُ
وَحُورٌ عِينٌ ۞ كَأَمْثَلِ الذُّلُولِ الْمَكُونِ ۞ جَزَلَهُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا تَأْتِيهِمْ إِلَّا قِيْلًا سَلَامًا سَلَامًا ۞ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ۞ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۞ فِي سِدْرٍ
مَّخْضُودٍ ۞ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۞ وَظِلٍّ مُّتَدَدٍ ۞ وَمَأْوَا مَسْكُوبٍ ۞ وَفَكَهَفُوا كَثِيرًا ۞
لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۞ وَفُتُحٌ مُّرْقُوعَةٌ ۞ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنسًا ۞ فَعَلَيْنَهُنَّ أَبْكَارًا
۞ عُرُبًا أَتْرَابًا ۞ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۞ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۞ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۞

١٥ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ١٦ فِي سَمُومٍ وَجَمِيمٍ ١٧ وَغُلِيٍّ مِنْ يَمُومٍ ١٨
 لَا بَارِدَ وَلَا كَرِيمٍ ١٩ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٢٠ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ٢١
 ٢٢ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَلَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ٢٣ أَوَآبَاءُنَا
 الْأَوَّلُونَ ٢٤ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٢٥ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ٢٦
 ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الضَّالُّونَ الْمُكْذِبُونَ ٢٧ لَأَكُونَنَّ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفَرٍ ٢٨ قُلُوبُنْ مِنْهَا أَلْبُيُونَ ٢٩
 فَتَشْرَبُونَ حَلِيمٍ ٣٠ فَتَشْرَبُونَ شَرْبَ الْحَمِيمِ ٣١ هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ٣٢

و خلاصة القول في هذا الموضوع ان هناك اختلافا شاسعا بين قول الحق سبحانه وتعالى وما ادعاه الفلاسفة حول هذا الموضوع . فشان ، شان ما بين قول الخالق لكل شيء وقول المخلوق الذي اراد أن يرجم الغيب ويتحدث بـممكناته . اما بالنسبة الى المشاهد الستة وما احتوت عليها من آيات كريمة فهي تمثل بعض ما ينطوي عليه الفكر الاسلامي ، وقد اكتفينا بابرار هذه المشاهد بما احتوت من آيات كريمة كادلة ساطعة على بطلان ما دعى اليه الفلاسفة وتوضيح قسم من الحقائق المتصلة بطبيعة الكون ، التي قد اضلها الفلاسفة . وللقارىء العزيز ان يقارن بين كلام الله سبحانه وتعالى وما جاء به الفلاسفة على اختلاف جنسهم ونهجهم الفلسفي ، أملين للقارىء الكريم التوفيق والنجاح في الوصول الى الحق والحقيقة .

الفصل الثالث عشر

الإنسان والخلود

- مقدمة

- المفهوم الفلسفي للروح والخلود

- انكار الخلود

- خلود الروح

- الروحية الحديثة

- المفهوم الإسلامي للروح

- الروح الطيبة

- الروح الخبيثة

- البرزخ

- مدة البرزخ

- مكان البرزخ

- العذاب والتعيم في البرزخ

- سبل الاتصال بين الاحياء والاموات

- كينونة الانسان في البرزخ

- البعث

- المفهوم الانساني للبعث

- المفهوم الإسلامي للبعث

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَلَا تَنْتَهِى عَنْهُمْ مَلَائِكَتُنَا يَنْتَهِى مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَنِي آدَمَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ ثُمَّ يَسْتَكْثِرُ ثُمَّ يَجْعَلُ لَكُمْ فِيهِ الْفَقِيمَةَ لَا رَبَّ يَدُّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

سورة الجاثية (٢٤ - ٢٦)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَا نَسْلَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبَيِّنَ لَكُمْ وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَيْكُمْ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ أَمْ يَتَّبِعُكُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ وَمِنْ خَلْفَكُمْ مَن يَنْوِفُ وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ إِلَى الْآزِلِ الْغُصْرِ لِيَكِيلَ يَعْلَمُ مِمَّا بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا وَنَرَى الْآرْضَ هَامِدَةً فَلَمَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَلْبَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٨﴾

سورة الحج (٥ - ٧)

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُتَكِبِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سورة الحجر (١١ - ١٥)

وَلَوْ رَدُّوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ لَفَعَلُوا آيَاتِنَا نَارِدُونَ ﴿١٦﴾ وَلَا تَكْذِبْ بِآيَاتِنَا وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ يَدَّاهُم مَّا كَانُوا يَمْحَقُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا وَإِلْمَانُهُوَاعْنَةُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿١٩﴾

سورة الانعام (٢٧ - ٢٩)

الإنسان والخلود

على الرغم من أن الله سبحانه وتعالى بعث نوره المبين الى الانسان منذ ولادة تاريخه ، والحقائق الجمة الشاملة التي ينطق بها النور السماوي السامق ، وما ينطوي عليه من نسايم الهدى والرحمة وشآبيب البركات للانسان في كلا الدارين ، إلا أن الانسان بما وشج عليه من طبائع وغرائز ادبر واستكبر عن هذا النور المبين بعد أن كذب وانكر ، فقد ذهب الانسان ليجث عن الامور والحقائق التي تناسب اهوائه الذاتية منكراً وملحداً بكل حقيقة لا تتفق مع هواه الانساني وقد اخبرنا الله سبحانه وتعالى في أكثر من موقع في كتابه المكنون ان الانسان كفار للحق وللحقيقة نذكر منها هنا للتدليل فقط الآيات التالية :

قال تعالى

قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ ^(١)

قال تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ

شُكْرًا ^(٢)

(١) سورة عبس آية ١٧ .

(٢) سورة الكهف آية ٥٤ .

قال تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ كُفْرُهُمْ وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا كُفُورًا^(١)

فالحقيقة البارزة ان الانسان عندما انكر الحقائق التي يفوح بها النور المبين وقاوم رسل الله سبحانه وتعالى بشتى الطرق والاساليب التي عرفت لديه، ليس لان هذا النور المبين يعوزه الحجب والبراهين القاطعة الدالة على مصداقته، والآيات المبينة حقيقته ولكن الانسان يريد أن يتحرر من الضوابط الخلقية والاجتماعية والسلوكية والشهوية التي يقررها هذا النور على اتباعه من الانس.

لذلك ذهب الانسان يبحث عن الامور الاساسية التي تتعلق بحقيقة وجوده بعد ان اعرض عن النور المبين. ومن أبرز القضايا التي واجهت الانسان منذ فجر تاريخه؛ مشكلة الموت، لما لهذه المشكلة من آثار عظيمة على بقية اسرار الوجود الانساني، فقد حاول الانسان في حقبة من تاريخه ان يجد حلاً لهذه المشكلة العاتية ولكن كان مصير كافة المحاولات الفشل الذريع، وسبقى هذه المشكلة من الآيات الكبرى الدالة على صدق النور السماوي المنير.

قال تعالى

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحْيِيٍّ^(٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لِقَلْبٍ أَوْ أَلْفَى السَّمْعِ وَهُوَ شَهِيدٌ^(٣)

(١) سورة الاسراء آية ٨٩

(٢) سورة ق آية ٣٦-٣٧

وبعد أن فشل الانسان في التحلل والهروب من الموت، انقسم الفكر الانساني حول مشكلة الموت الى قسمين. فالقسم الأول عد الموت محطة اخيرة للانسان ولا يوجد بعدها شيء، وانها الفناء الحتمي للانسان. والذين ذهبوا الى هذا القول الفلاسفة الطبيعيون، والوجوديون، والنفعيون، والشيعة، وكفار العرب. وسوف نعرض بعضاً من النماذج البشرية في مخاطبتهم رسل الله سبحانه وتعالى واستبعادهم وانكارهم كل شيء ممكن ان يحدث للانسان بعد الموت، ولنرى كيف واجه الحق هذه الاقاويل الضالة بالحجج والبراهين الدامغة.

قال تعالى

أَيَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٦٦﴾ هَيَّاتْ هَيَّاتْ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٦٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنتُ بِنِيعَتِكَ ﴿٧٠﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِيَيْنِ ﴿٧١﴾ فَخَذَّهْمُ الْأَصْحَابَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُثْقًا فَبَعَدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٧٣﴾

قال تعالى

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَأْتِىَنَا لِنَبْعَثُوهُمْ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَأَبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِهِ مَلَكُوتٌ كُلٌّ مُشْرِكٌ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ قَوْلٌ فَآئِنَّا تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَنْشَأْنَاهُم بِالْحَقِّ وَلَئِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

قال تعالى

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّا نُنزِّلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَشَكَّى مَا كَانُوا يَحُجَّتْهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا انشَوْنَا وَأَنْتُمْ بِآيَاتِنَا أَنْ كَذَّبْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥﴾ قُلْ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُمَسِّكُكُمْ ثُمَّ يَجْعَلُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ لَذَّةً فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾

قال تعالى

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِنَّمَا مِتَّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿١٧﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَوْلَاكَ شَيْئًا ﴿١٨﴾ فَوَرَّيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿١٩﴾

قال تعالى

بَلْ يَجْعَلُونَ آيَاتِنَا هُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢٠﴾ لَهُ دَامِنَاتٌ وَكَافِرَاتٌ ذَلِكَ رَجْعٌ مَعِيدٌ ﴿٢١﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴿٢٢﴾

قال تعالى

وَكَاذِبُوا قَوْلُكَ أَيُّهَا امْنُوا وَكُفَّارُكُمَا وَعِظْمَا أَوْ تَالْتَبِعُونُ ﴿٢٣﴾ أَوْءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنِّي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٢٥﴾ لَتَجْعَلُنَّوْنِي إِلَى يَمِينِي يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ لَأَكُونُ أَنْتَ الْعَصَاوُنُ الْمَكِيدُونَ ﴿٢٧﴾ لَأَكُونُ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفُورٍ ﴿٢٨﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ إِلَّا أَنْ نَرَى الْبَرْقَانَ فَتُخْرِجُنَا مِنْهُ لَنَلْعَبِ بِهِنَّ فَفُتِرُوا شَرِبَ الْهَيْمِ ﴿٢٩﴾ هَذَا نَزَّلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٣٠﴾

(١) سورة الجاثية آية ٢٤-٢٦

(٢) سورة مريم آية ٦٦-٦٨

(٣) سورة ق آية ٢-٤

(٤) سورة الواقعة آية ٤٧-٥٦

قال تعالى

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ مِنْ كُنُفٍ فِي رَبِّهِ مِنَ الْبَعَثِ فَإِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ
ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّفَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّفَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّفُ الْأَرْحَامَ مَا
نَشَاءُ إِنَّ أَجَلَ إِجْلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نَحْنُ بِكُمْ طِفْلاً ثُمَّ أَبْتَلِئُمْ بِلَعْنَةِ آسَدِكُمْ وَمِنْكُمْ
مَنْ يُوَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَنْ يُضِلُّ إِنْ أَزْدَلِ الْعُمْرُ لِئَكِّيَلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً
وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ فَاهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْثَنَتْ مِنْ كُلِّ
زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ
السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾

قال تعالى

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْآلْتَبْعُونَنَا خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١١﴾ قُلْ كُنُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا
﴿٥﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُ صُدُّوا عَنْهُمْ فَسَقَوْهُ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ فطَرَكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ فَسَيَفْضَحُونَ إِلَيْكُمْ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قَوْلُ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿١٢﴾

قال تعالى

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ
الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنْ
السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سَكِرَاتُ أُنْحَارٍ لَنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مُسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

قال تعالى

لَوْ تَوَفَّتْهُمُ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا إِنَّا نُرَدُّ وَلَا نَكُذِّبُ جَاءَتْ رَبَّنَا وَكُنَّا مِنْ الْأَكْفَانِ ﴿١٧﴾
بَلْ بَدَأْتُمْ مَا كَانُوا يَخْفَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَتَوَرَّدُوا الْغَادِياتِ لِمَانِئِهِ وَاعْتَهُ وَأَنَّهُمْ لَكَادِبُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا
إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿١٩﴾

(١) سورة الحج آية ٥-٧

(٢) سورة الاسراء آية ٤٩-٥١

(٣) سورة الحجر آية ١١-١٥

(٤) سورة الانعام آية ٢٧-٢٩

إن الحق سبحانه وتعالى اجاب هؤلاء الذين انكروا الحياة بعد الموت والغيب وما يتصل به من حقائق بعدة اساليب مختلفة ومتنوعة ليعقل هؤلاء المنكرون كل حسب طاقاته العقلية ومقدار الحادة بالامور الغيبية ، انه سبحانه وتعالى ذكرهم ونبههم الى مصير الانسان قبل ان يُخلق انه لم يكن شيئاً مذكوراً ، سواء اكان هذا الوجود جسماني أو روحاني ، وبالرغم من هذا العدم فإنه خلق الانسان بمراحل الخلق المختلفة من تراب ، وماء مهين مروراً بالمضغة والعلقة حتى يُرد قسم منهم الى ارض العمرى . وهذه كلها دلائل ناصعة على ان الخلق بعد الموت اسهل من الخلق من العدم . هذا بجانب ان الحق سبحانه وتعالى ذكرهم بأن كل ما يفقد من الاجساد داخل الأرض موجود في كتاب حفيظ لكل هذه المتغيرات وما يُفنى منها أو يتحلل . زيادة على هذا فان الله سبحانه وتعالى ضرب لهم مثلاً الارض الهامدة وكيفية احياء النباتات فيها عن طريق نزول الماء نموذجاً حياً لقدرة الله سبحانه وتعالى على احياء الاشياء الهامدة والتي لا تملك مقومات الحياة أو البعث في نظر الانسان . أضف الى هذه الآيات انزال العقوبة على أحد الأقوام المنكرة للبعث كدليل جازم على عدم صدقهم وبعدهم عن الحقيقة .

وقد تحدى الحق سبحانه وتعالى هؤلاء المنكرين للبعث ان يكونوا كما يريدون من الاشياء التي يصعب بعثها من وجهة نظرهم ، ولكنهم سوف يبعثون بقدرة الخالق سبحانه وتعالى . كما اخبرنا الحق عن حقيقة هؤلاء المنكرين للحق والحقيقة انهم لو فتح لهم باب من السماء ليشاهدوا عين اليقين كل أو بعض مكونات الغيب واسراره لما آمنوا بالغيب وما يتصل به من حقائق . كما انهم لو شاهدوا بأعينهم مصيرهم في جهنم وتم اعادتهم للحياة الاولى بناء على امنياتهم ليؤمنوا بالغيب وما يتصل به من حقائق ، لما آمنوا بل يعودون ثانية ليقولوا ؛ إن هي إلا حياتنا الاولى .

أما القسم الآخر من الفكر الانساني فيحتوي على ما ذهب اليه فيثاغورس ، وسقراط ، وافلاطون ، وارسطو ، وفلاسفة الشرق ، حيث اعتقدوا جميعهم بأن

الموت يعد نهاية حتمية للجسد الانساني فقط، اما الروح فانها لا تتحلل، ولا تفسد، ولا تموت، بل انها تعيش خالدة دون ان تمثل للحساب أو العقاب، لان صفة الخلود من طبيعة هذه الروح.

ومما يؤسف له كثيراً ان فلاسفة الشرق الذين ترعرعوا في ديار إسلامية اعتقدوا بما جاء به فلاسفة اليونان حول هذا الموضوع. يقول الألوسي: «اما فلاسفة الإسلام فقد ذهبوا الى رأي مخالف لجمهور المسلمين، فقد قرروا أن الاعادة روحية فقط وليست مادية، وهذا راجع الى انهم ميزوا بين النفس والبدن، أو بين الروح والجسم، على اساس ان الروح هي الجوهر والبدن هو العرض اللاحق له. ونحن نعلم ان الاعراض تزول اما الجوهر فلا. اذن المعاد هنا ليس إلا عودة الجوهر الروحي. أما البدن أو ان شئت مجموعة الاعراض، فلن تعاد لانها تحللت وفسدت، ولا يمكن اعادة ما قد تحلل وفسد»^(١).

إن هذا الاعتقاد الخطير الذي يخالف ما يربو على ستة وثلاثين مشهداً اقل مشهد فيها يحتوي على آية كريمة، جميعها تتحدث عن البعث الروحي والجسدي معاً، وليس هذا بالأمر العجيب طالما عرفنا ان المثل الاعلى عند كل من الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد هم فلاسفة اليونان.

«إن المثل الاعلى عند الكندي هو سقراط شهيد الوثنية في اثنه، وقد ألف كتباً كثيرة حول سقراط وحول محنته وآرائه، وهو يحاول التوفيق بينه وبين ارسطو على طريقة أهل المذهب الافلاطوني الجديد... والكندي اول من أخذ بمذهب أرسطو وحذا حلوه في تأليفه... ويعزز هذا ما يقوله الكندي من ان العالم غير متناهٍ بالقوة ولا بالفعل، وان الحركة لا نهاية لها»^(٢).

«يرى الفارابي أن افلاطون وأرسطو انما يختلفان في المنهج، وفي العبارة اللغوية، وفي السيرة العملية لكل منهما؛ أما مذهبهما الفلسفي فواحد. وهما

(١) الفلسفة الاسلامية في المشرق ص ٣٤٣

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ١٨٩

عند الفارابي إمامان للفلسفة. ولما كان الفارابي يرى ان كلا من افلاطون وأرسطو مفكر مبتكر مستقل كان اجتماعهما على رأي اوثق، في نظره من حقيقة الامة الإسلامية جمعاء، اذ تقلد إماماً واحداً وتنقاد له انقياداً اعمى^(١).

اما ابن رشد الذي كان يقوم بتأويل الآيات القرآنية لتتفق مع ارسطو واراؤه كان يرى ان أرسطو هو الانسان الأكمل والمفكر الاعظم الذي وصل للحق الذي لا يتنابه الباطل .

وقد عاش ابن رشد معتقداً ان مذهب ارسطو، اذا فهم على حقيقته، لم يتعارض مع أسمى معرفة يستطيع ان يبلغها إنسان؛ بل كان يرى ان الانسانية في مجرى تطورها الأزلي، بلغت في شخص أرسطو درجة يستحيل انه يسمو عليها أحداً^(٢).

وقد هبت نسائم هذا الفكر الانساني حديثاً تحت عنوان الروحية الحديثة حيث ادعت ان العالم الروحي لم يُعدّ محجوباً عن الانسان، اذ بإمكان الانسان ان يعرف الكثير عن طريق المشاهدة والاتصال بالارواح بعد أن كشفت الابحاث والتجارب الروحية على ايدي كبار العلماء عن طبيعة وأسرار وخفايا هذا العالم الروحي (الاثري).

وقد ذهب دعاة الروحية الحديثة برجم الغيب دون هواة فقد تحدثوا عن طبيعة وأساليب الحياة، وشخصية الانسان، وانظمة الحكم، وأسس الحياة الاجتماعية، والثواب، والعقاب، وحيز ووزن الروح، وأساليب التسلية، ونوعية الالعب الرياضية في العالم الروحي .

وهي دعاة الروحية الحديثة أن للانسان جسدين، احدهما هو الجسد المادي الذي يقنى بالموت ويتحلل إلى تراب، وثانيهما هو الجسد الاثري

(١) المصدر السابق ص ٢٠٠-٢٠١

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٥-٣٨٦

الذي يتنقل بالموت الى عالم اثيري جديد يختلف تماماً عن العالم الدنيوي الذي نحياه . ويسمون هذا العالم الاثيري الجديد «عالم الروح» حيث تستمر فيه الحياة الروحية ، وتلقى فيه الروح ثوابها وعقابها^(١) .

ويرى جيمس فندلاي وهو من دعاة الروحية الحديثة : -

«إننا نحن في هذه الدنيا الآن ، أرواح تغلفنا اجسام فيزيقية ، وأن الموت ما هو إلا انفصال الجسم الاثيري أو الروحي عن الغطاء الفيزيقي . والجسم الاثيري هو الجسم الحقيقي الباقي ، وهو في شكله نسخة طبق الأصل من مقابله الفيزيقي . وعلى هذا الاعتبار يسهل علينا ان نفهم كيف انه بتوافر شروط خاصة لا نعرفها يستطيع هذا الجسم ان يغلف نفسه بمادة فيزيقية ، ثم يعمل تحت رقابة العمل كما تعمل نحن أنفسنا»^(٢) .

ومثل ما لهذا التوجه من انصار ، فإن له معارضين اماطوا اللثام عن حقيقة هذا التيار ، واظهروا للعيان جميع نقاط الضعف والتخطي التي يعج بها هذا التوجه .

«والواقع ان صانعي الروحية الحديثة ومروجيها لهم منطق خلاب جذاب في تدعيم دعاواهم ولقت الانظار اليها وجمع الانصار والاصدقاء حولها ، فهم يدعمون دعاواهم بنصوص مما جاء في الكتب السماوية من المتشابه الذي يجازفون بتأويله حسب اهوائهم ، ومن الواضح الصريح الدلالة الذي يحرفونه عن مواضعه بعد ان يبتروه من سياقه ويقطعوه عن مناسبه ويخرجوا الفاظه عن مدلولها جاهلين او مدلسين . وهم يدعمون هذه الدعاوى أيضاً بنصوص من المسأثور في التاريخ عن السابقين الأولين من المجاهدين ، والحواريين والصالحين بعد أن يخضعوه لمفاهيمهم ويقسوه الى اشباه له مما ينسبونه لوسطائهم ، مما جرت نظائره ولا تزال تجري على ايدي المشتغلين بالشعوذة

(١) الانسان روح لا جسد ، د. رؤوف هبيد ، دالر الفكر العربي - القاهرة - ١٩٧١ - ص ٤٩

Findlay A. James. On the Edge of the Etheric London. 1954. pp. 22

(٢)

والطلاسم ولهم براءة فائقة في تدعيم ذلك كله بالعلم التجريبي الحديث وربطه بقواعده واصوله، والاستعانة على ذلك بأجهزة والآات تضفي على اوكارهم ثوب الجد والوقار الذي ينبغي للبحث العلمي المنزه عن الاغراض والمحاط بالضمانات التي تدفع شبهة الغش والخداع. لذلك لم يكن عجباً ان تجتذب دعاواهم كثيراً من الاسماء الضخمة الرنانة في الشرق وفي الغرب . . . فهي شعبة من الدعوات المريبة التي تأخذ الناس من كل جانب، والتي تلبس مختلف الاثواب وتخفي حقيقتها تحت مختلف الاسماء، محاولة بذلك أن تعطي كل الميادين وتتغلغل الى كل الاتجاهات وتقف للناس في كل سبيل. فهي تارة تتحلل اسم العلم، وهي في تارات اخرى تتحلل الثالث الماسوني المشهور والحرية والاخاء والمساواة أو السلام، أو الرحمة، أو الانسانية، أو محاربة الالحاد والمادية، وهي أبعد شيء حقيقة وهدفاً عن كل ما تستر تحته من اسماء وأغراض. . . أما البيئة الكبرى التي يطنطن بها الروحانيون وهي تصوير الاشباح بالآلة تصوير تلتقط صورهم في الاشعة تحت الحمراء، فمن المهم ان يعرف القارئ أن الذين يلتقطون هذه الصور المزعومة اشخاص معينون ممن يسمونهم «وسطاء» فهم وحدهم الذين يقومون بالتقاط الصور، وليس مسموحاً لغيرهم بأن يقوم بهذا العمل. وكل ما يسمح به للزائر المتشدد هو ان يشتري اللوح الحساسة ويضعها في آلة التصوير. اما آلة التصوير نفسها، وأما الذي يلتقط الصورة فلا سلطان له عليها ولا رقابة. على ان صور الاشباح الملتقطة والمزعوم أنها ارواح كلها صور غاتمة. والروح يظهر فيها مغلفاً بثوب شفاف ابيض كثيف نوعاً ما بحيث يحجب قسمت الوجه واكثر تفاصيل الجسد. وليس بين الصور الملتقطة صورة واحدة يبدو فيها الوجه سافراً تماماً. فهو غائم بحيث يشعر الاستدلال على صاحبه أو اقامة الحجة على مطابقة الصورة الملتقطة لبعض الوسطاء أو الاشخاص. . . إن المس الروحي الذي اشبعه الروحانيون حديثاً وهو استحواذ روح شريرة مشاغبة لميت على احد الافراد. واصابته بأمراض مؤذية ودفعه الى ارتكاب الجرائم وتعاطي المخدرات والمسكرات يدل على العجب في ان تظل هذه الأرواح الضالة الشريرة في قلقها واضطرابها حتى تنبها دائرة

روحية في الحياة الدنيا! ليس الأولى بهذه المهمة سكان عالم الروح نفسه الذين يتولون قيادة هذه الدوائر الروحية، والذي يعالجون ساكني الأرض في حياتهم الدنيا ويرشدونهم؟

هل يعقل عاقل هذا الخلط الذي لا مبرر له؟ أرواح الموتى ترشد الأحياء، بينما الأحياء يرشدون أرواح الموتى!... فجاء هؤلاء الروحيون يزعمون أنهم يعالجون مرضى النفوس من الاموات أيضاً. ليست هذه المزاعم اشد فتكاً بالعقول وافساداً للمجتمع من تدخين الحشيش والافيون^(١).

وجدير بالذكر ان الروحية الحديثة ظهرت للوجود سنة ١٨٤٨ في احد قرى ولاية نيويورك. ومن اشهر من ساهم في نشر هذا الفكر الروحي الحديث «جون ادموندز» الرئيس السابق للمحكمة الامريكية العليا في ولاية نيويورك، وعالما الكيمياء «جيمس مايس» و«روبرت هير» عن طريق نشر المؤلفات والدراسات والابحاث حول الروحية.

والشيء العجيب ان دعاة الروحية ذهبوا في ابحاثهم وتخييلاتهم في البحث عن حقيقة الروح وهي في العالم الأثيري كما يدعون بالرغم من أنه من الأهم والأعم فائدة ان يبحثوا في حقيقة الروح وهي مرتبطة بالجسد المادي. ولكن تشابه الاهداف بينهم وبين الفلاسفة القدماء جعلهم يلتصقون في نفس الاسلوب. فقد ذهب الفلاسفة القدماء الى رجم الغيب العلوي بلا هوادة، تاركين وراءهم كل ما يتصل بغيب الحاضر والمستقبل للعالم السفلي.

ان التحدي الصريح للذين لم يؤمنوا بالهدى السماوي المنير وما ينطوي عليه من حقائق تتصل بالعالم الآخر، ان يحاولوا كل ما في وسعهم مستعينين بكل ما يتوفر لهم من اسباب المساعدة من ان يمنوا انتقال الروح والامثال لأوامر بارئها، فاذا تحقق لهم ذلك، فلا بد من التسليم لهم بما يدعون. اما اذا

(١) الروحية - دعوة هدامه، د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٣-٥٣

فشلوا في تحقيق هذا الامر، فلا بد لهم ان يسلموا معنا للهدى السماوي المنير. وفي حالة تسليمهم للحق فلا يجوز لهم ان يرجعوا الغيب مهما كانت المبررات، لان الحق سبحانه وتعالى اختص بعلم الغيب لذاته، ولا يطلع عليه احداً الا من ارتضى من رسول ليكون بمثابة النذير والبشير للانسان.

قال تعالى

عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٥﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَخْلُوفُ رِصْدًا ﴿٦٦﴾ (١)

والذين لا يؤمنون بالغيب ومالكة عليهم ان يمنعوا خروج الروح من الجسد، وهذا العمل اسهل بكثير من احضار الروح بعد خروجها من الجسد، لاننا نعلم على الاقل ان الروح داخل هذا الجسد، فاجبار الروح على البقاء فيه اسهل بكثير من البحث عن الروح في كل مكان بهدف احضارها والتحدث معها. ولماذا لا يكون التحدث مع الروح وهي داخل الجسد بهدف التعرف من خلالها على موعد انطلاقها النهائي من الجسد المادي، والى اين ستذهب؟ وماذا ستواجه؟. ولكن يبدو جلياً ان الدافع الذي كان وراء الفلاسفة القدماء في رجوعهم للغيب، هو نفس الدافع الذي دفع دعاة الروحية الحديثة في ما ذهبوا اليه من ترهات وأقاويل باطلة.

أما الديانة الهندية فقد احتوت على ما اشتمل عليه الفكر الانساني بشرطه، حيث اعتبرت ان الموت نهاية كل صابر، وطُن نفسه على التحمل لتلك الآلام والمصاعب التي تفرزها الحياة. فالفناء الابدي والعدم النهائي والراحة التامة لاتباع بوذا الذين تحملوا المصاعب والآلام، فالموت يعد الجزاء الاوفى في ضوء تعاليم هذه الديانة. اما اولئك الذين ابتعدوا عن الطريق القويم فلمهم الرجعة الملعونة، حيث تحل ارواحهم في اجساد حيوانات، وهذه عقيدة التناسخ.

المفهوم الإسلامي للروح :

بعد ان عرضنا في الصفحات السابقة خلاصة ما جاء به الفكر الانساني عن الروح وما تؤول اليه بعد فراقها الجسد المادي في حالة الموت . لا بد من ان نعطف بنظرنا الى ما يفوح به النور السماوي المبين من معلومات صادقة دقيقة حول هذا الموضوع الهام .

ان المفهوم اللغوي للروح هو مبدأ الحياة الذي يقوى به الحيوان على الاحساس والحركة . ويمكن ان يشار الى الروح بصفة المذكر والمؤنث فنقول هذه الروح ، وهذا الروح .

فقد وردت كلمة الروح بمعانٍ متعددة في القرآن الكريم وذلك حسب سياق الآيات القرآنية الكريمة فالروح قد تعني جبريل عليه السلام حسب الآيات القرآنية التالية : -

قال تعالى

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٣٧﴾ بِلسَانٍ عَرُوفٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

قال تعالى

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠١﴾

قال تعالى

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾

(١) سورة الشعراء آية ١٩٣-١٩٥

(٢) سورة النحل آية ١٠٢

(٣) سورة البقرة آية ٩٧

وقد يعني الروح غير الملائكة لكنه يصاحبهم في الوحي والتبليغ . ويبدو ذلك في قوله تعالى :

نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿١﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ^(١)

وقد تعني الروح أيضاً ما نزل الى الانبياء عليهم السلام من عند ربهم . قال تعالى :

يُنَزِّلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ^(٢)

قال تعالى

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ^(٣)

قال تعالى

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا مِنْ أَمْرٍ نَأْمُرُكَ أَنْ تَكُونَ لِلدِّينِ مُنْظِرًا وَلَا لِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مِنَ نَشَاءِ مَنْ عَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ^(٤)

(١) سورة القدر آية ٤-٥

(٢) سورة النحل آية ٢

(٣) سورة البقرة آية ٨٧

(٤) سورة الشورى آية ٥٢

ومن معاني الروح التي تناولها القرآن الكريم ما أيد الله به حزيه من الانس .

قال تعالى .

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ
فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾

ومن معاني الروح التي يذكرها الحق في كتابه المنير الروح الإلهية وما يتفخ
منها في جسد الانسان لتلدب فيه الحياة إثر هذه النفخة الروحية الإلهية .

قال تعالى

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَنْسُوجٍ ﴿٢٨﴾
فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِمْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾

قال تعالى

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَيدَّخُلُوقِ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ
فَسَلَمٌ مِنْ مَسَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَمِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي وَجَعَلَ لَكُمُ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

(١) سورة المجادلة آية ٢٢

(٢) سورة الحجر آية ٢٨-٢٩

(٣) سورة السجدة آية ٧-٩

وبما أن الروح التي تسكن الجسد الانساني وتفارقه في حالتي النوم والموت هي موضوع دراستنا فلا بد من القاء بعض الضوء على حقيقة وماهية ، ونوعية هذه الروح ، والى اين سيؤول مصيرها بعد فراقها للجسد ، وهل هي خالدة ام فانية .

إن المعلومات التي ارادها الحق ان تكون واضحة جلية للانسان حول موضوع الروح تكاد تكون بسيطة جداً لأنها من أمره سبحانه وتعالى ، وقد جعلها من الامور الغيبية التي خص نفسه بمعرفتها . وقد جعلها سبحانه وتعالى من الآيات الدالة الكبرى على وجود وصدق ما جاء به رُسله من عنده سبحانه وتعالى . كما ان الحق تحدى جميع المنكرين والمستكبرين للحق ان يمنعوا خروج الروح كدليل ساطع على فشل انكارهم ، واستكبارهم ، ويظلمون حججهم ، ومحدودية عقولهم ، وضعف دعواهم ليعودوا الى طريق الحق والصواب ، ويتبعوا اوامر الله سبحانه وتعالى ويجتنبوا نواهيه .

فالروح التي تسكن جسم الانسان من وجهة نظر الإسلام نوعان ؛ فالنوع الأول : الروح الطيب التي تُفْتَحُ لها ابواب السماء بعد خروجها من الجسد فيصعد بها حتى السماء السابعة لترى مكانها في جنات النعيم ، ثم تعود الى الجسد في القبر . والنوع الثاني : الروح الخبيثة التي لا تُفْتَحُ لها ابواب السماء تعود الى الجسد داخل القبر .

قال تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ^(١)

روى الإمام احمد عن البراء بن عازب قال : «خرجنا مع رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتبهنا الى القبر ولما بلحد،
 فجلس رسول الله وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به
 في الأرض، فرفع رأسه فقال : - استمعوا بالله من عذاب القبر - مرتين او ثلاثاً
 - ثم قال : إن العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال الى الآخرة نزل
 إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم كفن من اكفان
 الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك
 الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول : ايها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة
 من الله ورضوان - قال : فتخرج نسيلاً كما يسيل القطر في السقا، فيأخذها فاذا
 اخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن،
 وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض،
 فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح
 الطيبة؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن اسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى
 ينتهوا به الى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح له، فيشيعه من كل سماء
 مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهي بها الى السماء السابعة، فيقول الله
 عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين، واعيدوه الى الأرض، فاني منها
 خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى، قال : فتعاد روحه فيأتيه ملكان
 فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول ربي الله، فيقولان له ما دينك؟ فيقول ديني
 الإسلام، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله صلى
 الله عليه وسلم، فيقولان له وما عملك؟ فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به
 وصدقت، فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي، فافرشوه من الجنة والبسوه
 من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها «طيها» ويفسح له قبره
 مد البصر، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول
 أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له من انت فوجهك الوجه
 يجيء بالخير! فيقول أنا عملك الصالح، فيقول رب أقم الساعة، رب اقم
 الساعة حتى ارجع إلى اهلي ومالي .

قال : وإن العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال الى الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق في جسده فيترعها كما يترع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فاذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأتان ربيع جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة ، فيقولان ، فلان بن فلان ، بأقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا ، فيستفتح فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجُ الْجَمَلُ فِي سَمِ الْخِيَاطِ» . فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طراحاً ثم قرأ «وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ» . فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسان ، فيقولان له ، من ربك ؟ فيقول هاه هاه لا ادري ، فيقولان ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا ادري ، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي ، فافرشوه من النار ، واقتحوا باباً الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، متن الريح ، فيقول ابشر بالذي يسؤوك ، هذا يومك الذي كنت تعد ، فيقول من انت فوجهك الوجه يجيء بالشر ، فيقول أنا عملك الخبيث ، فيقول رب لا تقم الساعة^(١) .

وقد سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح . فأوحى الحق سبحانه وتعالى الى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم الآية التالية :

قال تعالى

وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا^(١)

وإيماءةً الى الروح وما تؤول اليه بعد فراقها الجسد الانساني في حالة الموت، والى ما تؤول اليه في يوم البعث. فهذا ما سنذكره بالتفصيل في الصفحات القادمة تحت موضوعي البرزخ والبعث.

البرزخ:

في الوقت الذي لم تذكر فيه كلمة برزخ في قواميس الفلاسفة ورواد الفكر الانساني الذين رجعوا الغيب دون هواة، ومن تبعهم من البشر وبالذات دعاة الروحية الحديثة، حيث ظنوا أن طبيعة الأشياء في عالم الروح بلغة الفلاسفة والعالم الاثري بلسان دعاة الروحية الحديثة واحدة لا تختلف من مرحلة الى أخرى في هذا العالم الغيبي، فان الحق تبارك وتعالى اخبرنا عن كلمة البرزخ في ثلاثة مواضع في كتابه المكنون، هذا بجانب الآيات القرآنية الكريمة والسنة النبوية الطاهرة التي تخبرنا عن بعض الأمور التي تحدث في فترة البرزخ.

لقد ذكرت كلمة برزخ في سورة الرحمن وتعني في هذه الآية من سورة الرحمن والحاجز الذي يحول دون التقاء شيئين.

قال تعالى

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْقَاَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾

• وينفس المفهوم ذكرت ايضاً في سورة الفرقان.

(١) سورة الاسراء آية ٨٥.

(٢) سورة الرحمن آية ١٩-٢٠.

قال تعالى

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا

وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ۝١٩﴾ (١)

اما في سورة «المؤمنون» فقد ذكرت كلمة برزخ بمعنى الفترة التي تمتد منذ لحظة وفاة الفرد حتى يوم البعث.

قال تعالى

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝١٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا

رَزَقْتُ وَلَا إِنِّي كَلِمَةٌ هَوَاقِفٌ لَهَا مَوَازِينُ وَيَأْتِيهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٢٠﴾ (٢)

ونلاحظ ان المعنى واحد لكلمة برزخ في الثلاث آيات السابقة، حيث تدل جميعها على الحاجز الذي يحول دون التقاء شيئين. فكلمة برزخ التي تتصل بالعالم الغيبي تدل على الحاجز الذي يحول دون اتصال الحياة الدنيا بيوم البعث، وبالتحديد يحول دون الانتقال من الحياة الدنيا الى يوم البعث، كما ان العودة من البرزخ الى الحياة الدنيا محال، وقد تختلف مدة البرزخ من فرد لآخر حسب قرب أو بعد موعد رحيله من الحياة الدنيا بيوم البعث.

وقد جمع ابن القيم في كتابه «الروح» الشيء الكثير عن الأمور التي تتصل بالبرزخ وما يجري فيه من أحداث متعددة. ولكن صفة التعارض والازدواجية تبدو بارزة بين أغلب الآراء التي طرحت حول هذا الموضوع. فتارة يكون التعارض مع النصوص القرآنية، وتارة أخرى يكون مع السنة النبوية الشريفة.

لذلك فانتا في حديثنا عن هذا الموضوع الغيبي لا نريد أن نتعدى المفهوم الساطع للآيات القرآنية التي لها علاقة مباشرة وقوية بهذا الموضوع وكذلك بالنسبة الى السنة النبوية المطهرة. اصف الى ذلك انه لا يجوز لنا أن نرجم

(١) سورة الفرقان آية ٥٣

(٢) سورة المؤمنون آية ٩٩-١٠٠

الغيب أو تتخللق فيه كما فعل أشرار الانس ، لأننا نعلم علم اليقين بأن عالم الغيب هو الله سبحانه وتعالى ، وكل ما علم من الغيب فهو بإذنه جلت وتعالى قدرته وعن طريق رسله . فطالما ختم المدد الرسالي بالنبي الامي محمد صلى الله عليه وسلم . فان الوصول الى شيء من الغيب بعد انتقال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى يعد محالاً .

تبدأ فترة البرزخ منذ اللحظة التي يبرز فيها الموت للانسان
قال تعالى

حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾^(١)

وتنتهي هذه الفترة في اللحظة التي يُنفخ في الصور ثانية للمثول امام الحق سبحانه وتعالى .

قال تعالى

وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ نَّظُورٍ^(٢)

اما بالنسبة الى ما يحدث للانسان في هذه الفترة الغيبية التي تمثل جزءاً يسيراً من الغيب الذي خصص الحق نفسه بعلمه ، فقد علمنا من كتابه الحكيم ان البرزخ وما يجري فيه من احداث يقع في الارض وليس في مكان آخر ، خلا الفترة التي تُفتَحُ فيها ابواب السماء للارواح المؤمنة الخيرة لزيارة مكانها في الجنة . ودليلنا في ذلك قوله عز من قائل في الآيات التالية :

قال تعالى

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾^(٣)

(١) سورة المؤمنون آية ٩٩-١٠٠

(٢) سورة الزمر آية ٦٨

(٣) سورة طه آية ٥٥

قال تعالى

يَوْمَ نَخْرُجُ مِنْ الْأَجْدَاثِ مِرَاجًا كَانَتْهُمْ إِلَى نَسْفٍ مَوْفُقُونَ ^(١)

قال تعالى

وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِأَنَاءٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُسِيِّرُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ^(٢)

قال تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ^(٣)

هذا بالاضافة الى الاحاديث النبوية الشريفة التي تعزز هذا التوجه . نذكر
من هذه الاحاديث النبوية الطاهرة للتدليل وليس الحصر:

وعن البراء بن عازب . قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
جنازة رجل من الانصار، فانتهينا الى القبر، ولما يلحد، فجلسنا وجلس، كأن
على اكتافنا فلق الصخر، وعلى رؤوسنا الطير فارم قليلاً . والارمام السكوت .
فلما رفع رأسه قال : ان المؤمن إذا كان في قُبُلٍ من الآخرة ودُّبِرَ من الدنيا وحضره
ملك الموت نزلت عليه الملائكة . . . (٤)

وقد روي هذا الحديث من طرق أخرى منها عن طريق ابن عباس، وقتادة،
وابو هريرة . هذا بجانب العدد الهائل من الاحاديث النبوية التي تتحدث عن
عذاب القبر وما يجري فيه من نعيم للانسان المؤمن، وما يحدث فيه من جحيم
للانسان الضال .

(١) سورة المعارج آية ٤٣

(٢) سورة نوح آية ١٧-١٨

(٣) سورة الاحراف آية ٤٠

(٤) انظر تكملة الحديث في صفحة رقم ٢٥٣ - ٢٥٤ من هذا الكتاب .

وإشارة الى العذاب الذي يحدث في فترة البرزخ أو ما يدعى بعذاب القبر، فان الباري سبحانه وتعالى اخبرنا بكتابه العزيز عن هذا العذاب كما تحدثت السنة النبوية الشريفة بأسهاب عن هذا الموضوع .

قال تعالى

الَّذِينَ يَمُوتُونَ عَلَىٰ غُدُوٍّ وَعَشِيٍّ أَوَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٦٦﴾ ^(١)

ومن اراد ان يطلع على الاحاديث النبوية الشريفة التي تتعلق بعذاب القبر فعليه بالرجوع الى كتب الحديث .

فالبرزخ قد يكون روضة من رياض الجنة او حفرة من حفائر النار، وذلك يعود الى عمل الفرد والنهج الذي ارتضاه في دار الابتلاء . فالذي نهج في ضوه الهدى السماوي يكون من الفائزين ، والذي لم يستوسق مع هذا الهدى يكون من الاخسرين اعمالاً في البرزخ ويوم الحساب .

كما أن الأرواح تتلاقى مع بعضها البعض في البرزخ، والأرواح المؤمنة تستبشر بالذين لم يلحقوا بهم من المؤمنين .

قال تعالى

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَوِّقُونَ ﴿١٣٧﴾
فَرِحِينَ بِمَاءِ الْغَمِّ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . وَتَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا يَوْمَ مِّنْ خَلْفِهِمْ
أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣٨﴾ ^(٢)

(١) سورة خافر آية ٤٦

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٩-١٧٠

وإيماءة الى سبيل الاتصال بين الأموات والأحياء وكيفية حدوثه، واتجاه مساره، فهذا ما نراه جلياً في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث خاطب قتلى بدر من المشركين، وسنة اللقاء السلام على الموتى عند دخول المقابر، وسنة تلقين الميت.

«وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم، من وجوه متعددة، انه أمر يقتلى بدر فألقوا في قليب، ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم: يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فاني وجدت ما وعدني ربي حقاً، فقال له عمر: يا رسول الله ما تخاطب من اقوام قد جيفوا، فقال: والذي بعثني بالحق، ما انتم بأسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جواباً»^(١).

«وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، اذا سلموا على اهل القبور، ان يسلّموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين. وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل»^(٢).

«عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من رجل يزور قبر أخيه، ويجلس عنده إلا استأنس به، ورد عليه حتى يقوم»^(٣).

وعلى هذا النهج الساطع المبين سلك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه خاطب أهل القبور. «وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: وقد رجع من صقيين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة، يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة، والقبور

(١) الروح، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، صفحة ١٠

(٢) المصدر السابق ص ١٠ - روى هذا الحديث مسلم والنسائي، وابن ماجه، والامام أحمد في مسنده.

(٣) المصدر السابق ص ١١

المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة انتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق. اما الدور فقد سُبِكَت واما الازواج فقد نُكِحَتْ. واما الأموال فقد قُسمت. هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ثم التفت الى اصحابه فقال: أما لو أُذِنَ لهم في الكلام لأخبروكم ان خير الزاد التقوى^(١).

وفي ضوء ما تقدم نقول ان طريقة الاتصال بين الاحياء والاموات، تأخذ مسرباً واحداً، وهو من الاحياء الى الاموات فقط. ولا يمكن بأية حال من الاحوال أن يتصل الاموات بالاحياء ويخبروهم عن ما حجب عنهم استار الغيب. لأن الذي بيده مفاتيح الغيب، وخص علم الغيب لذاته، لم ولن يطلع احداً على هذا الغيب، إلا من ارتضى من رسول. فكيف يمكن ان تفر هذه الأرواح الممسوكة من يد عالم الغيب وتخبر الاحياء بما يحدث لها في البرزخ وهي تعمل في ملكوته وتحت جبروته؟

قال تعالى

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا فِيمَنْ ثَلَاثٌ
الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

فهذا يدحض كل ما جاء به دعاة الروحية الحديثة من تخرصات وظنون حول موضوع الاتصال بين الأموات والأحياء الذي ينم عن افتئاتهم على الحق والحقيقة.

اما بالنسبة الى كينونة الانسان في البرزخ انه سيكون روحاً وجسداً، ام روحاً فقط، فقد دار خلاف كبير بين علماء المسلمين كما اختلفت رواياتهم

(١) نهج البلاغة، الجزء الرابع، ص ٣١

(٢) سورة الزمر آية ٤٢

حول هذا الموضوع . وبعد الاطلاع على هذه الآراء المتفاوتة والحجج التي
ساقها كل طرف، فالتنا نعمل الى الاعتقاد ان الوجود في البرزخ روحي فقط -
والله اعلم - وذلك يعود الى الأسباب التالية :

أولاً -

ان الحق تبارك وتعالى عندما دحض اقوال منكري البعث والحساب
والعقاب في محكم آياته في أكثر من مشهد انه قادر على اعادة العظام والاجساد
واحيايتها ثانية بعد فنائها واندثارها في باطن الأرض .

قال تعالى

وَصَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُشِيءُ الْعِظَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ
يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ^(١)

قال تعالى

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفُنَا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٧٩﴾ قُلْ كُونُوا
حِجَارَةً أَوْ حِيدًا ﴿٨٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِهِمْ فَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ
الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَيَسْتَفِضُّونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ
يَكُونَ قَرِيبًا ^(٢)

يبدو بوضوح من الايات السابقة ان العليم الحكيم سبحانه وتعالى لم ينكر
على المنكرين للبعث قولهم بأنهم سيصبحون عظاماً وتراًياً داخل الأرض،
وانما دحض قولهم المتعلق بعدم امكانية الاعداء، حيث خاطبهم بأن اعاده
الخلق اسهل بكثير من بدايته، فكيف يصعب على من خلق في المرة الاولى
ان يعيد ما خلق؟ هذا بجانب انه تحداهم بأن يكونوا خلقاً اصعب من العظام
والتراب، أو خلقاً يصعب اعادته كالحجارة والحديد، أو خلقاً يعتقدون الاعداء
منه في عداد المحال . ولكن الله تبارك احسن الخالقين سوف يعيدهم خلقاً
جديداً كما فطرهم أول مرة .

(٢) سورة الاسراء آية ٤٩-٥١ .

(١) سورة يس آية ٧٨-٧٩

ثانياً -

ان الحق سبحانه وتعالى اجاب منكري البعث لي قولهم وعدم امكانية احادة الانسان بعد ان يفسدوا تراباً في باطن الأرض، ان جميع ما يفقده جسم الانسان داخل الأرض موجود في كتاب حفيظ . لذلك فان خلقهم من جديد يعد اسهل بكثير من الخلق الأول طالما ان مكونات الجسد الانساني التي فقدت داخل التراب محفوظة . وهذا يعد من ابرز الادلة القرآنية على تحلل الجسم الانساني داخل التراب .

قال تعالى

بَلْ يَجْعَلُونَ آتِئَةً لَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿١﴾ لَّوِ دَامَتْنَا
وَكُنَّا نَرَاكَ ذَا لِكَ رَجَعٌ بَعِيدٌ ﴿٢﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ

قال تعالى

أَفَمِثَالُ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

الثالث -

ان العليم الحكيم نعت هذه الفترة بكلمة برزخ وليس كلمة حياة، كالحياة الدنيا والحياة في الآخرة . واذا نظرنا الى الحياة الدنيا والحياة الآخرة لوجدنا ان الوجود الانساني فيها روح وجسد . ولو كان الوجود الانساني في البرزخ روحاً وجسداً لما وجد فرق جذري بين الوجود الانساني في البرزخ والوجود في كلا الدارين ، وبالذات في الدار الآخرة .

(١) سورة ق آية ٢-٤

(٢) سورة ق آية ١٥

رابعاً -

الدليل المادي الملموس، وهو وجود العظام البالية النخرة في حالة وجود الحفريات في الاماكن التي دفن فيها بشر.

خامساً -

ان هذا التوجه يتفق مع ما روي عن سلمان الفارسي وهو احد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البارزين في طريقة اسلامهم ومصداقية اعمالهم وسداد نهجهم.

«إن ارواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت فهذا مروي عن سلمان الفارسي، والبرزخ هو الحاجز بين شيئين، وكان سلمان اراد بها في أرض بين الدنيا والآخرة مرسله هناك تذهب حيث شاءت. فقد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هي في برزخ بينهما، فأرواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم، وأرواح الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب»^(١).

البحث:

يعد البحث من الأمور الهامة التي شغلت الانسان منذ ولادة تاريخه حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة في تشكيل عقائد، وأهداف، وطموحات الانسان في كلا الدارين. ويعد هذا الموضوع من الأمور الغيبية التي يعلمها الله سبحانه وتعالى فقط. وليس بإمكان الانسان ان يصل الى أية معلومة او شيء من علم حول هذا الموضوع الهام الا عن طريق ما اوحى الحق سبحانه وتعالى الى رسله من أجل إطلاع الانسان على جزء من هذا الغيب.

ولكن الانسان على مر التاريخ تعامل مع هذا الموضوع الهام بثلاث طرق:
فالطريقة الاولى تمثل وجهة نظر الانسان الذي لم يعتقد بالغيب بتاتاً وانكر

(١) الروح، ابن القيم، ص ١٤٨ - ١٤٩.

البعث، وهذا الذي ذهب اليه الطليعيون، والوجوديون، والبراجماتيون، والشيعة، وكفار العرب. اما النهج الثاني فيمثل وجهة نظر الفلاسفة الذين تحذلقوا في الأمور الغيبية وذهبوا الى الاعتقاد بأن البعث أو المعاد روعي فقط لاعتقادهم بأن الروح بسيطة، لا تفنى ولا تحلل كالجسد الذي يعد اعداته محال من وجهة نظرهم. ومما يؤجج اللوعة، ويهيج الاحزان، ويمزق القلوب أسفاً وندماً ويفجرها دماً ان فلاسفة الإسلام اعتقدوا بهذا النهج الفلسفي مخالفين ما نص عليه القرآن الكريم حول هذا الموضوع بالغ الأهمية. ومن أشهر دعاة هذا التوجه حول البعث فيثاغورس، وسقراط، وافلاطون، وارسطو، وفلاسفة الشرق، ودعاة الروحية الحديثة.

ولعل من المفيد ان نذكر بما قاله الألوسي في هذا الموضوع:

«اما فلاسفة الإسلام (فلاسفة الشرق) فقد ذهبوا الى رأي مخالف لجمهور المسلمين. فقد قرروا أن الاعادة روحية فقط وليست مادية. وهذا راجع الى انهم ميزوا بين النفس والبدن أو بين الروح والجسد، على أساس أن الروح هي الجوهر والبدن هو المرضي اللاحق له. ونحن نعلم أن الاعراض تزول اما الجوهر فلا. إذن المعاد هنا ليس إلا عودة الجوهر الروحي. أما البدن أو ان شئت مجموعة الاعراض، فلن تعاد لانها تحللت وفسدت، ولا يمكن اعادة ما قد تحلل وفسد»^(١).

اما بالنسبة الى الطريقة الأخيرة او النهج الأخير حول هذا الموضوع، فهو يمثل وجهة نظر «المتوسمون» الذين استوسقوا مع النور السماوي المبين، حيث اعتقدوا بكل ما جاء به الرسل من عند ربهم حول هذا الموضوع.

فالبعث من وجهة نظر الفكر الإسلامي هو إعادة للجسد والروح، وهذا ما ذكر في القرآن الحكيم في ستة وثلاثين مشهداً، كل مشهد لا يقل عن آية كريمة. وجميع هذه الآيات تدل على ان الميعوتين ليوم الحساب لهم وجوه،

وصيون، واعناق، وافواه، وايدي، وارجل، ورؤوس، وصدور، وجباه، واجناب، هذا بالاضافة الى أن لهم زوجات وازواج، ولهم بطون، ويشربون الشراب، ويأكلون ما طاب لهم من الفاكهة وانواع اللحوم المختلفة، ويطاف عليهم بكأس من معين اذا كانوا من الفائزين، اما بالنسبة للخاسرين اعمالاً فان طعامهم من غسيل، وشرابهم من الحميم.

فكيف يُعقل ان نعتقد أن الحشر للأرواح فقط؟ طالما أن الآيات المحكمات البينات تصف لنا حال المبعوثين بهذا الوصف الكامل للانسان الذي يشرب ويأكل ويتزوج ويتحدث، وتكوى الجباه وتنطق الجلود وتستفيث الأفواه، وتستبشر الوجوه الناضرة، وتبتس الوجه الباسرة الكالحة والى غيرها من الممارسات الانسانية التي تنشق عن الروح والجسد معاً. وسوف نكتفي بعرض نماذج من الآيات القرآنية الكريمة التي تدل على البعث الجسدي - الروحي للانسان.

قال تعالى

يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَانِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿١٦﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ يَرَهِقُهُمْ ذُلَّةٌ ذَلِكِ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٧﴾^(١)

قال تعالى

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٧٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٢)

(١) سورة المعارج آية ٤٣-٤٤

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٦-١٠٧

قال تعالى

﴿ هَذَانِ خَصَّانِ أَخَصَصْنَاهُ فِي رَيْبِهِمُ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ
ثَاقِبٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾
وَلَهُمْ مَقْذُوحٌ مِنْ حديدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا
وَذُوقُوا عَذَابَ الْعَذِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّفُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

قال تعالى

﴿ وَزَعَنَّا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
هَدانا لهذا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدانا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَفُودُوا أَنْ
يُلَاقُوا أَلْفَتَهُ أَوْ يُشْفَوْهُمَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

قال تعالى

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٢٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا
عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾

قال تعالى

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مِزَاجًا ﴿٢٧﴾ حَذِيقًا وَعِظًا ﴿٢٨﴾ وَكَوْاعِبَ أَزْوَاجًا ﴿٢٩﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٠﴾ لَا
يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدًّا ﴿٣١﴾ أَجْرًا مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٢﴾ ﴾

(١) سورة الحج آية ١٩-٢٣

(٢) سورة الاعراف آية ٤٣

(٣) سورة الانسان آية ٦٠

(٤) سورة النبا آية ٣٠-٣٦

قال تعالى

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ فِي ذَاكٍ فَلَيْلَ نَافَسٍ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٥﴾ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي تَنَاسُجٍ ﴿٢٦﴾ عِشَائِرُ يَثْرِبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٧﴾^(١)

قال تعالى

جَنَّاتُ عَدْنٍ مَفْتُحَةٌ لَّهُمْ فِي الْأَنْبُوبِ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَلَاحٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ * وَعِنْدَ مَرَعَاتٍ أَلْفُ أَزْوَاجٍ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا أُوعِدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾^(٢)

قال تعالى

ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٥﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا قَشَّاهُمْ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا تَخْلَدُونَ ﴿٧٦﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾ لَكُمْ فِيهَا فَلَاحٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٨﴾^(٣)

قال تعالى

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَاحٍ أَمِينٍ ﴿٥٥﴾^(٤)

قال تعالى

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ

(١) سورة المطففين آية ٢٢-٢٨

(٢) سورة ص آية ٥٠-٥٣

(٣) سورة الزخرف آية ٧٠-٧٣

(٤) سورة الدخان آية ٥١-٥٥

طَعَّمَهُمْ وَأَتَنَّهُمْ مِنْ خَمْرِ لَذَّةِ الشَّيْرِ بْنِ وَأَتَنَّهُمْ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعْفَرَةٌ
مِنْ ذُنُوبِهِمْ كَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ^(١)

قال تعالى

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ^(١٧) فِيكِهِمْ يَمَاءٌ النَّهْمُ وَيُتَمُّ وَيُوقَلَهُمْ رَيْثُهُمْ
عَذَابُ الْجَحِيمِ ^(١٨) كَلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَسَبْتُمْ فَعَمِلْتُمْ ^(١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ
تَصَفَّقُونَ فِيهَا وَمِنْ تَحْتِهَا نَاقُورٌ مِثْلُ بَعْرِجِينَ ^(٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَأَتَعَتُّهُمْ دُزِيزُهُمْ يَلْبِسُنَا
بَيْنَهُمْ دُزِيزَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ مِنْهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ^(٢١) وَأَمَدَدْنَاهُمْ
فِيهَا كَهْفًا وَلَحِيرَةً مِمَّا يَشْتَبُونَ ^(٢٢) يَنْشَرُّونَ فِيهَا كَاسًا لَا لَعْنُ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ ^(٢٣) وَيَطُوفُ
عَلَيْهِمْ فَلَاحُنٌ لَهُمْ كَانْتُمْ لَوْلَوْ تَكُونُونَ ^(٢٤)

قال تعالى

يَوْمَ يُخَيَّمُ عَلَيْهِمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَتَكَوَّىٰ بِهَا جَاهُهُمَا وَجُوبُهُمَا
وَيُظْهِرُهُمْ هَذَا مَا كَرَرْتُمْ لَا تُفْسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ ^(١)

قال تعالى

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا
رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْنَا مَاءٌ غَمَامًا فَكَيْفَ يُفِضُ عَلَيْنَا يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ
وَأَعْيُنُهُمْ كَالْحِضَابِ حِمْلًا وَلَهُمْ فِيهَا مَرْجَانُ مُدَبَّرِينَ ^(٢)

(١) سورة محمد آية ١٥

(٢) سورة الطور آية ١٧-٢٤

(٣) سورة التوبة آية ٣٥

(٤) سورة الاعراف آية ٥٠

قال تعالى

قَالَ ادْخُلُوا فِي أَسْرِقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ
أُمَّةٌ لَمَنَتْ أَخْبَهَا حَتَّى إِذَا دَاكُورَافِيهَا جِيَمًا قَالَتْ أَغْرَبْنَاهُمْ لَأَوْلَنَاهُمْ رَسَاهُمْ وَلَا
أَصْلُوْنَا قَاتِيَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَقَالَتْ
أَوْلَنَاهُمْ لَأَغْرَبْنَاهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكَرْهَاتِنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ^(١)

قال تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا تَصَبَّحَتْ جُلُودُهُمْ بِذَنبِهِمْ
جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَرِيزًا حَكِيمًا ^(٢)

قال تعالى

وَيَوْمَ يُخْشَرُ أَعْيُنُهُمْ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٦٩﴾ حَتَّى إِذَا مَلَآءَ وَهَاشِدَ
طَلَبُهُمْ سَمْعَهُمْ وَابْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَقَالُوا لِيَجْلُدِ رَبُّهُمُ لِمَ
شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِي
تَرْجَعُونَ ﴿٧١﴾ ^(٣)

قال تعالى

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ
كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ^(٤)

(١) سورة الاعراف آية ٣٨-٣٩

(٢) سورة النساء آية ٥٦

(٣) سورة فصلت آية ١٩-٢١

(٤) سورة الكهف آية ٢٩

قال تعالى

وَلَوْ قَرَّبْتَ إِذَ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو أُرُؤِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا فَانْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ^(١)

ولمن اراد أن يطلع على الآيات الاخرى التي لم تتمكن من ذكرها هنا،
وتدل مباشرة على الاعادة الروحية الجسدية للانسان فلينظر الى السور التالية:

سورة الحاقة، وسورة الواقعة، وسورة القمر، وسورة الدخان، وسورة غافر،
وسورة الصافات، وسورة يس، وسورة النمل، وسورة طه، وسورة مريم، وسورة
الكهف، وسورة الحجر، وسورة الاعراف، وسورة الانعام، وسورة النساء،
وسورة الدهر، وسورة القيامة، وسورة المرسلات، وسورة عبس، وسورة
الانشقاق، وسورة الفاشية.

ولما كان المعاد في اليوم الآخر جسدياً - روحياً وليس روحياً فقط،
فان الخلود في ذلك اليوم يكون للروح والجسد وليس خلوداً للروح.

لذلك ارتأينا تسمية هذا الفصل بعنوان الانسان والخلود ليتفق مع
طبيعة الانسان في يوم البعث. بينما اطلق الفلاسفة مصطلح والروح
والخلود ظناً منهم ان البعث روحي، وطبيعة الحياة روحية، لذلك فان
الخلود سيكون للروح.

اما بالنسبة الى مكان الخلود للانسان في اليوم الآخر فسيكون اما في الجنة
او في النار. فتكون الجنة هي المأوى للذين اتابوا واستقاموا مع الهدى السماوي
المبين. وتكون النار المأوى للذين خسرت تجارتهم في الدنيا والاخرة.

قَالَ تَعَالَى الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦١﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٦٢﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِيفَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا
شَتَّاهِ الْآنَافُسُ وَكَذَلِكَ أُعْثِرُ وَأَنْتُمْ فِيهَا تَخْلَدُونَ ﴿٦٣﴾ وَذَلِكَ الْجَنَّةُ
الَّتِي أُورِثْتُمْوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٦٥﴾
إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يُفَرِّغُهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٦٧﴾
قَالَ تَعَالَى

وَأَزَلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَرْجُونَ رَحْمَتِي ﴿٦٨﴾ هَذَا مَا تَدْعُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٦٩﴾ مَنْ
خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ ﴿٧٠﴾ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٧١﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٧٢﴾
قَالَ تَعَالَى

لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ
فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٧٣﴾

قَالَ تَعَالَى

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾

قَالَ تَعَالَى

أَلَمْ يَسْلَمُوا أَنْهُمْ مِنْ مُحَمَّدٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّ لَهُمُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٧٥﴾

(١) سورة الزخرف آية ٦٩-٧٥

(٢) سورة ق آية ٣١-٣٤

(٣) سورة المجادلة آية ٢٢

(٤) سورة البقرة آية ٣٩

(٥) سورة التوبة آية ٦٣

المراجع العربية

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - ابن القيم ، الروح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٢ .
- ٣ - ابو الاعلى المودودي ، نظرية الإسلام السياسية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٥ .
- ٤ - ابو الاعلى المودودي ، الخلافة والملك ، تعريب احمد ادريس ، دار القلم ، الكويت ١٩٧٨ .
- ٥ - ابو الاعلى المودودي ، منهاج الانقلاب الإسلامي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٧٩ .
- ٦ - ابو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، دار السلام القاهرة ١٩٨٠ .
- ٧ - ابو السعود العمادي . تفسير ابي السعود ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
- ٨ - ابي القاسم الزمخشري ، الكشف ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٩ - السيد محمد حسين الطباطبائي ، اسس الفلسفة والمذهب الباقي ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت .
- ١٠ - الغزالي ، بين الفلسفة والدين ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ١٩٨٧ .
- ١١ - الغزالي ، معيار العلم في فن المنطق ، دار الاندلس للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٨ .
- ١٢ - الغزالي ، تهافت الفلاسفة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢ .

- ١٣ - السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب الاسلامي، قم، ايران، ١٩٧٢.
- ١٤ - السيد محمد حسين الطباطبائي، نظرية السياسة والحكم في الاسلام، الدار الاسلامية، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٥ - الكسيس كاريل، الانسان ذلك المجهول، تعريب شفيق اسعد فريد، مكتبة دار المعارف، بيروت ١٩٨٣.
- ١٦ - بشار عبد الهادي، الحياة بعد الموت، دار ابن رشد عمان، ١٩٨٤.
- ١٧ - تاريخ الفلسفة في الاسلام، ترجمة د. محمد ابوريثه، بيروت ١٩٨١.
- ١٨ - حسام الدين الألويسي، دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠.
- ١٩ - حسن ابراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية، دار عالم الكتب الرياض، ١٩٨٥.
- ٢٠ - حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الاسلام، دار البحوث العلمية، القاهرة ١٩٧٩.
- ٢١ - ديكارت، التأملات، ترجمة د. عثمان امين، مكتبة القاهرة، ١٩٧٧.
- ٢٢ - رؤوف عبيد، الانسان روح لا جسد، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧١.
- ٢٣ - سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥.
- ٢٤ - سيد ابراهيم الجيار، التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية مكتبة غريب، القاهرة ١٩٧٨.
- ٢٥ - سيد قطب، هذا الدين، مكتبة وهبة، القاهرة.
- ٢٦ - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ١٩٨٠.
- ٢٧ - سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق القاهرة ١٩٨٣.
- ٢٨ - سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، ١٩٨٣.
- ٢٩ - عباس محمود العقاد، التفكير فريضة اسلامية، دار الفكر العربي بيروت ١٩٧١.

- ٣٠ - عبد العزيز البدرى، الاسلام بين العلماء والحكام، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
- ٣١ - عبد الفتاح جلال، الأصول التربوية في الاسلام، القاهرة ١٩٧٧.
- ٣٢ - عبد اللطيف محمد العبد، دراسات في الفلسفة الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٩.
- ٣٣ - علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٤.
- ٣٤ - عماد الدين اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٦.
- ٣٥ - فيصل بدير عون، الفلسفة الاسلامية في المشرق، مكتبة الحرية الحديثة ١٩٨٢.
- ٣٦ - فيليب فينكس، فلسفة التربية ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيجي، دار النهضة العربية ١٩٦٥.
- ٣٧ - كاشف الغطاء، اصل الشيعة واصولها، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٨٢.
- ٣٨ - محمد ابو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٦.
- ٣٩ - محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار المعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٠.
- ٤٠ - محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، دار المعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨١.
- ٤١ - محمد جواد مغنية، معالم الفلسفة الاسلامية، دار القلم، بيروت.
- ٤٢ - محمد حسين الزين، الشيعة في التاريخ، دار الآثار، بيروت ١٩٧٩.
- ٤٣ - محمد حسين فضل الله، اسلوب الدعوة في القرآن، دار الزهراء، بيروت ١٩٨٢.
- ٤٤ - محمد حسين فضل الله، الاسلام ومنطق القوة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٥.

- ٤٥ - محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٧.
- ٤٦ - محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢.
- ٤٧ - محمد قطب، دراسات في النفس الانسانية، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٣.
- ٤٨ - مصطفى عبد الرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٦.
- ٤٩ - محمد محمد حسين، الروحية دعوة هدامة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١.
- ٥٠ - نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- ٥١ - نبيه عاقل، تاريخ خلافة بني امية، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣.
- ٥٢ - يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت ١٩٨٣.

المراجع الاجنبية

- 1- Broudy, Harry S. Building a philosophy of Education. Prentice- Hall Englewood Cliffs, N, J. 1954.
- 2- Davidson, D., Inquiries into Truth and Interpretation oxford: clarendon press 1984.
- 3- Dannett, Beyond Belief, In Thought and object, ed. A. wood field, Oxford; clarendon press 1982.
- 4- Fern, Vergilius, ed. History of philosophical Systems, philosophical Library. New york, 1950.
- 5- Findlay A. James, on The Edge of The Etheric, London, 1954.
- 6- Frost, S. E. Jr. Historical and philosophical Foundations of western Education Charles E. Merrill, colombs, ohio, 1966.
- 7- James, A. Baley, etal. Physical Education and The Physical Educator, Boston, 1976.
- 8- Loar, B., Mind and Meaning, Cmbridge; Cambridge University press. 1981.
- 9- Rines, Degobert D. Dictionary of Philosophy, Little field, Adams, and Company, Paterson, N.J., 1962.
- 10- Russell, Bertrand, A History of Western Philosophy, Simon and Schuster, New York, 1945.
- 11- Putnam, H., The Meaning of 'Meaning' In Mind, Language and Reality, London; Routledge and Kegan Paul 1978.
- 12- William A. Harper, etal., The Philosophic process in physical Education, U. S. A. 1979.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء	٥
كلمة ود وتقدير	٧
المقدمة	١٣
الفصل الأول: حقيقة الفكر الفلسفي الإسلامي ٢١ - ٤٨	
- تعريف الفلسفة - الغاية من الفلسفة - الفكر الفلسفي البشري : (- الفلسفة الطبيعية - الفلسفة المثالية - الفلسفة الرواقية - الفلسفة اليراجمائية - الفلسفة الوجودية - الفلسفة الشيوعية)	
- الفكر الفلسفي الإسلامي - ماهية الفلسفة الإسلامية وطبيعتها	
الفصل الثاني: خصائص النهج الإسلامي ٤٩ - ٦٢	
- مقدمة - إلهية المصدر - الصدق والثبات - العموم - الشمول - العدل والمساواة - الدستور الذاتي - الرحمة - البشري - الهدى - الحكمة - الحرية - الخلود - سيرة الصواب - قوة التأثير	
الفصل الثالث: الحكمة ٦٣ - ٧٢	
- مقدمة - تعريف الحكمة - القرآن الكريم والحكمة	
الفصل الرابع: الانسان وعلاقته بالحقيقة ٧٣ - ٩٨	
- مقدمة - المفهوم الانساني للانسان - سلوك الانسان نحو الحقيقة - حب الشهوات - الازدواجية والتناقض - الصدق والثبات - التسرع في إصدار الاحكام - انكار الحقيقة ومقاومة اتباعها	

الفصل الخامس: العقل ودوره في الوصول الى

الحقيقة ٩٩ - ١٣٨

- مقدمة - أهمية العقل - المفهوم الفلسفي للعقل

- مفهوم علماء المسلمين للعقل - طرق ومراحل مخاطبة

الحق للعقل الانساني : (- مرحلة التبليغ

والتجريب - المرحلة الحسية - مرحلة التفكير

والتفكر - مرحلة الاستدلال والانتزاع - مرحلة

الآيات والمعجزات - مرحلة تلبية الطلبات

- مرحلة المقارنة - مرحلة التحدي - الخلاصة)

الفصل السادس: مصادر المعرفة ١٣٩ - ١٥٢

- مقدمة - المصادر الفلسفية للمعرفة : (- نظرية

الاستدكارالافلاطونية - النظريات العقلية

- النظريات الحسية)

- المصادر الإسلامية للمعرفة : (- نظرية العهد والتذكر

- النظرية الحسية - النظرية العقلية - نظرية

الانتزاع والاستدلال - الوحي والتبليغ)

الفصل السابع: تحديد الخير والشر ١٥٣ - ١٦٨

- مقدمة - المفهوم الانساني الفلسفي للخير والشر

- المفهوم الإسلامي للخير والشر : (- بذرة الشر

- طريق الشر ونهجه - منبع الخير - طريق

الخير ونهجه)

الفصل الثامن: مكانة الانسان في الكون ١٦٩ - ١٧٦

- مقدمة - المفهوم الانساني الفلسفي للانسان ومكانته

- المفهوم الإسلامي للانسان ومكانته - المكانة السامقة

وكيفية الحفاظ عليها - المكانة السفلى وسبب الارتكاس فيها

الفصل التاسع : علاقة الفرد بالجماعة ١٧٧ - ١٨٤

- مقدمة - المفهوم الانساني الفلسفي للعلاقة بين الفرد

والجماعة - المفهوم الإسلامي للعلاقة بين الفرد والجماعة

الفصل العاشر : الغيب : ماهيته وانواعه ١٨٥ - ٢١٠

- مقدمة - المفهوم الفلسفي للغيب : (التحلق في الغيب ورجعه

- انكار الغيب وجوذه)

- الغيب في ضوء النهج الالهي : (- الله وحده عالم الغيب

- علاقة الانبياء والرسل بالغيب - الايمان بالغيب)

- انواع الغيب - الغيب المتصل بعالم الشهادة : (- غيب

الماضي - غيب الحاضر - غيب المستقبل)

- الغيب المتصل بالعالم العلوي

الفصل الحادي عشر : الذات الالهية ٢١١ - ٢١٨

- مقدمة - المفهوم الفلسفي الانساني للذات الإلهية

- المفهوم الإسلامي للذات الإلهية

الفصل الثاني عشر : طبيعة الكون ٢١٩ - ٢٤٠

- مقدمة - المفهوم الانساني الفلسفي للكون : (- عالم

الحس - عالم المثل والروح)

- المفهوم الإسلامي للكون : (- عالم الشهادة - عالم الغيب)

الفصل الثالث عشر : الانسان والخلود ٢٤١ - ٢٧٨

- مقدمة - المفهوم الفلسفي للروح والخلود : (- انكار

الخلود - خلود الروح - الروحية الحديثة)

- المفهوم الإسلامي للروح : (- الروح الطيبة - الروح الخبيثة)

- البرزخ : (- مدة البرزخ - مكان البرزخ - العذاب والنعيم في

البرزخ - سبل الاتصال بين الاحياء والاموات - كينونة

الانسان في البرزخ)

- البعث : (- المفهوم الانساني للبعث - المفهوم الإسلامي للبعث)

٢٧٩	المراجع
٢٨٤	الفهرس



إن الذي ينشد الحقيقة لذاتها والنفي بظلالها والسلوك على نورها يجب أن لا يلتفت إلى السبيل التي توصل إلى الحقيقة طالما أنه يقصد الوصول إلى الحقيقة، أما الإصرار على سبيل واحدة دون غيرها في الوصول إلى الحقيقة فهذا نوع من الجدال والمناورة بقصد الوصول أو تحقيق غايات معينة تجول في النفس، وهذا هو بعينه التحيز الذي يطمس الحقيقة والسبيل المؤدية إليها.

كان الفلاسفة ومن والأهم يخافون كل الخوف من التحدث فيما يتصل بعالم الحس من أمور غيبية؛ لكي لا تنكشف سوءاتهم ويبت بطلان حججهم للقاصي والداني. تلك الحجج والتخصصات التي اضلوا بها أنفسهم وكل من وشجت عروقه على طريقتهم. فتركوا هذا النوع من الغيب الذي كان الانبياء والمرسلون يتحدثون أقوامهم به للتدليل على صدقهم وثبوت حججهم على صدق دعواهم.

إن الفكر الفلسفي الإسلامي قد تم تشويهه في أذهان الناس على مر الأيام، من مختلف الفئات، التي أرادت أن تطفئ هذا النور السماوي الساطع، الذي بعثه المولى عز وجل رحمة منه للبشر جميعاً. هذا بجانب كثرة أعداء الحق على مر التاريخ، الذين حاولوا بكل السبل والطرائق النيل من الحق المبين، الذي يفوح بنسائمه الفكر الفلسفي الإسلامي. ولكن كلمة الله سبحانه وتعالى قد سبقت واعتلت كل كيد وقول، بحفظ هذا النور الباسق الساطع - مورد الحق والحقيقة - الذي يمثل الفكر الفلسفي الإسلامي لجميع من اتاب واستقام على درب الهدى من أن تناله يد البشر بالتبديل والتحريف.

إن الإنسان الذي خلقه الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم، وأثار له سبل الهدى بعد أن وهبه حرية الاختيار، هو نفسه القادر على المحافظة على هذا المستوى من السمو والرفعة، والمكانة الباسقة الوضاعة التي أنعم الله عليه، والتحلي بالصفات السامية المؤثلة. كما أنه قادر على الانحدار من عليائه للارتكاس في الحضيض، والسقوط إلى أدنى المستويات، والتحلي بالصفات الهابطة التي تؤهله أن يتبوأ أسفل المنازل والدرجات في سلم الرقي الحيواني لما يصدر عنه من شرور وآثام، وسلوك شاذ.

إن الفرد المسلم في المجتمع الرسالي الإسلامي يجب أن يقدم الولاء، والطاعة، والتبعية، في كافة الأمور إلى الجماعة وإمامها طالما أن الجماعة بزعامة إمامها تسير في ضوء النهج الإلهي. وإذا ظهر أي خلاف في هذا التجمع الرسالي، فيجب أن يحل هذا الخلاف في ضوء النهج الإلهي.